

انطباعات عن الحياة الثقافية
في ألمانيا الديمقراطية
لأسيما من خلال المؤتمر العاشر للكتاب الألمان
على عقلة عربان

قال فوماسي مان عام ١٩٥٢ :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« لدي انطباع بان جمهورية ألمانيا الديمقراطية
تبدي الاحترام والتقدير الكبيرين للفكر اذا لم
يكن مماديا .. » واصيف انها اليوم تفتح
صفرها للحرية وتتسع لراي المعارضين
وتناقش الفكر المادي » .

زرت ألمانيا الديمقراطية اكثر من مرة ، واتيحت لي فرصة رؤية
شوارع وساحات وأماكن كانت خرابا واصبحت الآن تمتج بالحياة والعمران .
كنت من أوائل الذين دخلوا برج برلين ، ومشيت على قسم كان ترابيا
بين شارع / انتردن لندن / وقصر الثقافة / في الوقت الذي كان فيه

□ انطباعات من الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

عمال البلدية يقومون برصف الطريق ، وفي ذلك الجزء من الشارع العريق حضرت في دار للفن هناك عرضا متميزا لاوبرا اسبارتاكوس ، وفي احدى زياراتي وجدت شتات برلين يرتفع في مكان كان بالنسبة لي فارغا او يكاد .

زرت في ألمانيا الديمقراطية عدة مدن عدا برلين ، وفي اوقات مختلفة اذكر من تلك المدن : لايبزغ - بوتسدام - فايمار - دوسدن - مكديبورغ - شفيرين - وفرانكفورت غوته ، وقرية صغيرة تحمل اسم ذلك المعمل العريق الذي يعرف اسمه كثيرون في العالم / مايسن / مركز صناعة الخزف الالماني المتميز والذي يعود تاريخه لمئات من سنين . ويبقى في ذاكرتي من ألمانيا الديمقراطية صور وانطباعات وحالات ذكرى منقوشة بعمق في اعصابي ولا اقول في قلبي . البرلينر انساميل حيث شاهدت عددا لا بأس به من مسرحيات بريخت ، ومسرح النو الياباني للمرة الاولى في حياتي ، وعرضا تربطني به صلة خاصة هو مسرحية / الماساة المتفائلة / من تأليف الكاتب السوفييتي فسينفسكي ، تلك المسرحية التي ترجمتها واخرجتها للمسرح القومي ، وكان لي بعد مشاهدة عرضها هناك نقاش مع المخرج والممثلين خلف الكواليس خرجت منه مكلا بياقة كبيرة من الزهور كان قد تلقاها الممثل الاول على خشبة .

في المتروبوليتان تلقيت خبر حرب تشرين بعد ساعتين من بدئها ، كنت في كواليس المسرح ومعني فرقة فنية (امية) وانا المسؤول عنها ، وكان علي ان اتخذ قرارات صعبة في ظروف صعبة ، وتحولنا الى جنود في جبهة العمل خارج البلاد ، غيرنا برامجنا وطفنا ألمانيا يرافقنا ضابط سابق في الجرش الالماني هو سيدة حازمة ودقيقة ، ثم طفنا هنفاريا ، نرفع صوت الوطن وننادي بالتحريز ، وتحولت لقاءاتنا اينما ذهبنا في ألمانيا

□ انطباعات من الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

الى لقاءات تضامنية ، بالمفهوم العام الشامل والفعلى لمعنى التضامن ، وسأذكر دائما قرية المانية متواضعة على الحدود قدم لنا اطفالها ثمرة يوم عمل قضوه في جمع ثمار من الغابات واهدوا قيمتها لشعبنا عن طريق جمعية الصداقة الالمانية - السورية . عدد محدود جدا جدا من الماركات لم اعد اذكر الرقم الآن ، ولكن اللقطة ذاتها لا تقدر بشئ . يكفي أن يشعر الاطفال الالمان بعدالة قضيتنا وأن يبذلوا جهدا للتضامن معنا . وسوف اتخذ من هذه الحادثة مدخلا لانطباعاتي عن المؤتمر العاشر لاتحاد الكتاب الالمان الذي عقد بين ٢٤ - ٢٦ / تشرين الثاني / نوفمبر / ١٩٨٧ في برلين .

فأقول ان الثقافة في نهاية المطاف قيم ومعايير اخلاقية وروحية وانسانية ، قيم علم ، وقيم عمل تجعل للحياة معنى ، ولكل جهد يبذل فيها وظيفة تحقيقا لغاية سامية . ليس عيشا خلقنا ، ولا ينبغي أن نعيش عيشاً . فهذه الهدية الثمينة / الحياة / يجب أن نستثمرها جيدا ، ونعيش دقائقها بغنى ، ونجعلها غنية بالنسيبة لسوانا ، فهذا نوع من فضل وذكرى نتركها في الأرض ، والحياة حين نستثمرها جيدا توفر لنا المتعة ، وللأجيال الفائدة ، وللنوع البشري استمرار البقاء والتطور والتسامي . وفيها نوسع افق المعرفة ، ونمخر / بالوعي المعرفي / عباب المجهول لنكتشف ونجدد رؤانا ونوسعها ، نحلم ، ونعمل لنحقق الأحلام ولتتسع رقعة سيطرة الانسان على المجهول ، ولترداد قوانين المعرفة العلمية وتغدو في خدمة الحياة والانسان .

ولا أظن أن هناك طموحا اكبر واسمى من ذلك الذي ينشده الادب وترتاد عوالمه الكلمة والنفمة واللون، لتصوغ مستقبلا ورؤية، املا وعملا، يشعران عن سعادة في ظل امن من جوع وخوف ، هما اهم ما يحتاج اليه الكائن الحي .

□ انطباعات من الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

والكتاب الالماني ، الذين كان لي شرف حضور مؤتمرين من مؤتمراتهم / التاسع والعاشر / كانوا يضعون في مقدمة اهتماماتهم التزامهم / أو التزام الادب / بالسلام والاشتراكية والحياة الحرة الكريمة للانفراد والشعوب والاطوان في عالم يتسع للجميع ويتطلب غنى الثقافات وتنوعها وتفاعلها من اجل اغناء الحضارة والحياة وجعلها اليق بالانسان .

فهل هم بذلك يجسدون نداء اعلان الجمهورية الذي توافقت معه انطلاقا ثقافية جديدة انسانية ومسؤولة في المانيا ، أم ان الادب أصلا والتوجه السليم للثقافة عموما هما اللذان اعليا أصلا النداء الذي يقول: « لقد نشأت في السابع من اكتوبر / تشرين الاول / ١٩٤٩ على الخارطة دولة المانية شعارها والى الابد ، لا الحرب بل صيانة السلام ، ولا الكراهية بل الصداقة بين الشعوب . وهناك لأول مرة في التاريخ ، دولة المانية ، يعلن شعبنا وبكل سريرة نقية ، وأمام العالم ، مناصرته اياها » وسجلا على حدود المانيا الديمقراطية شعارا وقرؤه القادم والمفادير . « لايجوز ان تنطلق ابدا حرب عالمية جديدة من الارض الالمانية » .

ايا كان الامر فالنتيجة الواضحة تشير الى ان الثقافة والعمل السلمي يعتليان العرش في تلك البلاد التي افسدت فيها النازية السلم والثقافة في ايام غير بعيدة ، وهي تسير الآن بتصميم في اتجاه انساني ، وتزد مع بتوفن وعلى ارضية من ابداعه العظيم « كل البشر سيصبحون اخوانا » .

ولكن هل المانيا الخمسينات هي ذاتها المانيا الثمانينات ؟! وهل الكتاب الالماني في المؤتمر التاسع ، هم انفسهم في المؤتمر العاشر ؟! كثير من الوجوه رأيتها والاسماء سمعتها في المؤتمرين ، واكاد اقول باختلاص :

□ انطباعات من الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

ان الشخص ذاته ليس بالضرورة هو . ولا اعني ذلك التطور الذي لا بد أن يرافق نمو الشخص والمعرفة والتجربة في الحياة ، فهذا طبيعي ، ولكن المناخ تغير فنسغير الاداء ، وتحركت في الاعماق كلمات وآراء واعتراضات .

لقد اثرت تماما رياح غورباتشوف على المناخ الألماني الديمقراطي ، كما اثرت في مناخ سائر البلدان الاشتراكية ، وربما في كثير من البلدان . و « العلنية والديمقراطية وروح التغير اعادة البناء تنجلي في كثير من المواقف والآراء والكلمات وحتى اكون دقيقا لا بد أن اشير بوضوح الى أن ما لمسته في مؤتمر اتحاد الكتاب السوفييت الاخير وفي لقاءات للكتاب في عهد « العلنية والديمقراطية » كان أكثر وضوحا واعتراضا وجذرية ، واستعملت الحرية في بعض الحالات القليلة استعمالا متطرفا بشيء من العداء المكشوف والمناقضة الصريحة لنوابت فكرية وممارسات مسلم بسلامتها في العهود السابقة جميعا .



افتتح المؤتمر (١) الصديق هرمان كانت رئيس الاتحاد بتقرير شامل قدمه بحضور القيادة السياسية العليا للحزب والدولة ، وتابع المسؤولون باهتمام كل ما جرى ، وحضروا الجلسة الاولى بكاملها مصغين للكلمات والمداخلات ، مؤكدين أهمية الكلمة ودورها ، وحرصهم على أن يروا فيما يقال عونا لهم على أداء مهام أوكلها الشعب اليهم . وهذه نقطة ايجابية تسجل لهم . وعندما تناول الحوار في إحدى الجلسات شؤون البيئة

(١) : برلين - تشرين ثاني ١٩٨٧ .

□ انطباعات عن الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

أتى وزير البيئة ليقدم مداخله مفصلة قدمت معلومات أفادت واقتعت
وفتحت العيون على مستجدات .

لقد كان هرمان كانت على حق حين قال : « نتكلم الآن من برلين
المدينة القديمة التي تتجدد ، بأفضل مما تكلمنا في أية مرة سابقة ..
اللحظة هي الآن .. والبناء يعلو » . كان على حق فالكلام هذه المرة مختلف ،
انه يحمل طعم مناخ مغاير لكل مناخ سابق . « في هذه القاعة لن نتكلم فقط
عن الفاشية ولكن عن الحرب الباردة ايضا ، وندافع عن الشعر ونطرح
قضايا الكتاب ، ولا بأس في ان نقول ان كتابا مشهورين غادروا الى الجانب
الآخر .. نهتم بكل ما يعني الادب ذلك الذي يلعب دورا كبيرا في انسنة
الانسان » . كما اشار ستيفان هرملين « بشيء من التصرف » .

ان المناخ الجديد يفرض نفسه ، ورياح التغيير تهب على ألمانيا
الديمقراطية ايضا ، والمناخ الجديد يرسم مقاله السياسة الجديدة التي
تجلت هناك في كثير من مظاهر التفكير والتعبير ، وفي الممارسة الديمقراطية
العلنية .. انه المناخ الذي لا يمكن تجاوز معطيات واقعية بدأ يضعها في
الحسبان بشكل مسموع ، والذي حدد ايريش هونيكر الامين العام للحزب
رئيس الدولة بعض معالنه حين قال : « لا يوجد بديل مقبول عن التعايش
السلمي بين دول ذات أنظمة اجتماعية متباينة ، ويستنتج من ذلك أنه
ينبغي استبدال المجابهة بتعاون قائم على قاعدة عريضة . وهذا ما ينطبق
ايضا على العلاقات مع جمهورية ألمانيا الاتحادية . ونحن على يقين من انه
على طريق كهذه فقط ، يتم بناء الدار المشتركة : « أوروبا » . دار سلمية
لجيرة حسنة بين دول اشتراكية ورأسمالية (...) دار لا تشكل فيها
المجابهة ، بل التعاون بين دول ذات أنظمة اجتماعية متباينة ، القانون

□ انطباعات عن الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

الاساسي لنهج كل بلد ولقيادة كل حزب ودولة « - هونيكر في ١٦/١٢/٨٧ وهذا المنطق يحل محل منطق آخر تجاوزته المعطيات المعاصرة ، وبشكل مدخلا اكثر واقعية في السياسة الدولية ، وفي العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الدول والشعوب ، والثقافات ، فكيف بين دول شعب وثقافة .

وسوف اقتصر على اشارات بسيطة الى مشكلات رأيها اكثر من سواها جديرة بالاهتمام ، لاجتهاد مني او لانطباع ما بقي لدي ، لا شك في ان له ما يبرره . وما ساشير اليه مما ورد في التقرير او المداخلات او في توصيات اللجان ساجمله في فقرات تسهيلا للعرض . وقبل الدخول في ذلك اود ان اذكر الارقام والوقائع البسيطة التالية :

- شارك في المؤتمر العاشر لاتحاد الكتاب الالمان / ٢٨٠ / مندوبا عن الكتاب في الاانيا الديمقراطية مثل كل منهم ما بين ١٥ - ٢٠ كاتباً .

- نسبة الرجال الى النساء بين المندوبين ٨٠,٣ ٪ .

- معظم المشاركين من برلين / ١٤٠ / مندوبا ، وهذا يشكل اعتراضا وديا من قبل بقية الاقاليم - الا ان شكوى الاقاليم تأتي من امور غير ذلك .

- بين المندوبين ٧٠ كاتباً من غير الحزبيين اما البقية فهم من الاحزاب المشتركة في الحكم .

- تم توسيع مجلس الاتحاد اذ وصل العدد المنتخب الى ٩٩ عضوا وبقيت قيادة الاتحاد دون زيادة من حيث العدد ، كما تم التجديد لكثير من اعضاء القيادة بينهم الرئيس ونوابه الثلاثة والامين العام .

- تكلم في المؤتمر تسعون متحدثاً .

□ انطباعات من الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

— حضر ضيوف من خمسة وعشرين دولة صديقة للشعب والدولة والكتاب في ألمانيا الديمقراطية أما المندوبون فكانوا من أعمار مختلفة مندوب واحد كان تحت سن العشرين و / ١٨ / مندوبا بين ٣٠ - ٤٠ سنة . و / ٦٧ / مندوبا بين ٤٠ - ٥٠ سنة . و / ١١٩ / مندوبا بين ٥٠ - ٦٠ سنة و / ٥٢ / بين ٦٠ - ٧٠ سنة و / ٢٢ / مندوبا فوق سن السبعين . وسأبدا عرض المشكلات من حيث انتهى اليه حديثي في الأعمار .



● هناك جيلان من الكتاب :

● جيل يعيش — بعد رحلة الحرب وما قبلها — يعيش للمرة الثانية رحلة ما بعد الحرب . وهو جيل له رؤية : تعذب وتشرد وانتكح ضميره وتمرت روحه وجرحته على أكثر من شفرة سيف ، ولقد رايت كثيرين منهم ، واستمعت ، من فوق منصة مؤتمرات دولية ، اعترافات وادانات للذات صادرة عن ضمير يفيض بالمعاناة وشخصية تريد ان تتحمل وزر الآخرين وذنوبهم .

قال احدهم امام حشد كبير من الكتاب في مؤتمر اتحاد الكتاب السوفييت :

« كنت جنديا على الجبهة الروسية ووصلت الى مشافي موسكو ، وهناك تعلمت درسا . امرأتان اثرتا في ولقنتني كل منهما درسا في الحياة . تلك الفلاحة الروسية على مشارف موسكو ، وآنا زيفرز الكاتبة والمناضلة الألمانية . آنا علمتني الاصرار والنضال بروح انسانية عالية في اصعب الظروف ، والانتماء الواضح للفقراء وللشراكية . وقد كانت رئيسة لاتحادنا . والفلاحة الروسية سألتها وانا في قرية على مقربة

□ انطباعات عن الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

من موسكو وبالبلدة العسكرية الألمانية : هل موسكو بعيدة من هنا فقالت : برلين اقرب لك منها . يومها رمتها باحتقار ولكن درسها نبت ونما في دماغها وهو يكبر حتى اليوم » .

● وجيل الشباب الجديد الذي ينظر الى الكبار على انهم انتهوا ، ادوا ادوارهم وما عليهم الا أن يتواروا . وان يخلو الساحة للنشء الذي يتفتح في افق ومناخ آخرين . وهو جيل بعيد عن الشعور بالمعاناة ، لم يذق طعم الويلات ، ربما شاهد بقايا الاحياء المهدمة ولكن الآباء وفروا له طفولة اقل قسوة . وحياة اكثر لياقة بالانسان وما هو يتنفس هواء مغايرا لذلك الذي تنفسه الآباء ، جيل له احلام وآمال وتطلعات ، ويعيش في ظروف مختلفة نسبيا ، يريد ان يحقق ذاته ، وان يتجاوز قيوداً يشعر بوجودها ولذا فهو يتطلع ويريد ان يغير وربما ان يحطم اشياء كثيرة ، وتفريه أحيانا النظرة من بوابة براندنبورغ ، ويصنع امام اغراءات وسوموم الاعلام الآخر الذي يحاصره ، ولكنه يحلم كثيرا بالطيران فوق سور برلين .

إنه جيل لديه امكانيات ابداعية — باعتراف الكبار — وربما كان على شيء من العجلة فهو ابن عصر السرعة والصواريخ العابرة للقارات عصر ارتياد الفضاء . وهذا الجيل توفر له امكانيات جيدة ، والمناخ الثقافي الموجود في ألمانيا الديمقراطية مناخ متميز بتنوعه ووفرة ما يقدم فيه من نشاطات ، وفي الانتاج المقدم قيمة لا يمكن تجاوزها . ولا شك في أن الاجيال الناشئة ، من المبدعين او سواهم وجدت بين يديها ما لم يحلم به أبناء الاجيال السابقة مجرد حلم :

□ انطباعات عن الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

المكتبات ودور النشر والمجلات والصحف والمتاحف والمسارح والمؤسسات المهتمة بالثقافة على الصعد جميعاً وفي الأماكن والمجالات كلها ، الأمر الذي حقق مقدمات النهوض في مناحي الحياة المختلفة ولا سيما الثقافة . ويضاف الى ذلك نظرة منفتحة وإنسانية للثقافة هي النقيض التام لما ساد قبل قيام ألمانيا الديمقراطية وتتجلى تلك النظرة في توجه تجسده الثوابت التالية التي تحدد الموقف من التراث الثقافي للأمة وللإنسانية ، والموقف من الثقافة المعاصرة انطلاقاً من روح العصر :

— « انطلاقاً من سعة نطاق مفهوم الثقافة فإن التراث الثقافي يشمل كل ما يدل على قدرة الإنسان الخلاقة ، وكل ما اكتسب حتى تاريخ الإنسانية الحالي من الآراء والأفكار عن جوهر وماهية العالم ، والإنسان وكل ما وضع من المبادئ والنماذج التي تهدينا الى المستقبل ، وكل ما يخلق من قيم الجمال والشعر وما يخدم تطور الإنسان . كما ويشمل الأدلة والشواهد الموروثة للتقدم الاجتماعي والعكسري في كل ميادين الثقافة . أي في ميادين العمل والبيئة والعلوم والفنون . ويشمل التراث الثقافي في جمهورية ألمانيا الديمقراطية جميع الانجازات الثقافية التقدمية والإنسانية الكبيرة التي حققتها شعوب كل القارات . »

المادة ١٨ من الدستور في ألمانيا الديمقراطية — الثقافة في ألمانيا — اتجاهات ومصادر ص ٧٠

— « إن من يريد اتقان أداء مهام العصر وسلوك طريق الى المستقبل بخطاً ثابتة وأكيدة عليه أن يطلع على خبر وتجارب الماضي وقيمه الثقافية . »

ايرو هويتكر ١٩٨١

وعلى ذلك فإن المعطى الذي يقدم للحركة الثقافية يسمح لجيل الشباب بمثل هذا التوق الى الانتماء ، ولكن هل يمكن القفز فوق الواقع ، وفوق حقائق العصر ؟! هذا ما يحاول أن يلقيه الكبار للشباب ، وهذا

□ انطباعات عن الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

ايضا ما يحاول أن يقدمه الشباب للكبار على أنه تفسير جديد ورؤية جديدة فرضتها حقائق ومعطيات العصر ولا بد من القفز فوق تاريخ وتجارب مريرة ثبتهما الماضي في ذهن الكبار ، حتى لا تبقى أسارها . فلمن يكتب النصر في هذه المعركة التي لا تدور في ألمانيا الديمقراطية وحسب ، وإن كان لها هناك خصوصية وظروف مغايرة لما لسواها ؟! إن منطق الحياة يشير الى استمرار التقدم والتغيير ، ولكن منطق الحياة يشير ايضا الى ثبات ما هو سليم ومنطقي وأصيل عبر التاريخ .

إن صراع الاجيال من حقائق الحياة ، وربما كان لا يأخذ طابعا جديا في مجالات الكتاب ، ولكنه موجود بدرجات مختلفة ، ولا يجوز أن نهمله كما لا يجوز أن نضخمه .

ARCHIVE

ظاهرة اخرى استغرقت انتباهي ، في مداخلات عدد من الكتاب الالمان ، وهي في بعض مناحيها ، ظاهرة خاصة بمعنى انها المانية ، بعد الحرب العالمية الثانية . ولكن ينميتها ويحركها احيانا دافع خارجي ، وتلعب في ذلك عوامل عديدة . وهي محاولة بعض الاشخاص القيام بنوع من الادانة للذات بهدف التفكير عن ذنب جماعي أو فردي . ولكن ذلك ينحصر أو يراد له أن ينحصر بتعاطف لا ينفصص جيدا مع اليهود ، ويأخذ احيانا مدلولاً ومنحى خطرا في الغابات النهائية التي يرمي الى تحقيقها من يتقصّدون العزف على هذا الوتر . وسأقدم لذلك ثلاثة امثلة مختلفة تشكل ، أو عليها تقدم ، بمجموعها منظورات توضح أبعاد المشكلة :

اولا - د. جزيلا كرافت شاعرة وباحثة متخصصة في العهد العثماني ، كانت تعيش في ألمانيا الاتحادية ، وانتقلت الى العيش في ألمانيا

□ انطباعات عن الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

الديمقراطية مختارة ، على تقيض أولئك الذين كانوا يعيشون في الـ D.D.R وانتقلوا الى الجانب الآخر مثل سارة كيرش اليهودية وتوماس برانش وروزا لكسمبورغ وسواهم . كانت من الذين ينظرون الى انفسهم نظرة مشوبة بإرث الماضي ، قالت لي : « كنت اعتقد أننا نحن الالمان شعب ليس فيه ميزات حسنة ، وارتكب مالا يفتقر . شخص ياباني غير هذه النظرة ، قال لي يوما : إن فيكم انتم الالمان أشياء جيدة أيضا ويمكن أن تصبح أكثر واحسن . وبدات انظر واكتشف واتطلع الى المستقبل . » وهذا بتقديري تصرف طبيعي نظيف وواقعي .

ثانيا - ذلك الكاتب الالماني الذي كان جنديا على حدود موسكو ، والذي اخذ درسيه من آنا زيفرز ومن الفلاحة الروسية ، واعاد النظر بموقفه واعلن ذلك مؤكدا الادانة المطلقة للحرب وللزورع النازي واشكال الفاشية ، مكتفيا بالعمل الانساني العام وبالبحث عن الحقيقة والرؤية السليمة ومناصرة الاشتراكية والحق وقضايا الشعوب ومن ذلك النموذج من يقول عندما تذكره « تشر نوبل » وقضايا تلوث البيئة ، « نحن طبخنا الوجبات « الخاطئة » المرة واطعمنا الناس ولا يمكن أن نشكو » ، « أنا اشارك في تهديم الطبيعة . » ، « أنا أرى أن العالم حاليا يريد تحطيم الحياة » .

ثالثا - روز ماري شوده كاتبة المانية تقوم الآن بتأليف كتاب بعنوان اللطخة الصفراء La tache jaune عن « الحقد والعار الذي الحقناه - تقصد الالمان - باليهود » . وهذا بنظري أمر طبيعي ومشروع أي أن تبحث وتتشد الحقيقة وتفضح الممارسات غير الانسانية . ولكنها في مداخلتها أمام المؤتمر جعلتني بعض المغالطات الموهبة استيقظ على أمر

□ انطباعات من الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

خطير يتم الترويج له ، وفي ضوء هذه الانتعاشة أعدت ربط بعض الوقائع مما تم هنا وهناك فوقفت على توجه خطر يحاول ان يستثمر عقدة الذنب عند الالماني ويفرضها عليه ، ويجر الشعب الالماني الى مواقف ، باسمها . قالت شودة إن اليهودي ابراهيم يشوع هيشل بقي الى جانب مارتس لوتر كينغ عندما قتل ولازمه حتى اللحظات الاخيرة متحملا الخطر . « وهي بذلك تدعو السود في اميركا على الخصوص ، واستنتاجا ، في سواها الى تقدير ذلك اليهودي الذي يمثل بنظرها قومه الذين على شاكلته ، اولئك الذين « كانوا ضحايانا » كما تقول . ولم تشر الى وقوف اليهود الصهاينة في فلسطين مع عنصري يري جنوب افريقيا الذين يقتلون السود ويعاملونهم كشعب من الدرجة الثالثة ويمارسون التمييز العنصري ، وتناست الطبيعة العنصرية لدولتي اسرائيل وجنوب افريقيا ؛ والممارسات العنصرية الصهيونية في اسرائيل ضد السكان العرب ، وحتى بين اليهود الغربيين والشرقيين » <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وبمثل هذا التحرك دفعت متكلمين الى السير في موكب من يضربون انفسهم بسلاسل الحديد ويتذكرون غرف الغاز وبوخنغالد ويوقظون الماضي ، دون ان يجرمهم ذلك الى ادانة الحقد والعنصرية والفاشية التي تمارسها اسرائيل ولا جرائم الصهيونية ، انهم يعملون من اجل نوع مطلوب من التعاطف ، تعاطف مطلق مع أولئك الذين « كانوا ضحايانا » .

وفي ظل هذا يصعب على الماني تشعره بالذنب، أن لا بد من ممارسات اليهود الا الإنسانية حتى لا يتهم بالسامية ، وهناك من يلاحقه بتلك الاحاسيس والتهم حتى يجبره على أن يدفع تعويضات لأولئك الذين يضطهدون العرب .

وفي الوقت الذي يدنو فيه ذلك الفريق من الكتاب - ونحن معهم - الى أن ينشد المؤتمر الى المهجرين من جنوب افريقيا ، يتناسى المهجرين من فلسطين ويذهب بعض الكتاب في استشعار الذنب الى حد القول : « نحن الكتاب الالمان لدينا الامكانية لان نقفد انفسنا .. التضامن اصبح ضعيفا ويكاد لا يمس قلوبنا . » .

وحين ربطت ذلك بمحاولات ابراز عناصر وتكريسها ورسم حالة حولها وهي خارج المؤتمر كما جرى في تلاوة رسالة « كرسثافولف » التي تعدها الاوساط الصهيونية للترشيح لجائزة نوبل . ومحاولتها اثارة قضية وافتعالها لشد الانتباه اليها ، الامر الذي دعا هرمان كانت الى التنبيه الى تصرفات « النجوم » هذه . حين ربطت ذلك بجهد أولئك الذين تنحصر مهمتهم في « عدم السماح للعشب بأن ينمو فوق الاشياء . » وقرنته بما لمسته من جهد اللوبي الصهيوني في كل مكان ، ولا سيما بروز جهد يهودي ملحوظ في الاتحاد السوفيتي في عهد الحرية والعلنية والديمقراطية ، يحاول ان يطفو على السطح ويركب الموجة ويعلي شأن المنشقين والمعادين ، ويوفر للمزدوجي الجنسية ظروف الهجرة - وهناك حديث عن توفير الظروف الملائمة لهجرة مليونين من اليهود السوفيت - ليقتلعوا اسرا فلسطينية جديدة من بيوتها او ليقتلوها ويسكنوا على جثثها تحت شعار « حقوق الانسان » حين ربطت ذلك كله أدركت بأن اللعبة ستمارس الآن في ألمانيا الديمقراطية على اوسع مدى ، وانه يراد للشعب الالمانى ان يخضع للابتزاز الصهيوني بأشكال مختلفة . وان على الالمان الشرقيين الآن ان يدفعا ويأثموا بعد ان دفع الغربيون الكثير وما زالوا على لائحة الابتزاز الصهيوني ، وقد قطع اليهود الصهاينة مراحل على طريق لابتزاز لشعب ألمانيا الديمقراطية ولا يتجلى ذلك في اعادة بناء « الكنيس » في برلين الذي كلف مليارات الماركات ، وانما في اعمال اكثر خطورة وابعد مدى .

الادب والسلام ، والادب والحرب :

إن موضوع نزع السلاح ، والتخلص من الأسلحة النووية ، ووقف سباق التسلح والدعوة الى السلام ، كل تلك الاديبيات المتصلة بهذا الموضوع ، والوقوف ضد الفاشية والعنصرية وما يثير الحرب ... كل هذه القضايا ندر لها الكتاب في ألمانيا الديمقراطية أنفسهم ، واستطيع أن أؤكد بحق أنهم أكثر الدعاة حرصا وجدية وحزما وتبصراً ، في هذه المجالات ، لأن أيديهم في النار كما يقال . والمعنى واضح وشامل لمن يدقق فيه .

ويكاد يكون قول هرمان كانت في الندوة التي عقدت في ايلول عام ١٩٨١ حول الكاتب والسلام ممثلاً للمصادقية التامة لجهد الكتاب الالمان في هذا المجال حيث قال :

« نسجم نشاطنا مع طبيعة المجتمع الذي نعيش فيه . إن حب السلام والاستعداد للدعوة الى السلام والنضال من أجله ، جزء من الوعي القائم وفي جمهورية ألمانيا الديمقراطية منظمة خبراء فيما يخص قضية الحرب والسلم ، والدليل على ذلك يكمن أخيراً وليس آخراً في الادب الذي كتبناه .

إننا وعن حق مؤلفو مكتبة من السلام ، كما أننا اتحاد يدرك عم يتحدث عندما يتحدث عن النضال والمقاومة وعن التجربة المسؤولة . »
الثقافة ص ٢٠

وهناك ادراك تام لحقيقة انه « لا يمكن للمرء ان يبني أو يقهر بالأسلحة النووية ، لا الرأسمالية ولا الاشتراكية » كما يقول كانت وقد

جاء رأي السياسيين مواكبا لرأي الكتاب أو أن حصيلة التفاعل أدت إلى القول الفصل في ذلك المجال والذي يتجلى في المقولات التالية :

— أن المزيد من الأسلحة في العصر النووي لا يعني تحقيق المزيد من الأمن . «
أيريش هينيكس ٨ / ١٢ / ١٩٨٧

— أن من يمتلك كمية أكبر من الأسلحة عليه أن ينتزع كمية أكبر من السلاح . أي إزالة عدم التكافؤ، عن طريق نزع السلاح . «
أيريش هونيكس ١٦ / ١٢ / ١٩٨٧

ولقد تكلل هذا الجهد العام للمثقفين ولا سيما الأدباء والكتاب في العالم كله وعلى الخصوص في دول المنظومة الاشتراكية بنجاح واقتناع تامين بذلك التوجه وبعدالة تلك المعركة وبضرورة خوضها باخلاص حتى يتحقق خلاص للجنس البشري وللأرض من الكارثة النووية ولقد تجسد ذلك في نص تضمنته اتفاقيات الدولتين العظميين « الحرب النووية يجب ألا تندلع أبداً وأنها لا يمكن أن تسفر عن منتصر . » ورد هذا النص في بيان واشنطن الذي تلا اتفاقية ٨ / كانون الأول ١٩٨٧ التي نأمل أن تكون مدخلا عريضا لتصفية الأسلحة النووية والكيميائية والجرثومية ، وأن تأخذ بالاعتبار حقوق الشعوب بالعيش بسلام وحرية وعدالة وتقدم ، ولا سيما في هذه المنطقة العربية التي ما زالت تدفع الدم والجهد جراء أنواع الاستعمار منذ الحرب العالمية الأولى حتى اليوم.

أما قضايا الأدب والحرب بمفهوم أدب الحرب ، ففي كل مؤتمر للكتاب الألمان يتحدثون كما أشاروا عن الأدب والحرب ، وهم يرون أن « التاريخ يجب أن يفعل الكثير حتى لا يصبح العالم تحت وطأة الرعب » وعلى الرغم من كثرة ما يكتب من أدب الحرب فهناك موضوعات عديدة

□ انطباعات عن الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

لم تعالج ، وموضوعات تحتاج الى اعادة معالجة لتكون اكثر جلاء واكثر خدمة للبشرية واكثر افادة للأجيال . حتى ان بعضهم يتساءل على الرغم من كل ما كتب عن موقف الأدب من الحرب ، يتساءل قائلا : « هل الأدب ضد الفاشية ؟ ! يوجد اليوم أناس يريدون الحرب . » .

السيدة ايدا تسنر

واعتقد ان الكلمة المنقذة للإنسانية والمتأصلة فيها ستكون ضد الحرب ، إلا ان انواعا واشكالا من الحروب لن تتوقف ، فالصراع عصب الحياة ، والحياة تفرز الموت كما يفرز الموت الحياة ، واذا كان من تاريخ البشرية الطويل لم يخل من الحروب فاننا نريد ان نبقي احياء في هذا العصر بعد نشوب حرب ، وحيدا حروبا تبقى حياة ، في عصر تسود فيه اسلحة تفي كل شكل من اشكال الحياة ولا تبقى غالبا ولا مغلوبا . وهذا لا يعني أنني مع حرب ما ، ولكن يعني استقرأ لدروس التاريخ التي تشير الى وجود الصراع والقتال والحرب في جوهر الحياة . ولذا فاذا كان لا بد من الشرور فلنختار اهلونها .

الثقافة والأدب وألمانيا :

سوف اتوقف عند سؤال طرحه كاتب ألماني في المؤتمر ، وكنت في معرض الحديث عنه مع بعض الألمان ديمقراطيين واتحاديين هنا في دمشق ، وهناك في برلين ، قبل المؤتمر العاشر للكتاب واتساءه وبعد انتهائه . سؤال ينحصر في الثقافة لا في السياسة ، وإن كان من الصعوبة بمكان الفصل بين الثقافة والسياسة .

والسؤال الذي طرحه الكاتب الألماني على نفسه وعلى سواه قصير ومحدد : أين يوجد الوطن الألماني ؟! واذا كان يهدف الى إثارة غبار الجغرافيا والتاريخ ، فأنني اود ان اکتفي بشق يتصل بالأدب ، او بالثقافة على شيء من التعميم .

□ المطامع من الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

ولا اود على الاطلاق ، وليس من حقى أن أخوض في الإجابة ، ولكنني أطرح السؤال الذي استمعت الى وجهات نظر حوله أثناء خلافنا في الرأي بين أربعة كتاب طرحت عليهم السؤال في لقاء حميم ، في بيت اتحاد الكتاب البرلينيين . وكان بين أولئك : الشاعر فولكر براون ود. جينر بلا كرافت والناقد بنديكث .. وسأكتفي بطرح تنويعات على وتر السؤال :

— هل هناك شخصية ثقافية عامة ، وشخصية أدبية خاصة ، للأدب المكتوب باللغة الألمانية الواحدة ، في اللامانييتين ؟!

— هل يمكن أن يتم تقاسم غوته وشيللر وبريشت ، بيهوفن وباخ وأن يتجلى في مورثات مختلفة ؟!

— وإذا كان الحديث ممكنا عن نظامين سياسيين واقتصاديين مختلفين ، فهل يمكن الحديث عن أدبين مختلفين تماما ؟!

إن هناك عالين منفصلين ولذا بعد الحرب العالمية الثانية ، وأنا ، لتحديد الاختيار مع ألمانيا الديمقراطية وتوجهها ، ولكن بالنسبة للألماني الذي يطرح موضوع « الألمنة » بين الجانبين في الفترات الأخيرة ، كيف يتعامل مع الإرث الثقافي للعالمين الثقافيين المتجاورين في لغة والمستندين الى غوته وشيلر وكيف سينظر الى الوطن الألماني ؟! مع وجود : نيتشه وكانت وماركس وأنجلز في الوطن الألماني ؟!

إن السؤال بريء تماما من طرفي ، وقد طرحته بنوع من التنوع على وتر ، ولكن جوهره العام وربما الغائم طرح في جو العلنية والديمقراطية الذي يتفتح الآن ، وطرح بإيجاز وربما على أسحياء تام في قاعة المؤتمر من بعض الكتاب الألمان .

الادب والحياة والنقد :

لقد ركر الكتاب على دور الادب في الحياة ، وعلى نوع الادب الذي يريدون واهتماماته التي يجب ان تسود ، واعطوا القيمة الحقّة للكلمة وبينوا بعض مواطن الشكوى ، كما رسموا خطوط التوجه من خلال تنوع في الراي يشير الى ثراء مع التقاء على نقاط مشتركة .

فالحياة تستحق ان تعاش وعلى الانسان ان يدافع عن حياته ، والادب يدافع عن استحقاق الانسان في الحياة ، وهذا الاستحقاق ليس ثابتا جامدا ، وانما هو افق يتطوره ويحركه كما يوسعه ويضيقه ، الوعي المعرفي . والوعي المعرفي يرتقي بالحرية ويقتضيها ويؤثر في نوع فهمنا لها وفي تجديد افقها ، ولكي يحصل الانسان على الحق والعدل والحرية ، قد يحتاج للثورة او لا بد ان يحتاج اليها ، ولا يمكن ، بعرف كثيرين ، ان تكون هناك ثورة دون سياسة ثقافية ! . فهل هذا مسلم به . و .

واذا كانت هناك سياسة ثقافية خلالها من وجود من يرعى شؤونها ويطبقها ، وهذا ينشيء طبقة « جنرالات او مارشالات في الثقافة » الامر الذي تدمر منه ستيفان هرملين بشكل عابر .

ان الادب في ألمانيا الديمقراطية ، كما عرض الأدباء وراوا متصل بالواقع اليومي لهذا العصر او هكذا ينبغي ان يكون ، متصل بما يجري امامنا عندما ننظر من النافذة ، وعلى الادب ان يهتم بذلك الذي يجري وان يصوره ويعالجه . « كل الخبز من اجل الشعب » يمكن ان يكون هذا منطلقا لادبنا اليوم . « هكذا اراد بعض الأدباء ان يكون شعارهم ، و اراد آخرون التأكيد بشكل عام على ان « ادبنا يؤكد مسيرة الاشتراكية والسلام . وانه يجب ان يكون واضحا انه لا يمثل راي وزير الخارجية او وزير الزراعة . » .

ولكن آخرين يذهبون في النظرة الواقعية الى مدى اوسع فيرون ان الادب المرتبط بالواقع يجب ان ينعش الخيال ايضا وان ينعش الروح. ويعود بعضهم الى قول ماركس ليؤكد الواقعية على نحو ملائم للأديب حيث يعيد الى الازهان قوله : « في الواقع يوجد مصدر الخيال . » ، والبعض يرى ان مهمة الادب ومهمة الفن عموما ليس هي فقط التعبير عن الحياة ، بل هي العلاقة الجدلية « الديالكتيك » بيننا وبين الحياة .

وابا كان المنحى فان الادب يعبر عن الناس في تطلعاتهم ومعاناتهم ولا يفصل قلبا عن دمه ، وفما عن رغيته ، ولا روحا عن تألقه . وربما كان من اهم ما ينبغي ان يتحلى به الادب ان يحمل املا او ينعش ميت الروح اذ يكفي على حد قول غوته : « يكفي أمل ليحرك ملايين الناس » والادب بذار للامل . وربما كان الشاعر فولكر براون على حق حين قال : « اننا نكتب لنكون اكثر شجاعة تحت تأثير نور الكلمة . » . فالقضية بذار للامل . وربما كان الشاعر فولكر براون على حق حين قال : واظن الا شجاعة دون وعي ، فالوعي الذي تصنعه الكلمة هو الذي يحرر الطاقة الابداعية البشرية من مكانها لتصنع الحرية والعدل وتمهد لعالم افضل ، ولتصنع الانسان في زورق الامن والسعادة مع الآخر وفي علاقة الوجود الحيوية معه ، انها لي وله في آن معا وفي عالم لنا جميعا . فمن المهم جدا ان تكون انسانا وان تعيش بحرية ، وان تكون واحدا منا ، لتكون جميعا في مجتمع له وجود ومعايير ، في حياة تليق بالانسان . لقد تم التعبير عن هموم اخرى وعن اهتمامات وقضايا عديدة في المؤتمر ، منها ما يتصل بالنقد الادبي وبصعوبات النشر ذلك الذي يشكل تاريخه تاريخ الادب ذاته ، والذي يشكو في ألمانيا من غلاء وقلة اصدارات مما جعل

□ انطباعات من الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

بعض الكتاب يتساءلون بخبث قائلين : « هل هذه مشكلة تتصل بالاقتصاد أم تتصل بالسياسة الثقافية ، أم انها في الحقيقة عجائب ثقافية ؟! » واي وسط ثقافي وأدبي لا يشكو من الشكوى من مثل هذه الامور في العالم؟! فهل الثقافة في حالة اضطهاد أو كمون في العالم النامي شأنها في ذلك شأن الثقافة في العالم الذي يسعى الى النمو ، أم هي حالة يؤس لحقت بثقافة عصرنا من ساسة عصرنا؟! واثرت أيضا قضايا تتصل بضرورة الاسراع في اصدار الكتب ، وقضايا تتصل بالبيئة والدفاع الذي هو في النتيجة دفاع عن الحياة ، وكلها أمور تتصل بالحياة عموما وبالحياة الثقافية ومناخها وذورها وفعاليتها على وجه الخصوص ، في ذلك البلد الذي قدم ما قدم للثقافة .

وساد جو من الحرية والنظام والديمقراطية اكده لي جدارة الكتاب بمكانتهم وبدورهم ، وبأن يكونوا مؤتمنين على الكلمة ورسالتها وتاريخها . وقبل أن اصل الى نهاية هذا العرض الانطباعي الموجز عن الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية من خلال المؤتمر العاشر للكتاب الالماني اود أن اشير الى قضية النقد الادبي في سطور .

اشار هرمان كانت في تقريره الى ان هناك كتابا مهمين يتناولهم النقد ، وكتابا مهمين لا يتناولهم ، وهناك كتابا غير مهمين ومن الطبيعي الا يتناولهم والنقد بهذا يمارس دوره مع وجود خلل يلმسه اولئك الذين يعيشون في الساحة الادبية . واذا كانت جميع الساحات الادبية تنادي بنظرة موضوعية في النقد ، وبرؤية ايجابية له ، في الوضع في ألمانيا الديمقراطية لا يختلف عن اوضاع الساحات الاخرى .

ولكن يبدو ان لكل ساحة نقدية - ادبية معاييرها ومتطلباتها ، ولا يمكن ان نغفل مقومات الذوق في مرحلة ما وربما ما يسود من معطيات تكونه في عصر وبئته ، ذلك ان النقاد على تواصل ثقافي مع المعطى العام للايديولوجيات والسياسات اضافة للنظريات النقدية والعملية الاخرى .

وعلى حين نجد مطالبة : بان يكون الادب واقعيا وان يقاس بالاشياء الموجودة في العالم ، نجد اولئك الذين يقولون : القصص موجودة في الشارع ويريدون ان يجمعوا الادب في « كاتولوجات » ، والادب لا يجمع في « كاتالوغات » ونجد من يطالبون النقد لا بالموضوعية ، وانما يتمسكون بمذهب الواقعية النقدية ، ويصرون على ان تكون بين الادب والنقد من جهة وبين الواقع الاجتماعي من جهة اخرى علاقة صريحة . وفريق من الادباء يريد ان يكون النقاد مثل الشرطة في الشوارع يرشدون الاديب ويساعدونه ويشيرون الى الادوات والاشياء الملائمة وغير الملائمة . ولكن التساؤل يرفع راسه هنا : هل يقبل النقاد ان يكونوا مجرد شرطة مرور ، ام انهم يستمتعون بلعب ادوار اخرى : مثل المحقق والقاضي والسجان وربما الطاغية ؟! وهل يرتاح الادباء لنقد يحدد الادوات والاشياء الملائمة؟! الا يؤثر ذلك على حرية الابداع لديهم ؟! تلك أسئلة يشيرها موضوع النقد اينما طرح ، وليس فقط تلك النقاط التي يشيرها حوار هامش في مؤتمر الكتاب الالمان حول موضوع النقد . الا انني اتصور ان مشكلة النقد تبرز الآن في نوع من التبعية للايديولوجيا خصوصا وللسياسة عموما ، والمناسخ الجديد يهيء الفرص لطرح مشكلة النقد وتوجهاته والرؤية العميقة التي ينبغي ان تكمن خلفه وتسهم في توجيه افكار الناقد وتحلدها معايير ، وتحكم ادواته ؟!

□ انطباعات عن الحياة الثقافية في ألمانيا الديمقراطية □

هل يبقى النهج السابق مفروضا ، أم ان تحررا شاملا من قوالب وقيود ونظرات ومناهج سابقة سوف يحدث ، ويؤسس لثورة حيوية في جسم الادب والنقد ، والابداع بوجه عام ؟! ان البوادر تشير الى شيء من ذلك بدءا من مؤتمر اتحاد الكتاب السوفييت الذي سبق ، وبمواكبة لمناخ التغيير واعادة البناء الذي حملته غورباتشوف الى العالم الاشتراكي .

لا شكوك عندي في ان مستجدات كثيرة سوف تطرا على الساحة الثقافية في جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، وعلى الانواع الادبية جميعا ، وسيشمل ذلك جوانب الحياة المختلفة ، ويؤثر بحيوية وفعالية في توجهات الادب والفن والنقد ، وفي الحركة الثقافية ، الا انه لن يكون التيار الذي يتنكر للموروث الحديث ، ولا ذلك الذي يتمرد على كل ذلك الموروث ، ان افكارا ومعطيات ومناهج سوف تتغير وفي العمق الحقيقي منها وسوف يكون مردود ذلك ايجابيا وحيويا على الحياة الثقافية ، اذا ما احسن استخدام ادوات المناهج الجديدة ومعطياته وشرحه ونظر الى الدور الريادي للثقافة في التغيير وعمليات اعادة البناء ، لان كل تغيير يبدأ في الشخصية الثقافية بكل مقوماتها وقدراتها على التأثير وتغيير البنية القيمية وتوجه الوعي في الانسان ، وتوظيف المعطى المعلوماتي ، والمعرفي بالتالي ، لما فيه صلاح امر الناس وامر الحياة ، وهذا ما اتوقع ان يحدث وبفاعلية وسرعة في الحياة الثقافية للبلدان الشيوعية ، ومنها ألمانيا الديمقراطية التي ربما تبطيء قليلا في اجراء التغيير ، ولكنه سيكون اكثر عمقا . *



* القيت هذه المحاضرة في المركز الثقافي لجمهورية ألمانيا الديمقراطية في ١٢ كانون ثاني ١٩٨٨ بمعشق .

غوغول - مؤسس الواقعية النقدية

في الأدب الروسي

زياد الملا



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يقول دوستيفسكي : « كلنا خرجنا من معطف غوغول » . بهذه الكلمات حدد لنا الكاتب الروسي العظيم المكان الذي يحتله غوغول في أدب القرن التاسع عشر .

يعتبر غوغول مع بوشكين مؤسسي المدرسة الواقعية في الأدب الروسي . فهو كاتب وطني بكل ما في الكلمة من معنى . وهو يسبق بوشكين الى مرحلة اعلى ليصبح رائداً للواقعية النقدية وواحداً من كبار ممثلي المدرسة الواقعية النقدية في الآداب العالمية .

يقول بيلينسكي : « غوغول - اديب الحياة الواقعية » . فبفضل غوغول أصبح الأدب الروسي قوة مادية عظيمة ، قادرة على فضح نظام

القنانة والإقطاع وعلى النضال من أجل تغييره كلياً . ويرى تشيرنيسيفسكي في غوغول مؤسساً لفترة أدبية جديدة تسمى بالعهد الغوغولي في الأدب الروسي نظراً للتأثير الهائل الذي تركه غوغول في الأدب الروسي كله في القرن التاسع عشر .

ولد نيقولاي فاسيليفيتش غوغول في العشرين من آذار عام ١٨٠٩ في ضيعة سورو تشينكي - منطقة بولتافا في عائلة ملاك غير ثري وشب في عزبة والده في فاسيليفسكي . وكان هذا الوالد من عشاق الفنون ومن محبي المسرح ، كما كان ينظم الشعر ويكتب الكوميديات اللاذعة . وكانت تزوره أيضاً شخصيات من رجالات الآداب والفنون . قضى غوغول عامين في مدرسة المنطقة ثم انتسب إلى المدرسة العليا للعلوم . وهناك اقتحم باب الآداب وشارك في مجلات المدرسة وفي التمثيليات كممثل موهوب في أدوار كوميدية حيث قام بدور بروسنوكوف في « المواقف » لغانزبرين .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كان مولعاً بقراءة الكتب وبشكل خاص كتب بوشكين . كما كان يحفظ الأمثال والأقوال المأثورة والكلمات الروسية ذات النكهة الخاصة والإنشائي وغيرها . واستفاد من هذا كله في مجموعته القصصية عن أوكرانيا . وفي المدرسة كتب عدداً من الأعمال الصغيرة مثل « سمكتان » وقصيدة « روسيا تحت نير التتار » ومأساة « قطاع الطرق » والكتاب الساحر « لا شيء عن نيجين أو ليس هناك من قانون مكتوب للحمقى » . ونظم الكثير من الأشعار في مواضيع مختلفة . وبدخلها غوغول مرحلة جديدة من التثقيف الذاتي حيث يقرأ شكسبير وغوته وشيلر . وفي عام ١٨٢٧ كتب رسالة لامة يقول فيها : « أنا أمتحن قواي لكي أساهم في رفع مستوى العمل لصالح الوطن وسعادة المواطنين ولأجل رفاه الناس » . في عام ١٨٢٨ أنهى المدرسة وسافر مع أحد أصدقائه إلى

□ غوغول - مؤسس الواقعية النقدية في الأدب الروس □

بطرسبورغ ليشق بنفسه طريق مستقبلي . ولم تكن الحياة كما حلم بها في عاصمة القيصر نيقولاي . فكتب من هناك الى امه : « لا روح تشع في الشعب على الإطلاق » فالتاس مهتمون بالمصالح التافهة والذاتية » .

لم تلق قصيده « غانتس كيوخيلكارتين » التي نشرها عام ١٨٢٩ النجاح . إنها قصيدة رومانتيكية . وقام غوغول بتمزيق اوراقها نظراً لشدة الهجوم النقدي عليه رغم أن تشيرنيسيفسكي رأى انها مفعمة بمشاعر الود والحب للحياة الواقعية .

ونظراً للحالة النفسية الصعبة التي بدأ يعاني منها غوغول فقد قرر السفر خارج البلاد كي يبعد السأم عن ذاته ولكنه سرعان ما عاد الى بطرسبورغ . وفي نهاية عام ١٨٢٩ فقط استطاع الحصول على عمل بصفة موظف صغير . ولكن هذا العمل ايضاً حقق له ما كان يرجوه من السعادة .

في تلك الاثناء كان يطلب في رسائله الى امه أن تجمع له الحكايات والأغنيات وأن تشتري العملات والكتب القديمة . وفي عام ١٨٣٠ ظهرت أول قصة اوكرانية له بعنوان « بيسافريوك » نشرها فيما بعد بعنوان « امسية عند ايغان كوبال » . وفي كانون اول من نفس العام نشر فصلاً من الرواية التاريخية « غوتمان » . كما نشر في « الجريدة الأدبية » فصلاً من قصة « الخنزير البري » . والهمه الفصل الاول من رواية « غوتمان » لكتابة « تاراس بولبا » . وغوتمان هذا هو أحد قادة الكفاح البطولي للقوزاق الأوكرانيين ضد الغزاة البولنديين في بداية القرن السابع عشر . ولم يكملها بسبب ظهور فكرة تاراس بولبا لديه .

وفي إحدى الامسيات في منزل بليتنوف جرى التعارف بين غوغل وبوشكين ، وكان هذا في العشرين من ايار ١٨٣١ . وهو حدث على غاية من الاهمية بالنسبة لغوغل بشكل خاص . وسرعان ما تحول التعارف الى صداقة وتركزت هذا الصداقة تأثيراً حاسماً في تطور النظرات الاجتماعية لدى غوغل الشاب . فقد لمس بوشكين موهبة فذة لدى غوغل فقاده الى تلك الحلقة التي كان يلتقي فيها كريلوف وقبازيمسكي وجوكوفسكي وادافسكي والفنان برولوف . وأعطى بوشكين لغوغل مواضيع لتأليف كتب حولها مثل « المغنثس » و « النفوس الميتة » . يقول بوشكين : « لم تظهر بعد تلك الموهبة التي تستطيع الكشف عن دنات الحياة مثلما يقدر على هذا الامر غوغل » . ويقول غوغل : « عندما كنت ابدع عملاً ما ، كنت ارى امامي فقط بوشكين . وأنا لم اتخذ اي قرار ولم اكتب اي شيء بدون نصيحته . وكل ما لدي من اشياء جيدة اراني مدبناً لها » . وسار غوغل جنباً الى جنب مع بوشكين في النضال ضد أعداء الأدب الروسي التقدمي عن طريق كتابته للمقالات اللاذعة ونشرها في مجلة « المعاصر » لبوشكين .

يتمتع غوغل بموهبة غير عادية ، فذة وقوية . فهو يقف في طليعة الادب والأدباء ويشغل مكان بوشكين بجدارة .

إن الحقيقة الكاملة عن الحياة ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببساطة الفكرة في قصص غوغل . فهو لا يتملق الحياة ولا يفتانها . إنه سعيد بالكشف عن كل شيء وعن كل ما في الحياة من جميل وإنساني . وفي الوقت نفسه لا يتجاهل القبح والظلمة . إنه صادق مع الحياة حتى النهاية . فهي بالنسبة له صورة حقيقية عن كل شيء .

إن قصص غوغول شعبية على أرفع المستويات . والشعبية ، كما هو معروف ، شرط ضروري للمؤلف الفني الواقعي . وهي أيضاً أصلية لا تزيف فيها . وهذا أيضاً شرط لا بد منه للموهبة الحقيقية . ففي « مذكرات مجنون » استهزاء بالحياة البائسة والإنسان البائس . إنها صورة كاربكاتورية مع أنها واقعية وإن كانت غير قابلة للتصديق في بعض الأحيان . فهي لوحة حية عن الإنسان المسحوق في المجتمع الطبقي . وفي « أمسيات الغربة » صفحات شاعرية مشبعة بالحياة والفننة . إنها شعر فتي وطازج مثل قبلة الحب الأولى . وإذا ما قرأ احداً « ليلة نوارية » في مساء شتوي قرب المدفأة فسوف ينسى الشتاء وصقيعه وعواصفه بل سوف يعجب بهذه الليلة المشرقة . وتعتبر قصته التي كتبها بعنوان « النقاد » براءي النقاد محاولة غير موفقة . فمنا تهبط موهبته . ولكنه في هبوطه يظل موهوباً وفذاً . وتبرز أمامنا « تاراس بولبا » كقطعة من ملحمة عظيمة عن حياة شعب بأسره . إنها نموذج عن ملحمة هوميروس .

ظهر الجزء الأول من كتابه « أمسيات الغربة القريبة من ديكانكي » في ايلول عام ١٨٣١ والجزء الثاني في آذار عام ١٨٣٢ . يقول بوشكين عن هذه الأمسيات : « لقد أذهلني هذا الكتاب . إنه المرح الحقيقي المخلص والصادر عن القلب . وفي بعض الأحيان أشعر وكأنني أقرأ شعراً لا نثراً . ما أروع هذا الحس الموسيقي » .

كان غوغول بعيداً عن طريق المدرسة الطبيعية والمدرسة العاطفية (السنتمنتالية) كذلك . وبشكل هذا الكتاب انعطافاً كبيراً نحو الاتجاه الشعبي . وفي الوقت الذي امتدحه فيه بوشكين وبيلينسكي ، ثار النقاد الرجعيون ضده لأنهم رأوا فيه كتاباً تفوح منه رائحة أذواق الشعب البسيط . ولهذا السبب بالذات قال غيرتسين : « ينتمي غوغول إلى الشعب من حيث ذوقه وتكوينه الذهني والعقلي » .

وفي عام ١٨٣٥ ظهرت مجموعته القصصية « ميرغورود أو مدينة السلام » وهي تضم « الملاكون الزائلون » و « تاراس بولبا » و « الساحر » و « قصة كيف تخاصم ايغان ايغانوفيتش مع ايغان نيكيفوروفيتش » . وهذه القصص تكملة للمواضيع القصصية الاوكرانية . ويرى بيلينسكي في المجموعة الجديدة عمقا وصدقاً اكثر بالنسبة لتصوير الواقع ، وخاصة لدى الحديث عن اخلاق المجتمعات الطبقيّة ومآسيتها .

إن مصير الشعب الذي كان يستحوذ على اهتمام بوشكين وليرمنتوف كان في الوقت نفسه يشغل بال غوغول . وهنا ظهرت « تاراس بولبا » . لقد أعطى عصر التحرير الوطني للشعب الاوكراني في القرنين السادس عشر والسابع عشر المحتوى التاريخي لهذه القصة . وتكمن قوة الحركة الوطنية في طبيعتها الشعبية ومفزاها . ففيها تسطع عظمة كفاح الشعب الاوكراني في سبيل استقلاله الوطني والمأساة التاريخية لهذا الكفاح .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تاراس بولبا - تجسيد حي للنضال النموذجي للقوزاق الاوكرانيين وحبهم للحياة . فتاراس وطني غيور ، ومنتقم شديد لأجل حرية المضطهدين والمظلومين .

كتب غوغول عام ١٨٣٣ مجموعة أخرى من القصص عن الحياة البلطسبورغية وفيها ابرز موضوع ترسيخ العلاقات البرجوازية في المدينة . وتشكل هذه القصص خطوة جديدة على طريق تطوير الواقعية الروسية . ففيها يتناول الكاتب حياة الموظفين الصغار والحرفيين والفنانين والبسطاء . ومن هذه القصص « شارع النيفا » التي اعتبرها بوشكين افضل قصة ابدعها غوغول . ويرى بيلينسكي في شخصيات هذه القصص البلطسبورغية تعبيراً صادقاً ورائعاً عن تناقضات الحياة

□ غوغول - مؤسس الواقعية النقدية في الأدب الروسي □

الاجتماعية في ذاك العصر . وتدخل قصة « الصورة » ضمن هذه المجموعة .
بطلها الفنان تشارتكوف . يهدف تشارتكوف للحصول على الثروة . لذا
يحاول الخضوع لأذواق الزبائن فيصبح حرفياً وصولياً ويقتل مواهبه
بنفسه . وهنا ينتقد غوغول الأسلوب التجاري في العلاقة مع الفن .
فالفن معرض للهلاك عندما تسيطر سلطة الذهب الرهيبة .

كان استعراض غوغول للمشكلة سليماً . غير انه وجد الحل لإنقاذ
الفن : في الاخلاق الدينية وليس في تغيير التركيبة الاجتماعية . وحاول
غوغول تجسيد هذه الفكرة بالذات في قصته الثانية . ولكن اعاد غوغول ،
تحت تأثير انتقادات بيلينسكي ، كتابة هذه القصة بحيث ضعف الجانب
الخيالي وفكرة المفزى الديني الاخلاقي للفن وتم التشديد على الواقعية
في تصوير اسباب مقتل تشارتكوف ، والتركيز على ان الفنان يجب ان
يحافظ على صفاء الروح وان يرتفع فوق الأمور الصغيرة اليومية .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تعتبر قصة « المعطف » من أهم مؤلفاته ضمن مجموعة القصص
البطرسبورغية . وقد ظهرت فكرتها لديه في عام ١٨٣٤ وبعد كتابتها قراها
مخطوطة امام بوشكين في عام ١٨٣٦ ووضعها في صيغتها النهائية للنشر
عام ١٨٤٢ .

يقول بيلينسكي : « استطاع غوغول ان يجد الشيء المأساوي ليس
في الكوميديا بل في دناءة الحياة ووضاعتها » وكتب غيتسين في رسالته
الى تورغينيف : « لليوم الثالث اميد قراءة المعطف . إنه مؤلف هائل » .

بطل « المعطف » اكايي اكاكيغيتش باشماشكين . إنه نموذج الإنسان
المعرض للاهانة والاستهزاء . وهو لا يعرف أية سعادة او تسلية . وعندما
كان يعود الى البيت كان يفكر بأن سعادته كامنة فقط في الحصول على

معطف . وكان يشعر بأنه اخ لجميع الناس وأن أساس الحياة هو الخير .
إن غوغل لا يضحك من بطله بل يشفق عليه . وتثير القصة الاستياء من
عالم الظلم والعبودية . إنها احتجاج غاضب وعنيف . وقد تركت هذه
القصة تأثيرها الكبير عند دوستيفسكي الذي كتب « الفقراء بهذه الروح
الغوغولية » .

لقد اعطى بوشكين لغوغل فكرة « المفتش » فكتبها غوغل وقراها
امام جوكونسكي . وقد مثلت للمرة الاولى في ١٩ نيسان ١٨٣٦ على مسرح
بطرسبورغ ولاقت نجاحاً باهراً . بيد أن المؤلف لم يكن راضياً ابداً عن
تمثيل ابطال المسرحية ، وحتى أن الممثل الروسي العظيم شيبكين لم
يستطع ايفاء الدور حقه كاملاً . ولم ينجح في هذا الدور إلا في عام ١٨٣٨ .
وكان نجاحاً باهراً للدرجة أن بيلينسكي قال : « لقد فهم الممثل الشاعر » .
تتناول هذه المسرحية الكوميدية المسائل الحية واللحة في ذاك العصر .
وقد رأى ممثلو الأدب الروسي التقدمي فيها نقداً لاذعاً لروسيا في عهد
نيقولاوي مع بروز فكرة رفض الحياة القائمة . واعتبر تورغينيف هذه
المهارة إحدى أكثر الكوميديات التي ظهرت في عالم المسرح سلبية وأن
غوغل قد أشار من خلالها الى الطريق الذي يجب أن تسير فيه الدراما
الروسية » . وتقف « المفتش » في الواقع في قمة تطور الكوميديا الروسية
كانعطاف نحو مرحلة جديدة من تاريخها . إنها ملهاة على غاية من الصدق
ومشبعة بالمرح والنكتة اللاذعة . « المفتش » تعرية كاملة للرشوة والفساد
والظلم والوضع الصحي والمعاشي المرعب . فالفقير اذا مات مات واذا عاش
عاش ، ومسؤول الصحة والمرافق العامة زيمليانيك مثال للانسان العديم
الضمير والوجدان . وأما مسؤول المدرسة خلوپوف فيرتجف من الخوف
عندما يسمع بوصول مفتش جديد لأن المدرسة في وضع يستحيل فيه

□ غوغول - مؤسس الواقعية النقدية في الأدب الروسي □

تسميتها مدرسة ، ومسؤول البريد شبكيين اتفه لإنسان ولا يعشق سوى الاخبار والوشايات . فهو نعام من الدرجة الممتازة . واما خليستاكوف فهو من اسطع النماذج التي ابدعها غوغول إنه طبيعة جديدة كلياً في الأدب العالمي . فهو تافه وسخيف ويعيش مما خلفه له أبوه الملاك وتتجسد فيه الوقاحة . وهو ، اقل ما يقال عنه بالمفهوم العالمي : خفيف . إنه مجرد أحق كما وصفه غوغول . فهو ثرثار وكذاب ومنافق وجبان وليس لديه أدنى مفهوم عن الخير والشر . وهو ليس مضحكا ، بل هو في الواقع وريث النظام البيروقراطي كما أنه وريث التفاهة والانحطاط المترسب من مجتمع القنانة . هذه هي الصفة اللازمة للآلاف من معاصريه ولأحقيته . وهذا يضيف أهمية كبرى على جوهر الموضوع .

غوغول كاتب واقعي . فهو لم يتناول أحداثاً طارئة بل أخذ ظواهر تمكس جوانب الواقع الأكثر جوهرية . إن شخصياته الفنية واقعية حقيقية دون خيالات ولا مبالغات . كما أنه لا يوجد بطل إيجابي في أدبه . ولكل بطل من أبطاله لفته المتناسبة مع موقعه وموقفه .

بعد عرض هذه الكوميديا جرى هجوم عنيف عليه من جانب الرجعية . فغادر البلاد وانتقل في البداية الى سويسرا ومنها الى باريز . وهناك تابع عمله في كتاب « النفوس الميتة » والذي كان قد بدأه وهو بعد في روسيا . وهناك في باريز سمع عن موت بوشكين فهزه النبا وكتب الى بليتوف : « لا يمكن تلقي أي خبر من روسيا أسوأ من هذا الخبر لقد ذهبت متعة حياتي كلها مع ذهابه » .

وفي آذار ١٨٣٨ انتقل غوغول الى روما . وهناك أعجبه الطبيعة الإيطالية والفن الكلاسيكي . وفي الوقت نفسه شاهد الفقر والفاقة وحالة

الشعب البائسة في ظل الحكم النمساوي المتحكم في رقاب الايطاليين .
ويعود غوغول الى الوطن لنشر كتابه « النفوس الميتة » .

تعتبر « النفوس الميتة » أحد المؤلفات العبقرية والغدة في الاداب الروسية والعالمية . لقد ظهرت فكرة هذا المؤلف العظيم وترسخت في ذهنه تحت التأثير المباشر لبوشكين . وهو نفسه يعترف في مذكراته بهذه الفكرة - المضمون . وقرا غوغول أمام بوشكين الفصول الاولى من هذا الكتاب . وبعد ان اتم قراءتها قال له بوشكين الذي كان يصفي بانتباه شديد : « ما اتعس بلادنا الروسية ! » . لقد عمل غوغول خمس سنوات في كتابة المجلد الاول من النفوس الميتة » والذي انجزه في كانون اول عام ١٨٤٠ . وفي كانون اول ١٨٤١ وقمت النسخة الاصلية - المخطوطة في ايدي لجنة الرقابة في موسكو - وبدأت الصعوبات فكتب الى بيلينسكي ليعمل على تقديم المخطوطة ونشرها في بطرسبورغ . ووافق بيلينسكي على هذا الطلب بكل سرور . وتراجعت الرقابة البطربرغية تحت ضغط الاوساط الادبية وان كانت قد خذلت الكثير منها وخاصة النقاط اللاذعة وخرجت الرواية الى الوجود في نهاية ايار عام ١٨٤٢ وقال غيرتسين معلقا عليها : « هزت « النفوس الميتة » روسيا بأسرها » . وشنت الرجعية هجوما عنيفا عليه متهمة إياه بأنه لا يحب روسيا وأنه يستهزئ بالمجتمع الروسي . لقد هاجموه بسبب النزعة الديمقراطية والافكار التحررية المسيطرة على روح القصة . فالسخرية لدى غوغول ليست سوى مفهوم عن الرفض لما هو قائم وليس هدفة الاستهزاء كما يدعون . إنهم يستنكرون هذه الآراء لأن اللوحة التي رسمها لنا غوغول ، والتي يدعون أنها ليست سوى لوحة كاريكاتورية ، ما هي في الواقع إلا لوحة فنية واقعية انتقادية لاذعة ، لوحة إنسانية تسعى الى إزالة الزيف والرشوة والفساد والقضاء على الظلم الاجتماعي بجميع اشكاله .

كتب بيلينسكي : إن غوغول ، بإبداعه هذا العمل الأدبي ، قد خطا خطوة عظيمة لدرجة أن كل ما كتب وأبدع قبله يبدو هزيبا وباهتا بالمقارنة مع هذا المؤلف . لقد أبرز غوغول تلك الطبيعة الطفيلية لوجود بضع عشرات من المالكين الكبار لنفوس الاقنان . وبشكل هذا الوضع الاساس لنظام الإقطاع والقنانة بأسره . ففي احاديث ملاكي الاراضي نرى ان النفوس الحية والنفوس الميتة عبارة عن بضاعة عادية . إنهم يتكلمون عن الاحياء كما عن الاموات ... مايلوف ، من حيث طبيعته ، طيب وخلوق ومهذب . ولكن كل هذه الصفات اتخذت اشكالا مضحكة وهجينة . فهو لم يفد الناس بشيء . وحياته كلها مليئة بتوافه الامور . وكارابوتشكا ملاكة غير ثرية جداً تشكو من قلة الحصول على الدوام ، إنها ليست ضد الثقافة العالية مثل مايلوف . وينحصر ههما كله في التوفير والتخزين ... فهي معدومة الشعور الانساني بحيث تحولت الى عبدة للمال . فالاقنان بالنسبة لها ليسوا سوى بضاعة لا أكثر لذا لا ترى فرقا بين النفوس الحية والنفوس الميتة . ونوزدريف يحب التسلية والعريضة ولعب الورق وحب الشجار . وهو ثرثار وذو لسان احمق ومتهور عدا عن أنه كذاب . ويعمل ماباكفيتش (يمكن ترجمة هذا الاسم الى العربية بكلمة : المستكلب) على جمع الثروة والحصول على كميات وافرة من الطعام . وببلوشكين مثال نموذجي للتفاهات والدناءات والوقاحات . وهو بخيل وجشع لدرجة انه تنكر لزوجيه ولطفلته كما انه كان يرفض استقبال اي ضيف في حياته . بطل القصة الرئيسي بافل ايفانوفيتش تشيشيكوف . إنه بطل نموذجي للاقتصاد الراسمالي البدائي . وهو يمثل رجال الاعمال الذين ظهروا في روسيا في الثلاثينات لذا نراه يتمتع بكل الصفات والطوائع التي يتمتع بها الراسمالي في بداية حياته . فهو ذكي وحاذق في تفهم وإدراك اساليب التعامل مع كل إنسان وليست لديه أية مشاعر وطنية تجاه الوطن والشعب لانه لا يهمه سوى مصلحته الذاتية الانانية .

لقد اختار غوغول موضوعاً اعطاه الحرية الكاملة للسفر مع بطله عبر روسيا بأسرها واستخراج طبائع على غاية من التنوع وإن شراء نفوس الأتقان - هو أفضل موضوع يساعد الكاتب في الكشف عن روح العصر وتبيان الطبائع النموذجية وتناول أهم مسائل العصر الحاضر .

صور لنا المؤلف في هذا العمل الأدبي الرائع لوحة مروعة عن مجتمع الاقطاع والقنانة ، عن المجتمع الذي تنعدم فيه عناصر الشرف والواجب الاجتماعي والأخلاقي .

شرع غوغول في كتابة المجلد الثاني من هذا الكتاب قبل انهاء الأول . وجرى هذه الكتابة في فترة الازمة النفسية التي مر بها الكاتب عندما كان يحاول حل مسائل التطور الاجتماعي دون نتيجة .

لقد اشتدت في تلك الفترة أزمة القنانة وبدأت تبرز اتجاهات التطور البرجوازي . وكان غوغول ، الذي يكره ، بل حتى أنه يحتقر ، سيطرة النفوس الميتة ، يعارض أيضاً ويشده عالم الرأسمالية الذي تبلور في الغرب . لذا أراد غوغول في المجلد الثاني الاستمرار في عرض اللوحة الساخرة واللاذعة ، لكنه لم يكن على وعي كامل بمسائل التطور ولم تبرز له الصورة الاجتماعية بكل عمقها واتساعها مما أدى به للابتعاد عن بيلينسكي وغيره من الوقوع تحت تأثير الناس ذوي الامزجة الرجعية فبدأ البحث عن أبطال ايجابيين في صفوف هؤلاء الذين كانوا ينظر الكاتب بالذات ، ومنذ فترة غير بعيدة ، مثلاً للحظة والدناءة . لذا يبرز في هذا المجلد بطل جديد على قراء غوغول . إنه ملاك اقطاعي ، مثالي هدفه ، كما يدعي غوغول ، ليس الحصول على الثروة بل الاهتمام بالفلاحين ورفاهية البلاد الروسية . ويتراجع الكاتب عن الواقعية تدريجياً ، وإن كانت هناك جوانب ايجابية في المجلد الثاني لها أهمية سياسية كبيرة حسبما لاحظ تشيرنشييفكي .

يقول تشيرنيسيفسكي : « استطاع غوغول ، رغمًا عن كل حالات الضياع في السنوات الأخيرة ، الاحتفاظ بجانب كبير من احتجازه ومن حقه على مجتمع الظلم والاستبداد » . تكمن مأساة غوغول في أنه لم يدرك المخرج من الظروف القائمة . ففي الوقت الذي أدرك فيه انهيار المجتمع القديم ، لم يستطع الارتفاع الى مستوى ادراك ضرورة الكفاح الثوري ضد روسيا القديمة والنضال من أجل الاشتراكية ، ولو بشكلها الطوباوي .

وقع غوغول في ظلمات التصوف ومناهاتها حتى انه وصل الى حالة اصدر فيها في عام ١٨٤٧ كتابًا سيئًا بعنوان « أماكن مختارة من رسائل مع الاصدقاء » فبث له بيلينسكي برسالة اشتهرت فيما بعد في النقد الروسي كعمل أدبي وسياسي كبير . وقد انتقد بيلينسكي فيها الأفكار الرجعية التي يحتويها الكتاب ودعاه للتبرؤ منه . ويعترف غوغول أن الرسالة تتضمن « جزءًا من الحقيقة » كما أنه يعترف بابتعاده عن روح روسيا بسبب عيشه لفترة طويلة من الزمن خارج حدودها .

يقول بيلينسكي في رسالته : « لقد أدى ظهور كتابك الى استياء وسخط عميقين من جانب القلوب الطيبة جمعاء وحتى انه يعتبر تراجعًا عن مواقف كتاباتك السابقة كلها . إنك تعرف روسيا بعمق ولكن كفنّان فقط وليس كمفكر . إن روسيا لا ترى أن انقاذها يتم عن طريق التصوف والتنسك والزهد بل في التقدم وفي نجاحات الحضارة والتربية والروح الانسانية . فهي ليست بحاجة الى الادعية فيكفيها ما سمعته ، ولا الصلوات فيكفيها ما صلته . إنها بحاجة الى ايقاظ مشاعر الكرامة الانسانية في الشعب . إن المسألة الملحة الآن في روسيا هي القاء نظام القنانة والغاء العقاب الجسدي . إنك تريد تعليم الملاك البربري طريقة نهب الفلاح بقدر ما يستطيع وذلك باسم المسيح والكنيسة . وهل تريد مني أن لا استاء... ؟

□ غوغول - مؤسس الواقعية النقدية في الأدب الروسي □

إنك لو كنت ممثلاً فعلاً بحقيقة المسيح وليس بالتعاليم الشيطانية لما كتبت ما كتبت في كتابك الجديد عن أن الفلاح أخو الملاك . وهل يمكن للأخ أن يكون عبداً لأخيه . . . » .

وتحت تأثير هذا النقد بدأ يحاول من جديد التراجع والعودة الى حياته الماضية الشريفة في مجال الإبداع الأدبي . ولقد بلغ غوغول أصدقائه بأنه قد أحرق ثمار ما أنتجه خلال خمس سنوات في وضع المجلد الثاني وبدا الكتابة من جديد . وانتهى هذا المجلد في عام ١٨٥٠ . ولكن قبل عشرة أيام من وفاته وفي ليلة الثاني عشر من شباط عام ١٨٥٢ أحرق غوغول هذه النسخة الجديدة أيضاً . ولم يبق منها سوى خمسة فصول مخطوطة . ويفارق غوغول الحياة في الرابع من آذار عام ١٨٥٢ . وتتخذ السلطات الإجراءات اللازمة لمنع أية مظاهرة معادية للحكومة في يوم تشييع الجنازة . ورغم المنع خرجت موسكو عن بكرة أبيها لتوديع الكاتب العظيم .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يقول تورغينيف : « مصيبة مؤلمة أذهلتنا . لقد مات غوغول . وليس هناك من قلب لم يدم في هذه اللحظات . فهو بالنسبة لنا الأكبر من كاتب . . يجب أن يكون الإنسان روسياً حتى يفهم من الذي فقدناه » . وبسبب هذه الكلمات تم اعتقال تورغينيف بأمر من نيقولاى الأول ونفيه من العاصمة . ونظم الشاعر الديمقراطي الثوري نيكرا سوف قصيدة مكرسة لغوغول بمناسبة وفاته وراثته تشيرنيشيفسكي بكلمات مؤثرة للغاية ، ورأى فيه معلماً للكتاب الديمقراطيين جميعاً .

غوغول فنان واقعي عظيم . ولإبداعه أهمية كبيرة في تطوير الأدب الروسي كله . وقد استحق لقب زعيم المدرسة الواقعية النقدية في الأدب بكل جدارة وذلك باعتراف جميع النقاد .

□ غوغول - مؤسس الواقعية النقدية في الأدب الروسي □

لقد أثر غوغول في تورغينيف ونيكرا سوف وتلستوي الذين رأوا فيه معلماً كبيراً تأثيراً واضحاً . يقول تشيرنيشيفسكي : « كل كتاب عصرنا الموهوبين ولدوا من غوغول . وسار ساليستكوف شيدرين على النهج الغوغولي وقلده كلياً للدرجة أن النقاد سموه تلميذ غوغول الأول .

تقوم أهمية غوغول في مجال الآداب العالمية على أن أبطاله يعيشون فيما بيننا في كل مجتمع رأسمالي .

في الرابع من حزيران عام ١٩٥٢ وبمناسبة مرور مئة عام على وفاتهلقى الكاتب الانكليزي التقدمي جيمس اولدريج كلمة بهذه المناسبة في مسرح البلشوي بموسكو قال فيها : « لو أراد غوغول أن يصور المنافقين والأفاكين والظالمين في إيماننا لكان عليه أن يبحث عنهم في أماكن تواجدهم أي ليس في وطنه الحالي بل خارج حدود بلاده » . وقد أطلق عليه الكاتب البلغاري إيفان فازوف لقب « الفنان الساحر » وأنه أبو المدرسة الواقعية النقدية بلا منازع . إنه عبقرى فريد من نوعه .



قصيدة «النيزك»
للشاعر الروماني
ميهاي إيمينيسكو
١٨٨٩ - ١٨٥٠

ترجمة: رياض هاني رعد

الشاعر ميهاي ايمينيسكو, Mihai Eminescu,

١٨٨٩ - ١٨٥٠

من عظماء الشعراء الرومانيين ، ولد في ١٥ ك ٢ / ١٨٥٠ في بلدة ايوتشي حيث قضى فيها طفولته ودرس في مدرستها الابتدائية . ثم انتقل ليكمل دراسته الثانوية في تشيرناوس وبلاج . سافر بعدها الى فيينا وبرلين لمتابعة التحصيل العلمي . مارس مهنة التدريس في ملاك التربية ثم مهنة الصحافة .

نشر اولى قصائده في مجلة الاسرة عام ١٨٦٦ ، له دراسات متعددة، وروايات ادبية بأسلوب ثري متميز . مات الشاعر ايمينيسكو في سن مبكرة بعد ان ترك اكثر من عشرة آلاف صفحة من الادب الرائع . ترجمت اشعاره الى عدة لغات عالمية . القصيدة المترجمة « النيزك » تعتبر من اشهر اعماله الشعرية دون منازع .

الشاعر الروماني ميهاي ايمينيكو

« التيزك (١) »

كان يا ما كان في غابر الزمان
شيء لا يخطر في الازهان
فتاة رائعة الجمال
تنحدر من اشهر الاصل ..

وكانت وحيدة لوالديها
فخورة معشدة بنفسها
كالعدراء بين القديسين ..
كالقمر بين النجوم ..

من بين ظلال القناطر النخمة
تمشى قربة الشافطة ..
وكان في الانتظار ..
نيزك وسيم ..

وكان يرقبها من بعيد ..
ويرسل اشعته الالامعة ..
على الطرق المتحركة ..
ويظهر في البحار ..
مراكب سوداء ..

(١) التيزك - هو الشاب الوسيم او « نجمة الصبح » .

ما زال تدترق بينه اليوم ..
وستبقى ترفبه أبدا ..
وبهذا تحقق رغبتها ..
ويراقبها منذ أسابيع ..
يتمنى أن تأتي إليه ..

ها هي بالحلم مفكرة ..
راسها بين ذراعيها ..
والنيزك وحده في الحلم ..
في القلب يعيش وفي الروح ..



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وعندما تبدو له

تراه يشع في كل مساء
نحو ظل القلعة السوداء ..

ويسير بضوء يتبعها ..
حتى لو دخلت غرفتها ..
يتمايل شوقاً يترنح ..
والشرر البارد يتهادى ..
فيشكل وهماً من نار ..

وعندما تتمدد في سريرها
كي تنام
تضع يديها على صدرها ،
وتغمض أجفانها بهدوء

مرآة تعكس صورتها
والضوء يشع على الجسم
والعين الوسنى والوجه ..

راقبتُه بابتسامة
فارتجف الضوء على المرأة ..
فهو في حلم يتبعها
كي تصبح روحها بين يديه ..

وهي تحدث في الحلم
تنهد قائلة :

يا فارس احلامي دوماً ..
لماذا لا تأتي الي ..
ابها الخطيئة ..

<http://Archivebeta.Sakhr.it>

اهبط الى الاسفل
ابها النيزك الجميل
انحدر بأشعتك ..
اخترق البيت والفكر
واضئ حياتي ! ..

ها هو ذا يصفي ويرتجف ..
ويشع ، يتلألا أكثر ..
ويقذف كالبرق بنفسه ..
ويغيب في قاع البحر ..

□ التيسره □

ودوائر عائمة ظهرت .
اذ سقط النيزك في الماء ..
ومن الاعماق المجهولة ..
ظهر شاب فخور !..

اقترب النيزك بهدوء
وتميل بقرب النافذة
حاملًا بيده عصا
مقصية ..

النيزك ذو جسم صلب
ذو شعر ذهبي اشقر
والجرح منقوش بحريير
في الكتف الماري ، كالكتف ..

وظلال الوجه الشفاف ..
كانت يضاء كالشمع
والميت جميل ذو اهداب ..
بالنور تشع الى العالم ..

قد جئت من عالمي بصعوبة ..
كي اتبع بالشوق نداءك
فالسماء ابي ..
وامي البحر ..

ولدت متهما وايتت ..
كي ادخل غرفتك ..
وعن قرب اناملك ..

تمالي ايا جوهرتي الغالية
واتركي دنياك ..
انا النيزك السماوي
وانت انت عروسي ..

وهناك في القصور المرجانية ..
ساخذك ونعيش قروناً عديدة
وكل الناس في هذا المحيط
ستصفي اليك ..

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

انت جميل كما الاحلام
تبدو كملاك حقيقي ..
لكنك عبر هذا الطريق ..
لن تحقق الهدف المنشود ..

انت غريب اللغة ..
وغريب أنت عن الميناء ..
تشع ضياء من دون حياة ..
ميت انت .. وانا حية ..
وعينك تجمدني ..

□ النيزك □

يوم مرّ .. ومرّ ثلاثة ..
والليلة تأتي ثانية ..
والنيزك في الأعلى يبدو ..
نجماً بشمعاً ذهبى ..

يحتاج اليها في النوم
وعندما يذكرها ..
بكائها الشوق لرؤيته ..

اهبط للأسفل ..
أيها النيزك الجميل ..
انحدر بأشمتك
اخترق البيت والفكر ..
واضئ حيثاتي

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakqa.net>

وعندما يسمعها في السماء ..
تنادي ..
ينطلق بالم ..
وتبدأ السماء بالدوران ..
حتى النهاية ..

في الكون الملتهب الأحمر
سبيدي النيزك .. يتحير ..
في جو من فوضى ..
اغبر ..

وانعكس الضوء على الشعر
الاسود
فبدا يتماوج كالنار
والنيزك يتهادى حقاً
في وهج الشمس الذهبية ..

في الكفن الاسود تظهر
اطراف سواعد من مرمر ..
وحزيناً يأتي ومفكر ..
ذا وجه مصفر شاحب ..

في الليل الداجي في الظلمة
عيناه الواسعتان تشعان
بشكل وهمي ساحر
كماطفة جلي بالشوق ..

من دنياي اتيت
كي اسمع صوتك يا حبي
فالليل والدتي .. والشمس أبي .

تعال يا جوهري الغالية
واتركي دنياك
انا النيزك السماوي
وانت .. انت عروسي ..

□ النيزك □

تعالى بشعرك البراق الجميل ..
والمتوج بالنجوم ..
ولتشرقي في سمائي
فانت شمسي دون النجوم ..

انت جميل كما الاحلام
قوي كالجنى ..
لكنك عبر هذا الطريق ..
لن تحقق الهدف المنشود ..

الحب القاسي يؤلمنى
ليتغلغل دوماً في صدري ..
اما العيان
فتحرقنى ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كيف عليّ ان اهبط
وانا والموت ضدان
لا يمكنه ان ياخذنى
اما انت .. فالى الموت ..

لا ابحتُ عن كلمات جوفاء
لا اعرفُ من اين سابدا
وكلامك مفهوم واضح ..
وانامع ذلك لا افهم ..

ان كنت ترغب يا حبي
ان ابقى في قريك دوماً ..
اهبط بسلام للارض
فتكون كالبشر مثلي ..

انك تطلبين ذلك
مقابل قبلة
فعليك ان تعرفي ايضاً
كم احبك !..

سوف اولد من الخطيئة
وساحصل على قانون آخر
فانا مرتبط بالتقدم ..
واريد ان اعتق نفسي ..

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhr.com>

وتمر الايام
من أجل طفل ..
اقتطع من برج عال
وفقد لعدة ايام ..

انه كائناتين ..
انه رجل من السماء ..
طفل بيتي ماكر ..
يملاً الاكواب بالنبيذ ..

□ النيسزه □

والخادم يثقل خطوته
بملابس قصر ملكية
صبي من الورد
تائه ..

يمتاز بجراة نظره ..

وخدود حمرة وردية ..
وببطء يزحف منتظرا ..
وهو يراقب « كاتالينا » ..

اصبحت جميلة كالوردة .

تتلظى بشوق كالنار ..
اقتربي الآن .. اقتربي
لتجربي حظك ..

وبشكل ناعم امسكها
وبسرعة عاشق بادرها .
ما تبغي مني « كاتالين » ؟
اذهب للعمل وانصرف ..

آمل ألا تفكر ..

دوماً ..

وآمل أن تضحك أكثر
وامنحني من روحك قبلة .

لكني لا اعرف ..
ما تبغي ، ما تطلب مني ..
امنحني سلاماً وابتعد ..
آه .. الشوق تملكني ..
من هذا النيزك .. للموت ..

ان كنت لا تعترفين
فبودي ان اريك الحب ..
من برعم ناعم ..
فلا تفضبي
واجلسي بهدوء ..



ارجو ، بذراعك ضميني ..
من يدي اليسرى وخذني ..
كالصائد اذ ينشر شبكا ..

عيناك الجا مدتان
لعيني كظل ..
واضحك مشتاقا للاعلى
حتى من اخمص قدميك ..

للاسفل لينحدر وجهي ..
عيناك للاعلى نحوي
ونراقب في نهم نفسيينا
ونغيب بحياة حلوة ..

□ النيسزله □

ولكي تتأكدي من صدقي ..
من شوقي اليك يا حبي ..
اطبع قبلائي منحنيا
فتردي بالقبلة اخرى .

فهى تستمع للطفل ..
مندهشة والطفل خجول ..
يتردد من رفض القبول ..

وتقول بهدوء دوما
اعرفك ثرائرا مثلي
انت لا تصلح في شيء
مع هذا انت تناسبتني ..

<http://Archivebeta.Sakhrj.com>

لكن النيزك قد أشرق ..
من صمت النسيان تألق ..
ووهب الافاق ..
وحدة البحاريه ..

وبشكل سري نامت ..
وامتلأت عين بالدمع ..
في وقت رحيل الامواج ..
نحو النيزك ..

بالحب الأبدي توّهج
وليتعيني الألم ويصعد
حتى لا أصل إليه ..

من ذاك العالم من بعد ..
أرسل أشعاعك اخترق
أشعاعاً ينصح بالحنن ..
سأبقى أحبه للأبد ..
ما دام يحيا في البعد ..

ولهذا السبب إيامي
خالية مثل الخطوات
لكن ليأثي غنية ..
بالسحر القدسي مليئة ..
وهذا ما عدت أفهمه ..

نعم ..
انت طفلة
فلتهرب في هذا العالم ..
بلا اثر .. بلا اسم ..
نحن الانان سنبقى ..
نتمتع بالصحة والقوة ..
ولسوف أنسيك ابداً
شوقك للأم وللنيزك ..

□ النيزك □

انطلق ايها النيزك ..
وحلق بأجنحتك في السماء ..
ففي كل تلك اللحظات ..
مرت آلاف السنين ..

السماء والنجوم ..
تبدو كبريق واسع ..
والنيزك منطلق تائه ..

ومن اختلاط الوديان

في السماء

حول ذلك النيزك



الوضاء
كان يبدو كمعهده الأول

ذا ضياء <http://Archivebeta.Sakhril.com>

والنيزك في الضوء الواسع
كالبحر المائج من حوله
ويطير النيزك في تيه ..
فكراً محولاً بالشوق
إلى الأبد ..

ويطير من غير حدود
وعيون تمنعه النظر
ويحال الزمن قتي عبث
أن يولد من وسط فراغ ..

لا يوجد شيء .. بل يوجد
عطش يرشفه النيزك ..
كالمق السحق ..
نسيان اعمى ..

من ثقل ابدني اسود
الوالد يفصلني ..
واصبح مشهوراً دوماً ..
العالم يمدحني اجمع ..

اطلب مني ايها الإله
اي ثمن ..
لكن اعطني قدر آخر
فانت نبع للحياة ..
ومانع للموت أنت ..

استرجع مني ..
القيمة الماطرة والرؤية ..
وامنحني لقاء ذلك ..
ساعة من الحب ..

ايها الإله ..
لقد ظهرت من الغوضى ..
واليها ارجب في العودة ..
ويبعث من الراحة ايضاً ..
واليها دوماً اشتاق ..

هيريون ... (١)

تشرق كعالم كامل

من جهنم ..

لا تطلب أعاجيب

اورموزاً ..

دون شكل .. واسماء ..

وتريد احداً من بشر ..

يشبهك ..

فتصبح كالبشر ..

لكن الناس يموتون

وربما يولد آخرون ..

وفي الريح جميعهم يتيهون ..

كصحارى واسمة تائهة ..

وحين تتلاشى امواج

تنهض امواج اخرى ..

تتلوها امواج ..

هؤلاء محظوظون ..

من قبل القدر محاصرون ..

ونحن لا نملك ..

لا الوقت ولا المكان ..

حتى الموت لا نعرف ..

(١) هيريون Hyperion : في علم الميثولوجيا الاغريقية هو واحد من العمالقة

(المترجم)

كالشمس والقمر وهنا يقصد الشاعر : النيزك تماماً .

من صدر الأمل
يحيا ما سيموت اليوم
أن تعرضت شمس في السماء ..
للانطفاء
تضيء شمس من جديد ..

ومن الأزل تظهر الحياة ..
وعلى التوالي ..
تطعم الموت الحياة ..
الكل ، يولد ليموت ..
ويموت ليولد من جديد ..

لكن أنت يا هيبيريون ..
ستبقى حينما تعيق ..
أطلب مني الكلمة ..
كي أعطيك الحكمة ..
<http://Archivebeta.Sak.ir>

هل تريدني أن أعطي ..
ذلك القم كلاماً
حيث تنداخل الجبال مع الغابات ..
والجزر في المحيطات
بعد أن يطلق الأغنية ..

ربما تريد أن تظهر ..
عدالة ثم قوة ..
أرغب في إعطائك ..
الأرض مجزأة
فتجعلها امبراطورية ..

□ التيسره □

سامنحك أساطيل
تجول البحر عرضاً ..
جيشاً وسلاحاً
يفزو الأرض طولاً ..
لكن الموت ! ..
هذا شيء مستحيل ..

ولاجل من تريد الموت ؟ ..
عند وانحرف ..
باتجاه تلك الأرض التائهة .
وانظر الى ما ينتظرك ..

الى مكانه المقصود في السماء
هيمريون يميود ..
وكما في الأمس <http://Archivebeta.Sakka.net>
سينبثق النور ..

المساء يكاد يزول ..
ويبدأ الليل
ويظهر القمر بصمت
مرتجفاً من المساء ..

ويبعث ضوءه ..
عبر الطرق الضيقة ..
خلال البساتين ..
وتحت أشجار الزيزفون الباسقة ..
جلس عاشقان وحيدين .

ايتها الحبيبة
دعي رأسي على صدرك
لبنام ..
تحت اشعة العين الصافية ..
الجميلة الرائعة ..

ومع اضواء الليل الباردة ..
والساحرة ..
تدخل الافكار قلبي ..
وتقلب الصمت القديم
على ليلتي الملائ
بالعواطف والاحاسيس ..

ويبقى يخيم عليّ
الم يعتصر قلبي ..
لأنك جبي الأول
وحلمي التالي ..

ينظر هيريون من أعلى ..
حيث الدهشة في الوجوه ..
وضع ذراعه حول عنقها
فضمته بذراعيها ..

ورائحة الورود الفضيّة
تفوح ..
ويسقط مطر حلو
على تاجين لطفلين ..
بضغائرهما الطويلة ..
الجميلة ..

□ النيزك □

هي ، سكرى من الحب
ترفع عينيها وتشاهد
ذاك النيزك
وبسطه تبوح برغبتها ..

اهبط الى الارض
ايها النيزك
انحدر بشعاعك ..
واخترق الغابة والفكر ..
واضيء حظي ..

كان يرتجف كمادته ..

في الغابات ..
وفوق الهضاب ..

يرشد وحده .. <http://Archivebeta.Sakhr.net>

الامواج المتحركة ..

لم يعد النيزك كالماضي ..
يسقط في البحر وعن بُعد ..
ماذا يهتمك .. ايها الشكل الطينى ..
ان كنت انا او احد غيري ؟

نعيش في دائرتنا الضيقة ..

الحظ يسعدكم ..

اما انا .. في عالمي ..

فأشعر بالخلود والسرمدية ..



التحدي

حكاية أدبيّة قديمة

ترجمها عن

عزالدين سطاس



ARCHIVE

كان « أمكوت » بهزا كثيرا من الشباب المتزوجين حديثا . لسان
لأذع لا يرحم ، يتحاشاه الشباب خوفا من ملاحظة تعقد اللسان ، وهربا
من سخرية غير محمودّة العواقب . سريع الملاحظة لا يخفى عليه شيء .

– كسالى ، تخرجون من بيوتكم وقد اسودت قمصانكم من الوسخ ،
ولا يرف لكم جفن من الخجل ، اتمجزون عن اخضاع امرأة صغيرة
لاوامركم ؟ وأنا المتقدم في السن تهابني قرى المنطقة .

طويل ممشوق القامة ، عريض المنكبين ، فولاذي القبضة ، حاد
النظر ، حاجبان كثيفان وكذلك الشاربان ، في مشيته خيلاء ، وفي سلوكه
تواضع ، لون اشقر ، عينان عسلتان اذا وعد وفى .

ذات يوم ، تشجع أحد الشباب وقال له :
— سأزورك اختي امتحانا لدى صدق كلامك ، تفاهم معها ان كنت رجلا .

احس « أمكوت » بالخرج فكر قليلا وغامر قائلا :
— اقسام ، ان لم انجح في جعلها طوع بناني ، لا قبلن على نفسي المبودية واجلس على المقعد الخشبي الصغير في عتبة بيت الامير .

الترحال والتجوال عادة قديمة شبت عليها الاجيال المتلاحقة من الاديقة ، يغيب الشباب عن الامل اشهرأ ، يخوضون غمار حياة الاغتراب ، يقيمون صداقات حميمة هنا وهناك تكون بيوتا وملاجئ عند الضرورة .

تزوج « أمكوت » من الفتاة ، بعد ان عاد الشباب من الترحال ، وبقي في البيت اسبوعا لا يبارحه ، يحاول ان ييني مع زوجته الجديدة علاقة وطيدة ، تقوم على التفاهم والاحترام كان التحدي شغله الشاغل .

قطعان الماشية طوابير طويلة تدخل القرية من مداخلها المختلفة تملأ الازقة وفي الاماسي تعود من الحقول والمراعي شعبة مرتوية تحمل الخير الوفير مطمئنة راضية .

جلس مع زوجته على شرفة البيت يتسامر معها ، يستعرض القطيع فخورا به .

— انظري الى هذه البقرة ، لكم هي جميلة ؟ قال هذا و اشار بيده الى بقرة ، تداخل في لونها الابيض والاسود في لوحة اثارت اعجاب سكان القرية ، وكان يحبها ويعتز بها .

□ التحدي « حكاية ادبية قديمة » □

تجاهلت الزوجة كلام الزوج وكأنها غير معنية به ، فأعاده عليها ثانية ، بينما البقرة تتابع طريقها ، وكانت محاولة عقيمة ، فانتفض واقفا ، وامسك ساعدها بقوة دفعها الى الالتفات قبل أن تغيب البقرة عن الانظار :

— انظري كم هي جميلة تلك البقرة ؟

ارتسمت على شفتي المرأة ابتسامة فيها سخرية واستهزاء :

— اهذا هو الجمال ؟ بقرة ملونة ... ارجو ان يبعدها الله عني ...

دهش « آمكوت » وبقي في مكانه لا يحرك ساكنا كان صاعقة نزلت عليه ، وما هي الا لحظات حتى نهض وخرج من الدار يبحث عن يفرج كربته ، ولم يعد حتى منتصف الليل .

عاش الاثنان معا منذ تلك اللحظة والتفاهم أبعد ما يكون عنهما :

— هذا أبيض .

— لا ... ذاك اسود .

— هذا اسود .

— لا ... ذاك أبيض .

الحت على معاكسته في كل شيء ، طلب منها تنظيف ملابسه ، اجابت انها مشغولة حتى ارتدى جميع قمصانه النظيفة واحدا تلو الآخر ، واضطر فيما بعد ان يبحث بين القمصان الوسخة عن اقلها وسخا .

أخذ الشباب يتهايمسون كلما التقى بهم كانت اياما عصبية ، فهو مضطرب ، حرج ، يفزو الخجل اعماق كيانه وعلى مسامحه يردد الشباب : القبة سوداء كالغصم .

□ التحدي « حكاية أدبية قديمة » □

ادرك « أمكوت » الامر ، فقرر ان يقامر برصيده المتبقي ، وطلب من اصدقائه ومعارفه ان يسمحوا له بالترحال وحيدا .

خرج من القرية كمن لا يلوي على شيء ، دخل الغابة صار في وسطها ، رآه مجموعة من اللصوص وقطاع الطرق كانت تعيش في الغابة ، هاربة من وجه العدالة ، تعيش في الارض فسادا ، وتنشر الرعب والخوف أينما حلت .

استغرب اللصوص ان يتجول فارس وحيداً في منطقة نفوذهم وتساءلوا ما الذي جاء به في مثل هذا الوقت الباكر من النهار ؟ من يكون ؟

قال رئيسهم :

— كيف تجرأ هذا الفارس على ذلك والفارسان تخاف الدخول الى هنا ... اسرعوا اليه واستكشفوا وضعه .

عاد المستطلعون بسرعة وقالوا لرئيسهم الذي كان على احر من الجمر :

— حسامه يتململ ، يردد اغنية بصوت خافت ، اذنا حصانه منتصبان ، الشرر المتطاير من منخريه يحرق العشب الاخضر .
— دعوه وشأنه ، قال الزعيم هذا وأضاف : « أبعد عن الشر وغن له » .

تابع « أمكوت » طريقه ، واضعاً نصب عينيه ، مائة من الخيول الصباح كانت لضابط كبير في الجيش القيصري اشتهر بشرائه الفاحش وتسلطه .

□ التحدي « حكاية أدبية قديمة » □

ساق الجياد امامه ، وما ان ابتعد مسافة حتى قال للرامي :
- اسمع ، لن الحق بك اذى ، فأنت عبد فقير . ويكفيك ما انت فيه ، كل ما عليك أن تعود الى معلمك وتخبره بما رايت ... ليطمئن قلبه ، فالجياد أصبحت عند « أمكوت » .

ارتعش الرامي حين سمع الاسم ، ولم يصدق نفسه انه ما زال حيا ، تجمد في مكانه ونظرات « أمكوت » الثاقبة تخترق جسمه .

تابع « أمكوت » طريقه ، يسوق امامه المائة الصباح ، وسارع العبد ، فرحا بنجاته ، وروى لقومه ما جرى معه ، هز الجنرال رأسه وقطب حاجبيه ، والقى نظرة في الافق البعيد دون أن ينبس ببنت شفة . كان اسم « أمكوت » كافيا لشل اكبر المعالقة عن الايتان بحركة .

رآه اللصوص حين اقترب من القنابة ، أحال القطيع الاسود لعابهم ، وتساءلوا عن عدد الفرسان المرافقة : عشرة ، عشرين ، أربعون ...
اختلفت التقديرات ، وتدخل زعيمهم :

- اذهب واستطلع أمر هذا القطيع ، قال هذا مشيرا الى احدهم ..
- فارس واحد

دهش الجميع وذهلوا ، فارس واحد يقود كل هذا القطيع ؟ مفامر يحتاج الى درس قاس ... مغرور لا بد من تمرغ أنفه في التراب ...
غنيمة دسمة ساقها القدر ... واتجهت انظار الجميع الى الزعيم الذي قال في غمرة هذه الدهشة وهذه الاراء التي تبلورت في ذهنه :

- اريد التأكد من حالته ... اذهب حالا يا ... وأشار بيده الى انشطهم عاد النشيط بعد ان تلصص على .. « أمكوت » وراقبه عن كثب ووقف امام الزعيم :

□ التحدي « حكاية أدبية قديمة » □

- كان القطيع يقود نفسه ، تمشي الخيول على جانبي الدرب وهي ترعى العشب ، اذنا جواد الفارس الوحيد مسترخيتان ، الفارس مثقل بالهوم ، يقالبه النعاس ، يتدلى رأسه بين الحين والآخر ، يكاد يلامس عرف الجواد .

- اذن ، ليذهب أربعة منكم الى هذا الإبله ... اريده حيا ...

احضروا « أمكوث » مقيدا ، ربطوه على جذع شجرة ضخمة ، نحروا فرسا ، اوقدوا النار لاهبة ، وضعوا القدر على مثلث الاحجار ، وجلسوا ينتظرون الوليمة ، الكتل الجبلية الضخمة ، القمم الشاهقة ، الوديان السحيقة ، الغابات الكثيفة ، الانهار الهادرة ، السهول الخصبة ، العادات والتقاليد دستور ارتقى الى مراتب القدسية ، « أمكوث » ابن هذه الطبيعة الخلابة ، والمناظر القاسية ، والعادات والتقاليد العريقة ، بات اسيرا مغلولاً ، تحت رحمة مجموعة من اللصوص وقطاع الطرق .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

شم الدب رائحة اللحم ، فخرج من وكرة منفتح الشهية وقف على مرتفع قريب ، فهقه الدب وعريد ، وأزبد وأرغى ، واخذ يقذف المجموعة بالاحجار وجدوع الاشجار ، وكتل الطين التي انهالت كالحمم البركانية .

اختلط الحابل بالنابل ، تصايحوا : هيا نرحل ... لن يدعنا هذا الخبيث نهنا ... فكوا وثاق الاسير ، واربطوه بأحد الخيول ... وحين اقتربوا من الاسير وجدوه يذرف الدموع ضحكوا واستهزؤوا منه ، وتراكموا الى الزعيم : اسيرنا يبكي كالنساء .

جاء الزعيم متعجبا :

- لماذا تبكي ايها الكسول ... كنت مغرورا حين خرجت للفزو وحده ...

□ التحدي « حكاية أدبية قديمة » □

– لست مهملا (تنبلا) .. ولا أبكي خوفا .. ولا أنكر وجود من
هو أقوى مني واشجع .. لم تتوقف النساء عن الانجاب .. الرجل تلده
المرأة ... انما أبكي رجلا اقويا .. ادخل دب الرعب والفزع في قلوبهم .
– ما العمل ؟

– دعني اصارع هذا الملعون ، اقسم بشرفي الادبي ان لا اهرب .

تساوروا فيما بينهم ، وقرروا بعد نقاش لم يدم طويلا :

دعوه ... سنرى ماذا يفعل ..

طلب منهم « قامة » (٢) ، اقترب من شجرة بلوط ، قطع غصنا ،
شدب طرفي قطعة منه اكبر من قبضته قليلا ، عرضها على اللهب ، اصبحت
قاسية ، فانطلق نحو الدب بخطى واثقة .

عبثا رشقه الدب ، اخطأ الهدف ، احس بالخطر الداهم فحاول
الهرب . سارعه الاسير وامسكه من ذنبه الصغير . هاج الحيوان وماج
وادار راسه غاضبا يريد ان يلتهمه .

ادخل الاسير قبضته اليسرى الى الشدق الفاجر ، وضرب الفك
السفلي بمقبض القامة ، فانفرز طرفا القضيب الحادين في الفكين
المنطبقين . شد يده اليسرى فمد الدب راسه مرغما ، وهوت القامة
كالصاعقة على الرقبة الممدودة .

رمى أمكوث الراس جانبا ، وعاد محملا بالجسد الملطخ بالدماء ،
القاه في القدر متباهيا ، واعاد القامة الى اللصوص ، واستند الى جذع
الشجرة ، فجاء احدهم واوثقه ثانية .

(٢) سلاح ابيض خاص بشعوب القفقاس ولا سيما الاديفة . طوله وسط بين السيف
والخنجر ، حاد مستقيم .

بينما كان اللصوص يلتهمون الطعام ، قال احدهم :
- وددت لو ارى فروسية ذاك الذي يدعى « آمكوت » انه ذائع الصيت .

- من رآه منكم ؟ قال الزعيم وتفرد في الوجود ، غير ان احدا لم يدعي معرفته ، فاضاف : اسالوا الاسير ، ربما رآه يوما فهو كثير التجوال .

- بلى رايته ، وعرفته عن كثب ، رعبت الخيل معه مدة ، كان يقول لي : انت سريع التعلم ، سوف تحل مكاني في الفروسية .
- لم لا ... فكوا وثاقي ...

ابلغوا الزعيم فرحين ، ولكن الزعيم أبدى تحفظا على هذه الاندفاع :
- يا قوم ، اجتنى من عاقبة ان تركناه حرا ... رايتم ماذا فعل بالدب .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تضاحك القوم وقالوا : ماذا عساه يفعل ، وحيد ونحن جمع من الفرسان ، قد يحاول ، وحينذاك سوف يلقي مصيره الاسود .

تجاوب الزعيم مع رغبتهم ، وطلب الاستفسار عما يريد .
- حسامي وحصاني الافكح .

مطلب متواضع ، نقل الى الزعيم الذي حذر القوم من مغبة هذا الامر :

- يا قوم ، لا تتغافلوا ، نصبنا كمينا ، والقينا القبض عليه غدرا ان اطلقنا سراحه سوف يفلت من ايدينا ولن نتمكن منه ثانية

□ التحدي « حكاية اديفيسه قديمه » □

تقدم احدهم وقال :

— والله ، لن يتحمل اكثر من ضربة واحدة ... ماذا بمقدور هذا الحقير ان يفعل ؟ وقد تكاثف حاجباه وتدلى شارباه .

تجاوزوا رأي الزعيم ، واطلقوا سراحه ، واعادوا له حسامه العتيق وحصانه الافكح . وتركوه وشانه محاصرا بين اربعين فارسا .

صاح صيحة مدوية ، اجفلت الخيل ، اتبعها بضربة سوط ، احدثت صوتا حادا اربع الخيل ، واثارت نائرة جواده ، انتصبت اذناه كالسهم ، وانطلق بقوة نحو الزعيم .

شد آمكوث اللجام ، وقف الجواد على طرفيه الخلفيين ، دار في المكان يحفر الارض الصلبة بخافيه . ضربة ثانية ، تقفز الجواد من فوق فارس كان امامه . اطلق له العنسيان .
<http://Archiveba.com>

حاول الفرسان اللحاق به ، وكانوا مغرورين ، وحين ابتعد عن المكان وتوارى عن الانظار . ربت على كتفه وهذا من سورته ، وظل يجامله الى ان استعاد الجواد وعيه .

يُس الفرسان بعد ان خاب املمهم . وانتشروا في الغابة فرادى ، كانوا جهلة . وما هي الا دقائق حتى كر عليهم ، واستقطهم ارضا ، الواحد بعد الاخر ، كل يس من اصابته ، واقترب من الزعيم والشرر يتطاير من عينيه :

— يا ابن الكلب ... اعد الي قامتي .. فلست من يحمل سلاحي .

فك الزنار المرصع بالفضة المزركشة وقدمه مع القامة بيدين مرتجتين ، لم يكن امامه اي خيار آخر ، ائتمر فأطاع بنشد السلامة .
كان في حالة يرثى لها .

ليس جميلا ان ادعك وشأنك دون ان اترك لك ذكرى خالدة ، قال
هذا ويلمح البصر جدع انف الزعيم بالقامة وأضاف :
- منذ الان لا تصاحب من لا يأخذ برايك والا سوف اقتلك .

احس الزعيم بالاهاة ، ولكنه تقبلها برجولة واستاذن منه ان
يسأله :

- ما اسمك ؟

- انا المدعو « آمكوث » .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هز الزعيم رأسه كمن يتقن من شكوكه وقال :
- لماذا تفاقلت هكذا ، فوفعت بين أيدينا ؟ في الذهاب توجسنا منك
الخوف ، فلم نتحرش بك ، وفي الاياب شجعتنا حالتك المزرية فالقينا
القبض عليك ، فما سر ذلك ؟

- لا بأس ان اشرح لك ... لا اهاب مائة فارس حين ادير ظهري
للبيت . وحين اقبل على البيت يكفي ان يجفل حصاني من ارنب صغير
لاسقط من صهوته . الهوم تطاردني ، تدفعني في الذهاب وتثقل كاهلي
في الاياب .

انتشر غياب « آمكوث » الطويل في البلدان المجاورة وراى امير
القالوق في هذا الغياب فرصة سانحة لفزو بلاد الادينة وسلبها ، وسار
على رأس جيشه ، تراوده احلام النصر .

□ التحدي « حكاية أدبية قديمة » □

عسكر الجيش بالقرب من بلدة « أمكوث » وارسل رسولا يحمل مطالبه . رجب به امير القرية واحسن استقباله .

قال الرسول : اوفدني اميرنا المفدى ، وطلب منكم ان تقدموا له ربع خيولكم وماشيتكم ، وخمس نساكم ، وان رفضتم لن يبق اديفي واحد على قيد الحياة .

كانت مطالب قاسية ، يصعب على الابي ان يقبل بها ، وطلب الامير الاديفي ان يمهل اسبوعا حتى يتدراك الامر . وعاد الرسول الى اميره محملا بالهدايا .

جلس الامير الاديفي يفكر في حل يحفظ ماء الوجه ، وتمنى لو لم يعيش هذه اللحظة . عدو لا يرحم على ابواب القرية ، يمين النفس بالفنائم والسبايا ، وقرية صغيرة بوغتت على حين فرة ، والبطل « أمكوث » غائب من الحمى لا اثر له .

استمر الامير الايفي قواه المحدودة استعدادا ليوم حاسم ، وعقد مجلسا حربيا يتابع آخر تطورات الموقف ، وارسل بعض الكشافين بحثا « أمكوث » ولكن انتظاره طال وشارف الاسبوع على الانتهاء

في اليوم ما قبل الاخير ، رأى الامير الاديفي فارسا يعدو باتجاه القرية ، فخرج من الدار على عجل :

- لك البشرى ايها الامير المفدى .
- ما الخبر ... قل بسرعة .
- اصبح « أمكوث » في مراعي القرية .

تنفس الامير الصعداء وكافأ عبده .

- وهبتك الحرية أيها ... لك عشرة من أجود الخيل أيها الحر .

وصل « أمكوث » مع الغياب ، يسوق امامه الصباح وجياد اللصوص ، وهب سكان القرية عليه مرحبين بعودته سالما غانما ، وآملين بنصيبهم من الغنائم .

وقف وسط الحشد ، وخاطبهم قائلا :

- يا قوم ، عودتكم ان اوزع عليكم كامل الغنيمة ، يا ابناء قريتي الحبيبة ، يا اعزائي لكم الاحصنة ولي الافراس ... استميحكم العذر ...

التقى زوجته في الدار ، فبادر « أمكوث » زوجته قاطعا عليها اسئلتها :

- كيف ترين هذه الخيول الرائعة ؟

- لكم عقلك صغير يا كثير التجوال والغياب قليل الغنائم ... اي جمال تراه في هذه الخيول السوداء ؟ اهذا ما عدت به بعد طول غياب ؟

احتار أمكوث في امر زوجته ، اسودت الدنيا في عينيه ، وتمنى لو لم تلده امه ، وبينما هو في هذه الحيرة ، والزوجة تهم بالانصراف تاركة زوجها الاتعب شاردا هائما ، اتاه الامير وهو يلث :
- هيا اسرع ايها البطل

مشى « أمكوث » مع الامير دون ان يستفسر او يسأل كما هي العادة عند الاديفة ، وحين وصلا بيت الامير عرض المجلس الحربي المشكلة امامه . وبعد ان سأل عن التطورات المتبلورة عندهم قال :

□ التحدي « حكاية اديفية قديمة » □

— اخبر امير القالمون ان الموعد انتهى ... وقل لهم ان هُنتم ترغبون في العودة الى بيوتكم سالمين ، سلموا هذه الليلة جميع اسلحتكم وخيولكم .
الويل لكم ان اشرقت الشمس عليكم .

— ثارت نائرة امير القالمون ، وقبل التحدي جاهلا بعودة (أمكوث)
البطل ، وهدد وتوعد باقتلاع الاديفة من جذورهم ، وتدمير بلادهم عن
بكرة ابائها ، ويحولها الى خراب يغطيها نبات القريص .

مضى الليل ، وتقابل الجيشان ، وصال (أمكوث) وجال ، يصب
جام غضبه ، وتفهم جيش القالمون ، يجر اذيال الخزي والعار ، تاركا وراء
مئات القتلى والجرحى وعاد جيش الاديفة ، بعد ان سطر صفحة من
صفحات المجد والفخار .

كانت ليلة رهيبة ، ثقيلة الظل ، بطيئة الحركة ، سوداء ، صامتة
صمت القبور .

كانت معركة حامية الوطيس ، دامت ساعات معدودات خيل للبعض
دهرا طويلا لا ينتهي ، وللبعض الاخر لحظات لا يتنسى المرء انقضاءها .

نشوة النصر العارمة هربت من يدي « أمكوث » حيث اقبل على
البيت . نادى زوجته ، اسرعت على غير عاداتها ، رسمت القامة على وجهها
صليبا ، لم تتحرك ، كانت عنيدة :

— ليس من عادة الاديفي ان يرفع يده على امرأة ، وانا كذلك ...
انما اردت ان اترك لك ذكرى تخلدني في اعماق اصماقك . قال هذا ونادى
الخادم بصوته الجهوري :

— جهز العربية ، ولكن دون وسادة او فراش . وخذها الى اهلها
مع الخيول الصباح .

□ التحدي « حكاية اديفية قديمة » □

سرعان ما ادركت المرأة معنى العربة الخالية من الاناث ، اكفهر وجهها ، وأرادت لو تصبح ملء شفتيها . ألقت نظرة الوداع على كل شبر من الدار ، وانطلق الخادم يقود العربة التي كان وزنها يخف كلما ابتعدت عن القرية .

وتوجه « أمكوث » الى بيت الامير حاملا المقعد الصغير ، وجلس عليه امام العتبة والنشوة تغمره .

قام الامير والنبلاء متأثرين بالحننة التي اصابته بظلمهم وكادت تقضي عليه :

— ليس هنا مكان امثالك ايها العزيز « أمكوث » ... هيا تفضل ، لك الصدارة دون الآخرين .

اغرورقت عينها الغل ، ولكن التهمة ائت ان تسقط . وتزوج من ابنة الامير ، وعاش معها بقية العمر سعيدا .



الفرار

شعر:
إدغار آلن بو

تعريب: فبالدار آغا



في ليلةٍ موحشةٍ الدجى
غادرَها حبيبتها القمرُ
وبينما كنتُ على ضنى
مورقاً، اقلب الفكر
في كتب غريبة الرؤى ،
منسية ، باهتة الصور
وبينما أوشتُ أن اغفو
إذا بنقر زانه اللطف
يطرق باب حجرتي
يردني عن غفوتي
تمتت في فتور :
« لعل زائراً أتى يطرق باب الحجرة المقرور » .

* * *

اذكرُ أنْ ذاكُ
 قد كان في كانونُ
 اذكر كل جمرة في الموقد المحزونُ
 قد رسمتْ ظلاً
 على بلاطِ الحجرةِ المقرورُ
 قد رسمتْ ظلاً
 اذكر اني تقنتُ للصباحُ
 انْ يطلعُ الصباحُ انْ اُرتاحُ
 ان تهدا المخاوفُ المجنونةُ الجماعُ
 وعيشاً، بحثتُ في الكتابِ عن عزاءِ
 فامتنع المزاءُ في ليننورُ
 في غادةِ نادرةٍ ، باهرةِ الهناءِ
 ملائِكُ السماءِ في السماءِ
 يدعونها ليننورُ
 لا تحمل اسمها هنا على مدى الدهورُ

* * *

واهتزت الستائرُ الحريـرُ
 تنذرُ بالثبورُ
 حزينـةٌ محيرةٌ ،
 تشيرُ أشجاني
 بلونها القاني
 تهزتي ، تملؤني رعباً
 رعباً، غريباً أرعدُ القلبُ

ما عرف الشعور
شبهها له ما عرف الشعور
ورحت كي أهديء الوجيب
في قلبي المكروب
مرددا
مخاوفي مبددا :
« لعل زائرا ائسى
لا ريب زائر ائى يطرق باب الحجرة المقرور »

* * *

تبددت هواجي
وانقشمت وساوسي
وقلت كالخمور
« معذرة يا <http://Archivebeta.Sakibindi.com> »

أو ربما سيدتي
قد ردتي عن غفوتي
نقر على بابي
لامس أعصابي
فيه من الفتور
ما لم اكدا حسنه
كان رفيقا مسنه
لعلكم ادر كنتم بانني مفذور
هنا فتحت الباب
فلم أشاهد خلفه شيئا، سوى الدبجور

* * *

□ الفسراب □

وفي ظلام الليل رحت انظر
محدثاً ، افكر
اخاف ، ارتاب
والقلب وثاب
احلم أحلاماً على أعتابها ينتحر الشعور .
لكن صمت الليل ظل جائماً ،
كالطود ، كالكاپوس ظلّ جائماً .
همست : « يالينوز »
ردّد باقتضاب ،
ولم يزد عن قول : « يالينوز »



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولم اكـد ارتجـ باب مخـدمي
والدمع مشبوب اللظى في أصلي
حتى توالـت ضربة الطارق
اقوى من السابق
فقلت : « لاريب اذن بذلك »
شيء يهزّ سلـكة الشبـاك
دعني إذن اكتشف السرا
دعني إذن استطلع الامرا
دعني اهدى لحظة فؤادي المدمور .
لا شيء غير الريح والضباب
لا شيء غير الريح والضباب والديجور »



هنا دفعت باليدين دُرْفَةَ الشباك
 فاذا غراب حالك كلشوم كالهلاك
 يدخل مختالا كالفارس الجصور
 يسير مزهو الخطى ، لا يعرف الخضوع
 يحتل فوق الباب والتمثال مقامه الرفيع
 ويطمن جاثما كالقدر المقدور
 له وقار سيد من سالف العصور

* * *



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ثم أحال الطائر الابنوس
 كأبتي الى ابتسام
 أحالها بالصمت ، بالوقار ، بالمعوس
 أحالها الى ابتسام
 فقلت مثنياً، عليه في حبور
 « نبيء أخاك أيهذا الطائر العظيم ،
 نبيء أخاك باسمك الكريم ،
 في عالم الظلام والرياح والبحور ،
 فانت رغم ريشك المنتوف
 ورغم ملاقيته من الدجى المخوف
 تبدو جليلا رائعا ،
 ولست بالحقود
 أجابني الفراغ باقتضاب :
 « لا ، ذاك لن يكون على مدى الدهور »

* * *

□ الغراب □

ورغم انّ رده قد جاء مختصر
وكان غير مقنع بل غير منتظر ،
لكنه ادهشني ،
ادهشني جدا
ان يسمع الغراب
ان يحسن الرد .
انتم معي على اتفاق
جميعنا على اتفاق
بانه ما من بشر
تباركت عيونه بنعمة النظر

الى غراب قادم من عالم مسحور
يجثم فوق بابه مدعيا ان اسمه
« لا ، ذاك لن يكون على مدى الدهور »

ARCHIVE
http://archiveeta.scribit.com

وظل بعدها الغراب ظل جالسا
بغير ذلك الحديث ليس نابسا
كأنما قد سكب الروح
في قوله الماثور ،
ولم يحرك ساكنا
بل ظلّ ثمّ آمنا
فقلت في فتور :
« يترك بابي في غد
يمضي مع البكور
كما مضت من قبله

رفاقه الطيور
كما مضت آمالي العراض
يمضي مع البكور
أجابني الفراب باقتضاب
« لا ، ذاك لن يكون على مدى الدهور . »

* * *

أفرعني أن يصدع السكون
جوابه الموزون
فقلت : « لاريب بأن ما لديه من مخزون
جميع ما لديه من مخزون
أفرغه في قوله المأثور
قول تلقاه عن سيد مقهور
لاقى من الوبال والشبور
ما لم يفادر عنده شيئاً من السرور
الا اكتئاباً عمره يطوى مع النشور
ملخصاً انشاده بقوله الفراب :
« لا ، ذاك لن يكون على مدى الدهور . »

* * *

لكنما الفسراب
ظلّ بتلك الحال
مراداً بالانتماء حلقة الخيال
لذا دفعت نحوه ونحو ذاك الباب
ونحو تمثال اثينا المعقد الوثير
لاصل الخيال بالخيال

□ الغراب □

لاتبع السؤال بالسؤال
عما عسى يقصده ذاك الغراب الاكم
ذاك الغداف الاشأم
بذلك النعاب :
« لا ، ذاك لن يكون على مدى الدهور. »



غرقت بعدها في الظن والتخمين
ولم أوجه لفظة للطائر اللعين
تحرق مقلتهاه
حشاشة الحياة
في قلبي المكسور
والراس فوق المخمل الأثير
يعادو الظنون والتفكير
ودفقة من نور
تمسح وجه المقعد الوثير
المقعد الذي يشاق أن يشاب
بلمسة تمنحها حوريتي لينور



ثم بدا الهواء في المكان
اثقل مما كان
مباخر غابت عن العيان
قد عطرت أنفاسه
بأنفاس البخور
تديره ملائكة السماء

احسنّ وقع خطوها وسحبة الجناح
على بساط الحجرة المقروء
مخاطباً ذاتي صحت :
« ايها التّعيس ،
الهلك الرحيم في العلاء
ارسل هؤلاء
لتمنح العزاء في لينور ،
لتمنح العزاء ،
فعبّ من سلوانها ، عب من الحبور ،
ولتنس لينور الهوى ،
ولتنس ذباك الجوى ،
على مدى الدهور »
اجابني الغراب باقتضاب :
« لا ، ذاك لن يكون على مدى الدهور . »



يا ايها الرسول يا كريم
بل ايها الشيطان يا رجيم
سيان عندي من تكون
مجرباً ، او هارباً يخشى من المنون
نبيء اخاك ايهذا الطائر العظيم
نبيء اخاك الصدق بالثيم
نبيء اخاك
نبيئه هل هناك
من بلسم في ارض جلبادا

□ القلوب □

يحمل أسعافا
كبرا به الجراح
تشفى مع الصباح
من فقدته لينور ؟
اجابني الغراب باقتضاب :
« لا ، ذاك لن يكون على مدى الدهور . »
* * *

يا ايها النبي يا كريم
بل ايها الشيطان يا رجيم
بالحب بالسما تظلنا بربك الغفور
نبي قوادا حزنه عظيم
هل سرى في جنة النعيم
معانقا حناء
ابهى من البهاء
ملائك السماء
يدعونها لينور
اجابني الغراب باقتضاب :
« لا ، ذاك لن يكون على مدى الدهور . »
* * *

تلك اذن يا ايها الغراب
علاوة افتراقنا
هل تسمعي ايها الشيطان ؟
علامة افتراقنا
وقمت واقفا

أمر قبضتي في الهواء راجفا
وصحت كالمسمور
« فلترجعن إلى الرياح »
إلى شواطئ الجنون والجراح
لا تتركن ريشة سوداء واحدة
رمزا لما فاحت به منك الشغاف الباردة
دع وحدتي يا سيدي !
دع وحدتي !
ولتهجرن حجرتي
ولتنزعن منقارك اللصين
من قلبي المكسور
ولتنزعن رسمك المبهين عن بابي المقرور !
أجابني الغراب باقتصاب :
« لا ، ذلك لن يكون على مدى الدهور »
<http://www.archive.org>



وظل ذلك الغراب ظل جائما
ولم يحرك ساكنا بل راح حاملا
يحطم فوق الباب والتعشال
يفغره نور من المصباح كالشلال
كأنما في محجريه مقتلنا شيطان
وظله على المكان يملا المكان
يلفني ، يفتالني ، يفتال دفق النور
في قلبي المكسور
يسكن روحي ظلّه على مدى الدهور



آفاق وتنوع الأدب الجديد

في جمهورية ألمانيا الديمقراطية . بقلم: د. فرانك كقبليانس
ترجمة: منزار عبد الله

مراجعة: هنده نورجي



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لقد وضع تاسيس اول دولة للعمال والفلاحين عام ١٩٤٩ على ارض المانية حجر الاساس لنشوء علاقات ادبية جديدة في نوعها ، تلك التي حملت الكتاب ، مثلهم مثل مسؤولي السياسة الثقافية والناشرين والنقاد وعلماء الادب وملايين القراء ، درجة عالية من المسؤولية والمشاركة في بناء المجتمع الاشتراكي . ولقد ازدهرت الحركة الادبية خلال اربعة عقود من السنين ، وساهمت بشكل فعال في اعطاء سمعة طيبة لالمانيا الديمقراطية ، عبر تقديم صور عن الحياة في ظل الاشتراكية للكثيرين من الذين يعيشون خارج حدود جمهورية المانيا الاتحادية . يرى « هرمان كانت » رئيس اتحاد الكتاب في جمهورية المانيا الديمقراطية تأثير الادب الكبير في كونه اصبح قضية جماهيرية واجتماعية وشخصية مترابطة . وفي كونه اصبح

قضية علينية ، تربط الاجتماعي بالشخصي : « لقد ساهمت كتبنا في تشكيل وعي مواطني هذا البلد ، وبتفتح شخصياتهم . ودعمت هذه الكتب عمليات التفهم والاستيضاح ووضعت النزاع والمزاح في حركة دائبة ، وخدمة المساواة بين البشر ، وشحذت الشعور بالمواطنة ، وقوت التضامن والترابط الاجتماعي . كما ساعدت البعض في اكتساب الرغبة في الحياة ، أو في اكتشافها مجددا . وقامت كتبنا بنصيبها في تقوية العزم للدفاع عن هذه الحياة بقوة أعظم » .

وفي هذه الأثناء دهش الناشرون وأصحاب بيع الكتب في الجزء الراسمالي من العالم من خبر أن « جمهورية ألمانيا الديمقراطية هي بلاد القراء » . نذكر في هذا المجال أنه يطبع حوالي ٦٥٠٠ عنوان سنويا في ألمانيا الديمقراطية بمعدل ١٥٠ مليون نسخة ، هذا من الجانب الكمي . وإذا أخذنا في اعتبارنا أن الكثير من الكتب تنفذ خلال أيام أو أسابيع ، نستطيع أن نأخذ فكرة عن جودتها . بالطبع ليس الاهتمام بالكتب واحدا عند جميع شرائح الشعب في ألمانيا الديمقراطية . بيد أن ذلك ليس حكرا وامتيارا للمثقفين ، بل انتشر في جميع الأوساط الاجتماعية . ولا شك أن الدعم الذي جعل أسعوا الكتب متدنية ، يسر ذلك الانتشار الواسع ، وأن يكن بدرجات مختلفة ، ولأن الناشرين راعوا في اعتباراتهم الرغبات الثقافية لشرائح الشرائح الاجتماعية . يمتلك اليوم اعتمادا على إحصاء نشره السيد « كلاوس هوبكي » نائب وزير الثقافة حوالي ٤٠ ٪ من الأسر في ألمانيا الديمقراطية حتى ٥٠ كتابا . أما بالنسبة لـ ٢٠ ٪ من الأسر ، فيفضل عدد الكتب بين ٥٠ - ١٠٠ كتابا . وبالنسبة لـ ٢٠ ٪ آخرين يتراوح عدد الكتب بين ٢٥٠ - ١٠٠ كتابا . في حين أن ٩ ٪ من الأسر تملك بين ٢٥٠ - ٤٠٠ كتابا ، و ٧ ٪ من الأسر تملك أكثر من ٤٠٠ كتابا .

□ افاق وتنوع الادب في جمهورية المانيا الديمقراطية □

وهكذا يبلغ مجموع ما يملكه ١٧ مليون نسمة في المانيا الديمقراطية ٦٥٠ مليون كتاب ، يضاف اليها ١٢٠ مليون كتاب في مكتبات الدولة والتقانات موضوعة تحت التصرف للاعارة دون ما مقابل .

ثمة دعامة ثانية مهمة دعمت ازدهار الادب بنجاح ويسرت تطبيق العملية الثقافية، الا وهي سياسة السلام، التي تتبعها باصرار الدولة الاشتراكية. وقد صادق المؤتمر في المؤتمر العاشر لاتحاد الكتاب على ايضاح يتضمن ما يلي :

تؤمن بالسلام ، ولقد حققت الانسانية ، المهددة بالفناء الذاتي الحلم الطوباوي الا وهو نزع السلاح ، وفي هذه اللحظة المشجعة نعزز تضامنا مع جمهورية المانيا الديمقراطية والتي شعارها السياسي الحكومي والأعلى « السلام » .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لا ينبغي وجود توافق اساسي بين المصالح والاهتمامات الشخصية والاجتماعية ، وجود تناقضات وتوترا في حالات فردية ، ولا يحفز باي شكل من اشكال اهمية الجهود المستقلة ، التي تبذل في حقل الادب ، انما يجعلها اكثر فعالية . كتاب رواد امثال « هيرمان كانت » و « كريستا فولف » ، يتصدون دون كلل كاصحاب مبادرة وكداعين لمؤتمرات دولية للكتاب ، او كمشاركين في مثل هذه اللقاءات من اجل الحفاظ على السلام ، ومن اجل نزع السلاح ومن اجل العودة الى الانفراج وتخفيض حدة التوتر . يستطيع اتحاد الكتاب في المانيا الديمقراطية بالنسبة لموضوع تحمل المسؤوليات الاممية، ان يشير الى سلسلة طويلة من التراث بدءاً من مؤتمرات الكتاب الدولية في اول الثلاثينات في باريس ومدريد ، وصولاً الى لقاء فايمار عام ١٩٦٥ وبرلين عام ١٩٨١ حتى الوقت الحاضر . ان لقاءات

الكتاب بمناسبة مرور ٤٠ عاما على التحرير من فاشية هتلر في عام ١٩٨٥ ، و « برلين مكان للسلام » في عام ١٩٨٧ بمناسبة عيد ميلادها ٧٥٠ بضعان العمل المشترك ، الذي اثبت فعاليته ، فوق كل ما يسبب التباعد والفرقة بالطريقة التي طبقت بين الجمهورية العربية السورية وجمهورية المانيا الديمقراطية وقبل ذلك في صوفيا وبودابست وموسكو . يتحمل كل كاتب مسؤولية رفيعة حيال الكلمة المكتوبة ، في مجال مساهمته الادبية الشخصية . وقد انتشر في المانيا الديمقراطية الراي القائل ان الاديب يناضل من اجل السلام ، اذا انصرف للاهتمام بوظيفته الاصلية ، وهي اعادة تشكيل الواقع بكل انعكاساته ، وتناول جميع جوانب حياة الانسان . لقد كان الادب في المانيا الديمقراطية ولا يزال وسيظل يعمل من اجل السلام ، وسيظل معاديا للفاشية والعنصرية والامبريالية ، كما وسيظل يسهم بشكل فعال من اجل سيادة الانسانية .

عندما احاول فيما يلي التفرص بالانجازات المتاح لتطور الادب المعاصر في المانيا الديمقراطية ، فلن استطيع التحدث الا بشكل جزئي ، ومقتصرا على الاتجاهات الاساسية فقط . ولا يمكن ايضاح سمات عملية التطور ، الا عبر امثلة . ولا يمكن ان يطرح السؤال على الشكل التالي : ما هي السمات المميزة للادب في الثمانينات ؟ لان فصلا حادا عن عملية التطور في السبعينات غير ممكن ، فالادب يتأثر ، تأثراً حساساً بالتغيرات الاجتماعية ، واحياناً تأثراً سريعاً ، واخرى بعد مرور سنوات فحسب . ولا يتقيد بالتقويم السنوي . وهكذا يمكن القول ان عملية تطور الادب في الثمانينات تتميز بتطور ديناميكي متواصل ومتقطع . استمرت الملامح التي تشكلت في السبعينات ، لكن موقعها النسبي تبدل واضيف اليها ملامح جديدة . ساعتمد عند التحدث عن الاتجاهات الرئيسية للادب :

□ افاق وتنوع الادب في جمهورية المانيا الديمقراطية □

والتي تبدى حاليا في ادب المانيا الديمقراطية على تحليلات عالم الادب الاستاذ الدكتور « هانس كاوفمان » والدكتور « انفريد هينيل » . وساحول ان اوضح الظواهر العامة بواسطة اعمال نثرية ملأمة ، كلما كان ذلك متاحا .

يتيح القاء نظرة على الكتب الجديدة الصادرة في الاعوام الاخيرة ، تبين التنوع المستمر . وينطبق ذلك على شتى مجالات الابداع الادبي وصولا الى الصحافة الفنية . كما ويلاحظ منذ منتصف السبعينات ثراء ومزيذاً من التنوع في المواضيع واساليب الكتابة ، بالإضافة الى وجود انواع ادبية مختلفة الى جانب بعضها ومتداخلة مع بعضها ، والى مزيد من النقاش العلني بشكل اكثر قوة حول مهمات الادب . وقد تصاعدت الرغبة بالتجريب وازدهر البحث البناء عن الجديد ، بما يتلاءم مع واقعية عصرنا والصيغ الفنية الوثيقة الصلة له . وقد اثار « انا زيفرز » في قصتها « لقاء في رحلة » اعادة التأمل والتفكير في العلاقات التقليدية ، واساليب الكتابة . يلتقي في قهوة براغ في العشرينات « هوفمان » و « نيكولاي » و « جوجول » و « فرانس كافكا » ، ويطور كل واحد منهم رأيه في الادب ، على الرغم من اختلاف الحقب الزمنية التي عاش فيها هؤلاء الشعراء ، فانهم متفقون في نقطة واحدة ، وهي الاخلاص للواقع ولانفسهم . ان « انا زيفرز » لا تدافع في هذه القصة فقط عن الخيال في الفن ، بل تدافع كذلك بعمق عن تنوع وكبر حجم الكتابة الواقعية .

يصل التنوع في يومنا هذا من نقل صور الحياة مباشرة الى غربتها اعتمادا على اساليب الخيال والرمز والاسطورة . وقد نشأ وترعرع جيل من الكتاب الشباب ، وولد في الدولة الالمانية الاشتراكية كالمخطط ،

والذي اخذ مواقعه الخاصة وراح يتطلع بشكل نقدي الى اعمال « الإباء » . وتفهم التناقضات بشكل متنام ، ليس كمعيب ، بل كمحرك لكل حركة تقدم اجتماعي . ومما يلفت النظر في الوقت الراهن ان العديد من الكتاب ، انطلاقا من رؤيتهم الفنية الخاصة للعالم ، يهدفون الى تعلم مواجهة الصراعات وتقبل التناقضات التي لا ينتظر توقع حلول لها في الامد المنظور . ويعود ذلك الى حد كبير الى المناخ السياسي والفكري المتغير منذ بداية الثمانينات . والجهود التي تبذلها جمهورية ألمانيا الديمقراطية لمتابعة بناء المجتمع الاشتراكي المتطور ، ولتدعيم وحدة الاقتصاد والسياسة الاجتماعية ، تجري ضمن شروط صعبة خاصة . ويتشكل حقل التوتر ، الذي يتضمنه الابداع الادبي لكتاب ألمانيا الديمقراطية ، والذي ينجزون من خلاله اعمالهم من شقين اولهما سباق التسليح النووي لدول حلف الأطلسي (ناتو) وبشكل خاص الولايات المتحدة وثانيهما سياسة السلام والامن التي تتبعها الدول الاشتراكية وحركة السلام العالمي وجميع القوى الواسعة الانتشار التي تطالب بالحوار العقلاني .

أية مواضيع أساسية تناولها ؟ وإية أسئلة سيتم طرحها ؟

أود التركيز على خمسة مجموعات من المشاكل الأساسية .

١ - يتم النظر الى العلاقات المتناقضة بين الفرد والمجتمع ، انطلاقا من وجهة نظر ديموقراطية متقدمة للحياة الاجتماعية . يؤدي ذلك الى تقص اقوى للواقع بجميع أبعاده .

لقد ظهر في السنوات الاخيرة ، في اعقاب الكاتبة المتوفاة « ماكسي فاندر » ما يدعى ادب البروتوكولات او الادب الوثائقي ، والذي يؤدي وظيفة مهمة في وسائل الاتصال الاجتماعية . وقد تضمن كتاب « ماكسي

□ مقال وتنوع الادب في جمهورية المانيا الديمقراطية □

فاندر « ، « صباح الخير أيتها الجميلة » مجموعة بروتوكولات نسائية صريحة ، مبرهنة بذلك على ان كل حياة من ناحية المبدأ هي شيقة وجديرة بالعرض . وفي هذه الاثناء حذت الكاتبات الشابا حذوها ، واللواتي تتوجه اعمالهن بطريقة مباشرة جدا الى القراء ، متوخيات جعلهم يعيدون التفكير بالمعايير الاجتماعية واساليب التصرف الشخصية ، بنوع من التحدي . ولا يتم فقط عرض حالات شخصية ، انما عرض مشاكل لا تعرض بشكل علني ، او تطمس معالمها ، بل تتم مناقشتها كالمرض والموت والحب والاجهاض والجنس وذلك في صيغة مذكرات يومية ومجموعات من الرسائل وبروتوكولات مسجلة على اشرطة معدة بشكل ادبي . فعلى سبيل المثال تنبع « كريستيني مولر » في كتابها الصادر عام ١٩٨٥ « بروتوكولات رجالية » التحولات التي طرأت على العلاقات بين الجنسين داخل المانيا الديمقراطية . في حين تحاول « ليريندا ليبمان » في كتابها الصادر عام ١٩٨٢ « بيت برلينى للأجرة » استكشاف حكاية بيت يقع في ضاحية من ضواحي برلين تدعى « برينشس لاور بورغ » ، عن طريق سؤال قاطنيه . اما « فولف غانن نوا » فيرسم في كتابه الصادر عام ١٩٨٣ « حياة في بروسيا » تاريخا لمجائز ترمعروا في عهد المتيمر « فيلهيلم » ، وعاصروا حربين عالميتين . بينما تلتفت « كريستيانى بارله هاوزن » في كتابها الصادر عام ١٩٨٥ « اخوات » للخبرات النسوية المكتسبة في الصراع الطبقي في سبع دول تتحدث الاسبانية . ان هذا النوع من الادب الذي يحاول عكس الواقع بشكل اقرب الى الوثائقية ، يشكل مجالا حدوديا بين الفن والوثائقية ، لكنه يجذب شعبية كبيرة لدى القراء الذين يكافحون من اجل مضمون شخصي لحياتهم .

ازدادت ايضا كتب السيرة الذاتية ، وقصص حياة من يعيشون على هامش المجتمع والمنبوذين اجتماعيا ، لان التعامل معهم ومع المرضي

والمعاقين ، الذين ينبلون في المجتمع الاشتراكي ، يوضح بجلاء الإنسانية الحقيقية للنظام الاشتراكي . اريد في هذا المجال ذكر عمليين ادبيين فقط ، معبرا عن سلسلة بحالها من الاعمال الادبية :

« حرب الى الغيوم » لـ « زيبكي ماتيسوس » (ملاحظات أم ، تعيش مع ابنة متخلفة عقليا) و « قميص الرقيص السابع » لـ « انفريد يوهانيس » (مختارات من مذكرات مريض بالكحول) .

يعتبر هذا الادب والذي هو في الغالب ذا هيكل بسيط ، موسعا للافق بالنسبة للكثير من القراء ، و « مساعد على الحياة » .

يبدل كتاب رواد في ألمانيا الديمقراطية ، جهودا لانجاز اعمال ادبية صعبة الاسلوب ، انطلاقا من الخيال ، في سبر جذلي للعلاقات بين الاشخاص والطبقات والشرائح . ويسخر « هرمان كانت » في مجموعته القصصية « المسار الثالث » الصادرة عام ١٩٨١ و « الزمن البرونزي » الصادر عام ١٩٨٦ بأسلوب فكاهي لاذع من التفكير الاناني الاستهلاكي ، ومن قصور فهم البعض في تعاملهم مع الآخرين . اما « غونتردي برون » فيصف بصراحة لا تعرف الهوادة في عمله « روايات جديدة » الذي صدر عام ١٩٨٥ كيف تتحول نقط ضعف شاب ذي امتيازات ، الى انتهازية وانعدام الشخصية ، فيصبح عديم الاخلاق .

لقد ظل عرض حياة الانسان العامل محور الادب ، كما في السابق ، في ألمانيا الديمقراطية ، بيد ان تنوعا اكثر غنى قد طرأ الآن ، بالمقارنة مع الاعوام السابقة . تبرهن على ذلك اعمال « فولف ايكرت » و « بينيتو فوغاتسكي » و « انفيلاكراوس » و « ايرهارد بانيتس » . وابطال الروايات ليسوا روادا مخترعين في مجال التطور الاجتماعي ، بل هم على

□ أفق وتنوع الأدب في جمهورية ألمانيا الديمقراطية □

الأغلب مطبوعون برتبة عملهم اليومي ، الذي يمارسونه . والقليل مما يحدث في الروايات مثير . ولا يتم عرض صقل وعيهم وشعورهم بالمسؤولية ، عبر تشكيل حالات متطرفة للصراع والنزاع . ودوافع التردد القصصي ، التي تغذي الى جرد مقاطع مهمة من الحياة ، هي على الغالب ذات طبيعة شخصية ، بل حتى خاصة :

فمثلا مناسبة القصة عند « الجلا كولوسي » في كتابها « التسلية » ، الذي صدر عام ١٩٨٤ ، هي عيد ميلاد عاملة قوالب فحم الثامن عشر ، والذي يصادف مرور ٧٠ عاما على تأسيس المصنع الذي تعمل فيه هذه العاملة . وتامل الخبرات الفريدة ، التي لا تتكرر لشخص ما ، يفسح المجال لمروية العلاقة المشبعة بالصراعات بين المسار التاريخي والحياة الفردية .

يهتم القاصي والدرامي والشاعر « فولكر براون » منذ بداية الثمانينات بتأزيم العلاقات بشكل متكرر بين القادة والمقلدين . وقد ذاع صيته عام ١٩٨٣ مع عمله الأدبي « تقارير من هينتشي وكونتشي » ، والذي تضمن نصوصا نثرية قصيرة ومنمطة وطريفة . يطالب « فولكر براون » باعتباره تدرج الرتب الاجتماعي في الاشتراكية المبني على تقسيم العمل الاجتماعي كنظام ديناميكي وليس كنظام ساكن . وكلا جانبيه مطبوع بالفوارق . تذكرنا « تقارير هونتشي وكونتشي » عبر تعابيرها ، بقوة ، بـ « حكايات كوينر » لـ « برتولد بريشت » . وقد قدم « فولكر براون » بعد ذلك بعامين روايته « هونتشي وكونتشي » ، والتي تعتبر عملا ذا ترتيب أكثر تعقيدات لاحداثه ، وابطال الرواية ذوو سمات شخصية أكثر قوة . يدخل الراوي الذي يتحدث عن نفسه في حوار مباشر مع القارئ ويضع مشاهدته الدرامية أو انعكاسات الحوار مع الذات التي يمررها بأسلوب الطرف ، مما يضع نتائج قصصه المروية موضع التساؤل .

وهكذا يتضح على مثال حالة القائد السياسي « كوتسي » وساقفة « هينسي » والعلاقة بينهما المبني على دوافع السيد - العبد لـ « ديدي روت » المحورة ، كيف يتم التفاوض بأسلوب ديموقراطي بينهما حول القضية المشتركة .

٢ - السؤال عن معنى الحياة ، ضمن الظروف الاجتماعية المعاصرة .

ينصح الكاتب الصربي « يوري بريزان » في روايته « صورة الاب » التي صدرت عام ١٩٨٣ باعتبار القيم التي نمت عبر التاريخ ، جديرة بالتطلع اليها والاعتماد عليها في اتخاذ مواقف معاصرة ، وتبنيها كمضمون للحياة . يتهايا عامل مقالغ للاقاة الموت ، حيث تجتمع عائلته حوله للمرة الاخيرة . وكما كان طوال حياته ، يبذل جهده كيلا يهرب من مواجهة ابة صعوبات ، يواجه الموت بثبات ، يستعرض مراحل حياته المهمة مرة اخرى ، ويتأكد المعجوز من الموقف البناء لابائه ، والذين يشاركونه قلقه على الكوكب الارضي . وفي الوقت ذاته ، يستمر دافع اساسي عبر هيكلية التذكر : « ماذا اذن : ان يحيا المرء عزيزا ؟ » .

بشكل مغاير ويتحد يعرض القصاص والدرامي « كريستوف هان » وبطريقة غير تقليدية ، كيف ان على المرء ان يعيش اليوم . لم يلق اي عمل نثري صدى عنيغا متناقضا ، مثل قصته القصيرة « الصديق الغريب » التي صدرت عام ١٩٨٢ . انها حصيلة الجرد ، الذي جرى بشكل عفوي ، عبر وفاة الصديق ، لحياة طبية في الاربعين من عمرها ، تعيش بمفردها ، متفادبة كل انواع الصلات الشخصية مع من حولها . تعيش دون اية توقعات من الحياة ، منطوية على نفسها ، دون اي قسط من السعادة ، وعامرة بالرضى الظاهري . لا يستطيع المرء فهم هذه القطعة النثرية ، اذا نظر اليها بشكل ميكانيكي ، وقد اثبت النقاش ذلك . بوسع النقاد

ان يعترضوا لان الكاتب لم يبرز بشكل مقنع السباب تدمير الشخصية ، اذ لم يكن ذلك هدفه ببساطة . ان فكره « هاین » هي ان يجعلهم يشعرون انهم مصابون ، كي يتصدوا لذلك . « عندما يقول الشخص انه راض ، وانه بخير ، يريد في الواقع ان يقول شيئا آخر ، ليس العكس ، لكنه يريد ان يروي شيئا مختلفا ... » وعلى ما يبدو ، فقد نجح ذلك ، « اذ كلما تقوحت هذه المرأة ، كلما اصبحت الصيحة اوضح » .

يظهر « فولف ايكارت » في روايته « اليوم الاسرة » الصادرة عام ١٩٨٢ ان معنى الحياة بالنسبة للكثير من الناس ، هو الموقف الإيجابي من العمل ، وايضا في العلاقات العائلية المنظمة الى ابعد حد ، وان لم يكن يحدث ذلك دون صراعات . يتم عرض انواع من الشخصيات لاناس بسطاء ، اعتمادا على شخصية حائك ، لم يؤهل ليصبح معلم مهنة او مديرا للمعمل ، انما يريد « فقط » ممارسة عمله ، وهو واع لمسؤوليته .

٣ - دراسة تاريخ ألمانيا الديمقراطية والماضي الألماني :

ظل هذا الاتجاه الذي ظهر في السبعينات ، وهو البحث عن معنى للحياة ، عبر فهم تاريخ الذات وتوضيحه ، مستمرا في الثمانينات (نذكر هنا فقط بالروايات التي لاقت صدى دوليا « نموذج الطفولة » لـ « كريستا غولف » و « الاقامة » لـ « هيرمان كانت » و « ضوء المساء » لـ « شتيغان هيرملين ») . وليس المقصود من ذلك كتابة الروايات التاريخية ، بل تشكل وعي للتاريخ ، يصبح بعدا لآحداث معاصرة .

يحاول « ايريك نويتش » بروايته ذات الاجزاء المتتالية « السلام في الشرق » والتي سيصدر جزؤها الرابع عام ١٩٨٧ ، تتبع طريق جيله بدءا من الايام الاولى لنهاية الحرب ، حتى وقتنا الراهن . وخلافا لما كان يجري في الخمسينات والستينات ، لا تحدد الصراعات ومجرى الاحداث،

□ أفاق وتنوع الأدب في جمهورية ألمانيا الديمقراطية □

تحولاً من المواقف الفاشية إلى المواقف الديمقراطية إنما يتم تبني المواقف الاشتراكية ، خلال عملية بناء المجتمع ، بالإضافة إلى اثبات فاعلية هذا التبني في حالات الإزمات .

في حين يروي « إريك نويش » بأسباب وترتيب زمني تاريخي ، متوخياً مقارنة المواقف تاريخياً ، يعمد « غونتر روكر » المخرج السينمائي وكاتب المسرحيات الإذاعية ، الذي اشتهر بها ، إلى الإيجاز ، وإلى تبسيط الضوء على مصائر افراد ، انطلاقاً من خبرة تاريخية رفيعة المستوى .

يفضي « غونتر روكر » بأسلوب العرض السريع صوراً للحياة العادية وأخرى للحياة غير العادية في مجلداته القصصية ، التي صدرت تباعاً في عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦ « السيد الأمير أو هيلدي » و « الخادمة » و « انتون بوبر » ، والتي تعتبر من أنضج الأعمال الفنية للنشر الموجز في ألمانيا الديمقراطية . ترعرع « غونتر روكر » في « بومن » ، وانتقل إلى القطاع الشرقي عام ١٩٤٥ . وقد تولى نقد الفاشية بطريقته الخاصة . وقد بذل جهده للحصول على رؤية جديدة ورزينة ، محطماً بذلك تجليات الخمسينيات وكليشيوها ، انطلاقاً من معرفته الوثيقة بالماضي الألماني المبنية على الإلمام بالوقائع الكثيرة ، تلك التي اعتمد عليها .

يروي « غيرهارد باومرت » في كتابه « قرابة حذاء » الذي صدر عام ١٩٨٧ بواسطة تاريخ عائلات ، تاريخ ألمانيا وجمهورية ألمانيا الديمقراطية ، بأسلوب يوصف فيه حياة الكادحين بتفاصيلها وبتعاطف لا يضاهيه به أحد ، ولأن الكاتب يشرح كيف تفلطت العقيدة الفاشية إلى هذه الدوائر ، يمكن اعتبار كتابه إلى حد ما تقييماً لكتاب « كريستا فولف » ، « نموذج الطفولة » .

و « أرفين شتريت ماطر » ، الذي اصدر ١٧ كتابا ، ويعتبر أكثر كتاب المانيا الديمقراطية انتاجا ، يروي احداث طفولته في روايته « الحانوت » ، التي صدرت عام ١٩٨٣ ، والتي ستصدر تنميتها في عام ١٩٨٧ بمناسبة عيد ميلاد الكاتب الـ ٧٥ . ويشير تاريخ ميلاده في عام ١٩١٢ الى مرحلة تاريخية أخرى ، والى عالم وجيل آخر للخبرات . فوق ذلك يستعمل « شتريت ماطر » سلطة الراوي ، التي تنفرع باستمرار ، فتارة هي منظار الفتى الساذج ، الذي هو نتاج الكاتب ، وليس الكاتب ذاته ، وتارة منظار الرجل الضليع والذي بلغ اليوم السبعين من عمره . تبعت بواسطة هذه الإضاءة الشعرية المتغيرة وغير المألوفة ، نمطا منقرضا من الناس ، لا ينضم الى المعارضة ، على الرغم من تغير السلطات ، والذين بقيت انارهم حتى ايلنا الراهنة . كثيرا ما يؤدي هذا التغير الذي يشبه فترات فجائية في منظور الراوي الى تأثيرات غريبة تؤدي الى الابتسام وفي الوقت ذاته تستدعي التفكير .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

٤ (البحث عن امكانيات غير مستعملة واكتشاف قوى جديدة

يجب في هذا الموقع على ابعد حد ، ا كبار الاعتبار الدولي لانتاج كاتبات المانيا الديمقراطية . تعتبر اعمال « كريستا فولف » و « ارمتراد مورغنر » و « هيلغا شوبرت » و « فالتر اوت ليفين » و « هيلغا كونيفس دورف » وغيرهن ، اعمالا لا يمكن الاستعاضة عنها في ادب الثمانينات . ووضع المرأة في المجتمع الاشتراكي والحد الذي وصلت اليه المساواة بين الجنسين في الحياة اليومية ، هو الموضوع الرئيسي الذي تتم معالجته ضمن مختلف الترابطات . اما الخلفية الاجتماعية بالنسبة لهذا النتاج الادبي ، فهي الموقع المتقدم للمساواة بين الجنسين في المانيا الديمقراطية ، انطلاقا من المقياس العالمي . تعبر حقيقة ممارسة المزيد من النسوة مهنة

الكتابة عن عملية مساواة حقيقية . وتعالج الاعمال الادبية الجديدة موضوع المساواة بين الجنسين مع مراجعة الشروط والاهداف بشكل نقدي جزليا .

تشرح « هيلغا كونيفيس دورف » في قصتها التي يغلّب عليها طابع السيرة الذاتية والصادرة عام ١٩٨٧ بعنوان « تصرف دون احترام » اعراض مرض خطير ، تتحاور الراوية بين الحلم واليقظة ، تحت تأثير الادوية مع عالمة الذرة الألمانية المتوفاة « ليزي ما ينثر » ، وكون الكاتبة قد حصلت على الدكتوراه (بدرجة هابل) التي تؤهل للتدريس في الجامعات في العلوم الطبيعية ، يسمح لها ذلك باستخدام الحوار في الحلم ، لابرار مسؤولية العالم اليوم ولأعنان التفكير بشكل حاد بهذه المسؤولية . والكاتبة تختبر في الوقت ذاته حقل الصراع الذي تعبّره المرأة ، والذي ينشأ من تطلع المرأة لتصبح عالمة وزوجة وامراة في نفس الوقت .

يصل الامر الى اتقسام الشخصية ، في كتاب « اماندا » للكاتبة « ايرم تراود مورغنير » الذي صدر عام ١٩٨٣ « رواية سحرة » . يتصف هذا العمل بتداخل اساليب الرواية ، اذ تارة يتم بصيغة الغائب وتارة بصيغة الراوي ، وهذا العمل هو الجزء الثاني من اصل ثلاثة اجزاء ، لثلاثية « سالمان » . تعيش « لاوراسلمان » وحيدة ولديها طفل وهي غير متزوجة . تعمل سائقة لقطار ديزل ليلا فقط ، كي تتمكن من اخذ ابنها الى روضة الاطفال عند الصباح ، ولتخضره عصرا ، مما يؤدي الى الوجود الذي ينوس بين الخيال والحقيقة للساحرة « اماندا » ، المرأة المستسلطة المتعالية على الرجال . بالاضافة الى تداخل الاشياء اليومية مع الاسطورية والخيالية ، تأتي عوامل ساخرة ، تلك التي تدعم بحث الكاتبة عن قوى جديدة ، تعجل بالمساواة بين البشر . لقد قام الفلاسفة ، حتى الان ، بتحليل العالم من وجهة نظر الرجال ، والمطلوب الان تحليله من وجهة نظر انثوية ، ليتسنى تغييره بشكل اكثر انسانية .

دخل في هذه الاثناء كتاب رجال حقل المساواة بين الجنسين . هنالك الى جانب قصة « الصديق الغريب » لـ « كريستوف هابن » المذكورة آنفاً، قصص « فرص الرجل » لـ « غونتر غورليش » ورواية « حلم الشر » لـ « هيربرت اوتو » . يتم النظر الى علاقة حب في الرواية الاخيرة بين ممرضة ومدير معمل من وجهة نظر كليهما . وجدت المرأة المطلقة التي تعيش لوحدها في « الشر » شخصية خيالية ، اكثر مما هي واقعية ، معياراً تقارن بها شريكها الرجل في الرواية ، على الرغم من « الشر » لا يظهر في الرواية بشأناً . بيد انها لم تتمكن من فرض تصورها على الواقع ببساطة وهو « ان تعكس المألوف ، فتستعمل الآخرين ، عوضاً عن ان تستعمل » اما مدير المعمل ، فليس الشخص الذي تطمح به ، بل هو الشريك الواقعي . وهو متزوج ومرفه وخامل الذهن بعض الشيء ، تقيده واجباته الاجتماعية كصاحب منصب قيادي وكرب أسرة ، فلا يستطيع تحقيق كل ما تتوقفه منه . تظل المرأة منقسمة بين ما تطالبه وبين الواقع ، بين العطاء وانبات الذات . ويتضح في هذا الكتاب ، كما في مثيلاته ، ان تحقيق الذات بالنسبة للمرأة ، هو عملية حافلة بالصراعات أيضاً في الاشتراكية ، اذ قد ينجم خسائر ايضاً الى جانب الكسب .

٥ (التوجه الى قضايا العالم والانسانية :

ظل التركيز على قضايا داخلية ، تخص ألمانيا الديمقراطية تاريخياً واجتماعياً حتى منتصف السبعينات . لكن مع بداية الثمانينات الى ابعد حد ، يلاحظ انفتاح على المواضيع العامة والمشاكل الدولية . مرد ذلك الى الصدمات القوية ، الناجمة عن اخطار الحرب النووية المتفاقمة . لقد حصل الوعي الكوكبي ، الذي يهدف الى انقاذ الكرة الارضية من الدمار النووي او البيئي على زخم هائل . ونجم ذلك عن تطبيق الاتحاد السوفيتي

ومجموعة الدول الاشتراكية « للتفكير الجديد » في السلسلة المخرجية وهو انه يجب وضع مصالح البشرية في الصف الاول قبل المصالح القومية لكل دولة على حدة . وقدم ادب ألمانيا الديمقراطية في هذا المجال سبقا فنيا حقيقيا متوقعا الاخطار العامة .

يفهم كتاب مثل « ايرمترا ودمورغنز » و « كريستا فولف » و « هيرمان كانت » و « فولكر براون » و « هاينر مولر » اعمالهم الفنية ، كمساهمة في ابحاث السلام والتربية المسالمة بالمعنى الواسع ، ويتم في كتبهم استكشاف ترابط بين التعايش السلمي وبين بقاء الجميع احياء ، وبين مشاكل الاشتراكية الداخلية . يتم لتوضيح الاخطار ، استعمال نماذج انسانية علمة او نماذج من التاريخ الثقافي وتلقى هذه الاعمال ، يتخطى حدود ألمانيا الديمقراطية .

تحاول « كريستا فولف » في قصتها « كاساندرا » الصادرة في عام ١٩٨٣ ان تبرهن على وجود صلة بين الحروب ونشوء النظام الرجالي الابوي ، و تتابع ذلك حتى جذور « مجتمع الرجال » تنبأ المتنبئة « كاساندرا » منذ العصر القديم باندثار « ترويا » لان مصالح التسلط تغلب على الحكمة والمنطق ، ولذا يعلن القصر الملكي انها قاصرة . تتحقق النبوة ، وتتقبل « كاساندرا » الموت . تتحدث مع نفسها ، وكان ذلك تحذير للاجيال القادمة . تطرح الكاتبة كبديل للصراعات الحربية ، التي تؤدي الى انهيار العالم ، نظاما قديما تسيطر عليه النساء يكون منسجما ، بيد ان هذا التصور يفضي بالضرورة الى الطوباوية .

اصبحت المشكلة البيئية ، قضية عالمية ، تتخطى حدود الدول والانظمة ، تلك المترابطة بسباق التسلح والجوع في « العالم الثالث » ،

يظهر تفكير نقدي جديد للعلاقة بين الإنسان والطبيعة سواء في قصص « سانتوف » للشاعر « هانس سيبولكا » التي صدرت على شكل مذكرات في عام ١٩٨٣ أو في مقالات الكاتب الصربي « يوريج كوخ » أو في نشر القصص « يواخيم نوفوتني » من « لا يزيغ » ، أو في أعماله الحديثة عديدة .

تجرب « كريستا فولف » في قصتها « عصر يوم في حزيران » ١٩٦٧ أسلوب بيان في الكتابة القصصية وتتخلل فيه عن كثرة الحوادث ، ففي عصر يوم عادي في حزيران في بيئة ريفية مريحة عالية يتواجه التفكير في ومعنى الحياة مع التهديد المختبئ للوجود البشري . تثير الكتابة في ذاتها ولدى القارئ قوى المقلومة ، وذلك يكشفها لدستورها العاطفي والدقيق وعرضها الصريح لوعيها الشخصي المتمثل « بالنا » القصصية ، تعرض « كريستا فولف » في قصتها الحديثة « حادث ازعاج » ١٩٨٧ المصادقية للشخصية لا الشكلية .

تنصدر قصة « كريستا فولف » « حالة خلل » الصادرة عام ١٩٨٧ في الوقت الحاضر ، والتي سبب عنوانها الغرعي « اخبار يوم ما » الرواية النسائية التي تتحدث عن نفسها قلقلًا فكريًا . هما حدثان في الواقع : يجبران على موازنة فوائد واطار العلم والتكنيك الحديثين : عملية جراحية دماغية معقدة ، يتوجب اجراؤها للأخ ، والاخبار المخيفة التي تتواتر من ساعة لآخرى عن الحريق الذي شب في مفاعل « تشيرنوبل » النووي بلورت « كريستا فولف » أسلوب العرض لكل من الحديثين ، بشكل يتسنى لها الانتقال الى تاريخ البشرية ومعالجة مواضيع العرف والاخلاق الاجتماعية . اذ ثمة آلية تربط بين القتل والاختراع

برباط مباشر ، عندما يتعطل الضمير الانساني عن العمل . وهي بهذا تضع المسؤولية الانسانية للعالم والفنان حيال بعضهما البعض فهذان هما اللذان يشعران بالمسؤولية . فوظيفة الادب ستكون في المستقبل هي ان تجعلنا نحب الحياة وان تجعلنا قادرين على ان نحبي بعقلنا وشعورنا الى ابعد حد ، وان تزيد ارتباط الانسان بالاشياء المشتركة للبشرية والحفاظ على العالم للأجيال القادمة . وفي النهاية تودعنا الكاتبة التي تتكلم عن نفسها بهذه الجملة : « ما اصعب ان نفادر هذه الحياة يا اخي » .



الاحظانات :

- (١) هيرمان كانت ، مسؤولية الكاتب في صراعات عصرنا الحاضر . في الادب الالمانى الجديد ، العدد ٧ / ١٩٨٧ .
- (٢) فارن كلاوس هويكي « اسطورة » الالمانيا الديمقراطية بلاد القراء ؟ في : زونتاغ مجلة الرابطة الثقافية في الالمانيا الديمقراطية ، ١٢ / ٧ / ١٩٨٧ ، صفحة ٢ .
- (٣) بيان وفد المؤتمر العاشر لاتحاد الكتاب عام ١٩٨٧ .
- (٤) الادب في ترائه الكبير ، الذي يقوي الاشتراكية والسلام . حديث مع غيرهارد هينغر السكرتير الاول لاتحاد الكتاب . في : نوبس دويتشلاند ٩ / ٤ / ١٩٨٧ ، صفحة ٤ .
- (٥) فارن انفريد هينيل / هانس كاوف مان ، ادب الثمانينات ؟ اعمال نظرية في بداية المقدم . في : مجلة الادب الالمانى ، العدد ١ / ١٩٨٥ .
- (٦) بدا الذكاء يدبر ، وتوقف عن العمل - حديث مع كريستوف هاين . في : جريدة الشعب الالمانية ٩ / ٣ / ١٩٨٤ ، صفحة ٩ (دويتشي فولكس تسايس تونغ) .
- (٧) هيربرت اوتو ، حلم الشر ، برلين وفابيار ١٩٨٣ ، صفحة ٧ .
- (٨) كريستا فولف ، حالة خال . اخيار يوم ما . برلين وفابيار ١٩٨٧ ، صفحة ١٢ .

عصرونم في حذرنا

تأليف كريستافولف

ترجمة: أكرم محمد



ARCHIVE

قصة ؟ شيء محسوس يمكن للإنسان أن يمسه به كوءاء بمقبضين
يتناولوه ويشرب منه ؟

ربما كان ذلك سرايا ، عندما تدركون ما أعني . على الرغم من أن
الحديقة لم تكن رائعة كما هو العام ، وذلك منذ عرفناها قبل ثلاثة أعوام
فقط ؛ لم تستطع أن ترينا ما يكمن فيها . تبدى الآن أن ذلك لم يكن أكثر
أو أقل من حلم ، أن تصبح حديقة خضراء برية نضرة ، الشكل الحقيقي
لحديقة ، حديقة ، بكل معنى الكلمة ؛ يجب أن أقول أن ذلك كان مؤثرا
جدا . تبادلنا بعض العبارات حول نموها ، وتفهمنا بهدوء أنها تبالغ في
نضارتها ، ولا تستطيع الآن سوى أن تبالغ ، فكيف لها ألا تفتنم ، بنهم ،
الفرصة السانحة وتستفيد من هطولات الامطار الغزيرة .

ما يسميه بعضهم شبحا يرى فيه الآخرون بلبلا !

ما هو الشبح ؟ جلس الطفل عند قدمي وانصرف بشغف الى تشكيل قطعة من لحاء الشجر ، في البداية اراد صنع سفينة ، بعد ذلك خنجرا ، بعدئذ ما يشبه المظلة ، والآن ، اذا لم يخب ظني ، شبحا ؛ وسلاحظ عندئذ ماهية هذا الشيء الملعون المدعو شبحا . لكن عليك ان تقر انه لا يمكن التشكيل بهذا السكين الثلم ، كما لو انه لم يكن معروفا ان المرء سيعرض نفسه للجرح بواسطة سكين ثلم بشكل اكبر من سكين حاد . من ناحيتي ، وقد اعتدت على تجاوز التعليقات البطنة ، استلقيت على كرسي الحديقة وقابعة القراءة ، بغض النظر عن الاعتراضات على السكين الثلم .

قلت بعد قليل لزوجي ؛ لم اكن لراه ، ولكن صوت مقصه كان مسموعا بين عرائش العنب ؛ يجب تقليد هذا العام ، فقد كانت تنمو كما لو انها على منحدر على نهر الموزل وليس على سور شبكي مهترى تحت صنوبرية شمالية .

قلت : انت على حق <http://Archivebeta.Sakha>

قال : طبعا ، لماذا لم ترغب في قراءتها قبل الآن !

قلت : بإمكانها الكتابة بشكل جيد .

قال : على الرغم من ان ما كل ما تكتبه جيد ، حتى لا اخاطر وابالغ في إطرائها .

شيء رائع ! ولكن كيف تتعامل مع هذا البلد .

قال بزهو : نعم ! إيطاليا !

سألته بتحد : والبحر ؟

هتف وكأنه برهان غير قابل للنقص : نعم ، البحر المتوسط ! ليس هذا المقصود . الاختيار الدقيق للتعبير ، ذلك ما يجعل كتابها رائعة .

□ عصر يوم في حزيران □

قال : على المرء الا يفضل البحر المتوسط تماماً !

قالت الطفلة بنوع من اللوم : تلك المفردات الغريبة !

الشمس ، على ندرتها ، بدأت تدخل اللون الاشقر في شعرها ، خلال الصيف ، وخصوصاً أثناء العطلة على بحر البلطيق ، ستنشأ خصلة الشعر الشقراء ، والتي كانت الطفلة تحملها بوقار كشيء استحقته وكنا ننسأه عاماً بعد عام .

قلبت الصفحة ، فانبعث عبر رائع من اشجار الاكاسيا التي شارفت ازهارها على السقوط ، واختلط بعبر الصنوبر والبطم ؛ لكنني تمالكت نفسي وامسكت عن ذكر مفردات غريبة أخرى ، اكتفيت بدس انفي في حفة الاوراق الشائكة التي قدمتها لي الطفلة بشماعة مبدية استغرابها من اصل النعنع المتواضع . وفقت كقلق وسط جزيرة من الاعشاب البرية اطويلة ، وحكت إحدى ساقيتها النحيلتين بالأخرى . انبعث منها رائحة العشب المجفف والنعنع وكل الاعشاب البرية المختلفة التي لا نعرفها ، لكنها موجودة ، فرائحتها كانت تنبعث من الطفلة .

الحزنون يسير ببطء ، شديد ، الا تعتقد في ذلك ايضاً ؟ قالت ذلك حيث لم يكن بالامكان إنكار حقيقة أن الحزونة لم تستطع ، خلال ساعة كاملة ، الزحف من كرسي الحديقة الى خزان المطر . يشك المرء أنها استمعت الى رهاننا ، أو انها وضعت لنفسها هدفاً كهذا خزان المطر .
... الخ

بالمناسبة ، هل تعلمين أنها تلتهم ورق الخوخ بنهم ؟ لقد راقت ذلك لاعلم ذلك ، لم أر في حياتي حلزونة تأكل ، فما بالك بأوراق الخوخ . لكنني احتفظت بجھلي وشكوكي لنفسني وتركت الطفلة تذهب باحثة عن

شيء آخر أقل إثارة للخيبة من هذه الحلزونة . عندما ابتعدت ولم يعد يسمع لها حس ، أطبق صمت مفاجيء على كل شيء ، لا الطير ولا الريح ولا اي صوت آخر ، لكم ان تصدقوني ان الهدوء في منطقتنا الهادئة امر مثير للقلق . هذه المرة لم تكن سوى طائرة مدنية قديمة من النوع الجيد ، لا اقول انها لا تطير بسرعة فائقة او انها غير مريحة ، ذلك ان الشركات التي تطير فوقنا تتنافس وبكل حدة . اعني فقط : كانت تطير ، وهذا كان باديا للعيان ، من الشرق الى الغرب عندما يقصد المرء ، بشكل استثنائي فقط ، جهات السماء الاربع . اقلعت من برلين الغربية ، والممر الجوي - كلمة يمكن للمرء ان يتوقف عندها مليا - يمر بالضبط فوق حديثتنا وخزان المطر وكروسي الحديقة ، راقبت هذه الطائرة وهي تسحب وراءها ليس فقط ضجيجها ، وانما كل الاصوات التي تنتمي الى حديثتنا .

لا ادري اذا كانت السماء مؤدحة بهذا الشكل في اماكن اخرى ، عندما يستلقي المرء على الارض ويحدق في السماء ، يستطيع خلال ساعة ان يتعرف على انواع طائرات من مختلف بلدان العالم ، هذا لا ينبغي شيئا ، فحتى خلال الحرب العالمية لم اتعلم كيفية تمييز الطائرات مختلفة المنشأ والنوع من بعضها ، حتى اني لا تذكر فيما اذا كانت الطائرات تضيء بعينا بلون اخضر ويسارا بلون احمر ، او بالعكس ، عندما تطير ليلا فوق بيتنا ومن ثم تختفي في الظلمة خلف الاشجار ؟ هل تهتم بنا البتة ؟ لقد طرت بما فيه الكفاية كي اعرف انه ليس للطائرات عيون لترى او روح لتهتم بالآخرين ، لكني اراهن ان اكثر من وزير دولة او رجل مال او أحد رواد الاقتصاد يمر عصر هذا اليوم فوق منطقتنا . لقد قام بعمله خلال الاسبوع الفائت وادخل الشعور في نفسه والى الآخرين انه على راس عمله ، يعود يوم السبت الى بلدته بضمير مرتاح ، يراقب المرء ذلك البلد

□ عصر يوم في حزيران □

بشكل عابر لدى صعود الطائرة ، طرقات ، قرى ومدن ، أنهار وبحيرات ، حدائق وبيوت ، وفي مكان ما على ساحة خضراء ثلاث نقاط (دون أخذ الحزونة بالحسبان) ، انظر : بشر ، ترى كيف يعيشون هنا ! بالمناسبة موقع غير مناسب ، لا يمكن فعل الكثير من الجو فقط !

قالت الطفلة : لا توهمي اني سادعك تنامين . انسلت الى جانبي كالهنود الحمر وسرت كثيرا عندما ارتعشت من الفزع ،

جلست القرفصاء امامي ، ونظرت الى السماء باحثة عن سفن وقلاع ، عن سلاسل جبلية موحشة وعن بحار السمرمية المذهبة . لا تظهر في الافق سفن حربية ولا وعيد زوبعة ، فقط ضجيج المحركات الاتي من البعيد ، في السماء تشكلت واحة صحراوية اخاذة ، كافشا الشئمنن تستلقي على قمم اشجارها ، الحيوانات في هذه الواحة تتحول بسرعة عجيبة ، تعلموا هناك كيف تبرز الاشكال من بعضها وتحول فيما بينها : الجمل الى اسد ووحيد القرن الى نمر ، والشئ المستغرب لوعامة ، للوفاة الى بطريق ، راودنا شعور بعدم الثقة بعدم امانة المناظر السماوية ، أخفينا ذلك عن بعضنا .

سالت الطفلة : هل تذكرين انك كنت دائما تقولين ترطيق ؟ عوضا عن ترطيق ؟ اكنت حقا حقا لهذه الدرجة ! ابد ! كم تستمر كلمة ابد بالنسبة لطفلة ذات ثماني سنوات ؟ وكم تستمر كلمة ابدى ؟ سنوات ؟ عشر ؟ او ذلك الفارق الكبير الذي لا يمكن تصوره بين عمرها وعمرى ؟ قلت باصرار : برطيق . إسالي اباك .

لم نستطع سؤاله ، لم أتمكن من رؤيته كيف ابتسم وقال برطيق ،
بنفس اللهجة التي قلها قبل أربع سنوات ، لم أستطع مبادلتة نظرتة
التي كان سريمني بها ، فقد كان يتحدث عبر السور مع جارنا في الحديقة
الآخري . يتبادلان بعض النصائح . قال زوجي : ماذا ؟ تريد أن تقطع
الفطر الأحمر أكثر من ذلك ؟ ليس معقولا ! أصفينا إلى الجدال بتلذذ بالغ ،
رغم أنه لا يهمني في شيء . لكننا شاركنا الوالد رايه ، من حيث المبدأ أولا ،
وثانيا لأن جارنا فقد احترامنا نهائيا فيه الربيع ، عندما طلب وبجدية
واضحة أن تقوم طفلتنا بقطف بضع مئات أزهار الإقحوان التي تنمو في
حديقتنا كي لا تتحول إلى (كسار الزبادي) وتهدد ، على شكل بذور ،
حديقته المنظمة بعناية .

راقت لنا تلك الفكرة ، جيوش من مظلات (كسار الزبادي) تغزو
حديقة جلون في يوم تهب فيه ريح جنوبية خفيفة ، ويقف الجار ، وهو
يحشرج بسبب سمته ، مسلحا حتى الأسنان بالشوكة والمول وخراطوم
الماء ، واضعا قبعة القش على رأسه ، وعند قدميه يقف كليه الأسود
الهائج ، هؤلاء كلهم لا يستطيعون القيام بشيء ضد (كسار الزبادي) ،
التي تنهادى وتتداعى حيث . تجد مكانا ، دون عجلة أو تلوذ ، ذلك أنها
ستجد ، ولابد ، قليلا من التراب والرطوبة حيث تثبت قدمها وتبرعم .
كنا بكليتنا إلى جالب (كسار الزبادي) .

لكن الجار كان على حق عندما يشكو من (الفقاولة) التي تتمغن
عند سوقها ، ولا أحد يدري إلا أن يؤدي ذلك ، إذا بقي عصر منشمس
كهذا نادر الوجود .

□ عصر يوم في حزيران □

وسط هذا الحديث المتعب ، وسط الضحك الخافت الآتي من حديقة مجاورة ، وسط الحوار الكثيب في الكتاب الذي أقرؤه ، انطلق ذاك الانفجار الجاف والحاد الذي يهز الاعصاب ، والنتاج عن اختراق طائرة نفائة لجدار الصوت . قالت الطفلة غاضبة دون ان يبدو عليها الرعب : دائما فوقنا بالضبط . لم ادعها تلاحظ شعوري ان الارض مادت تحت قدمي بسبب تلك الصدمة .

قلت : ليس له خيار في ذلك ؟

— ماذا يعني هذا ؟

— يجب ان يخرق جدار الصوت .

— لماذا ؟

قلت : لقد صمم خصيصا لذلك ، فعمله اذا ان يخرقه ، حتى لو سبب انفجارا آخر . بالتأكيد شيء مخرج بالنسبة له ، ربما يضع قطنا في اذنه ؟ لكنه لا يسمع شيئا ، فالصدي يبقى خلفه .

شيء عملي ، الا تعتقدين ذلك ؟ تابعت بنفس اللهجة : اشعر بالملل . اعلم جيدا ان على المرء ان يخشى ملل الاطفال الذي لا يقارف بملل البالغين ، فقط عندما يصبح ملل هؤلاء مميتا : ملالني يخشى اكثر من الملل الميت لشعوب باكملها . لامجال هنا للحديث عن ذلك . علي ان اجد مخرجا لملل الطفلة ، قلت بشروء وتردد : افعلني شيئا .

قالت : قرأت في الجريدة ، على المرء ان يكلف الاطفال بواجبات ومهمة معينة ، فيصبحون عندئذ مثقفين .

— اتقرئين الجريدة ؟

□ عصر يوم في حزيران □

— طبعاً ، لكن الوالد يحرمني افضل الصفحات ، مثلاً : « جثة زوج في درج السرير » .

— اردت ان تقرئي ذلك حتماً ؟

— سيكون ذلك مثيراً . هل قتلت تلك المرأة زوجها ؟

— لا اعلم .

— من الذي اخفاه في درج السرير ؟

— لكنني لم اقرأ تلك المقالة !

— عندما اكبر سأقرأ كل هذه المقالات . أشعر بالملل .

طلبت من الطفلة ان تحضر خرقة وماء كي تمسح الطاولة والكراسي ، ورايت جثة الزوج في درج السرير تمسح في مخيلتها ، رايت زوجات يحضن مستعدات لقتل أزواجهن — ولكن بماذا ؟ بالبلطة ؟ بواسطة سكين المبلخ ؟ بحبل الفسيل ؟ رايت نفسي واقفة امام سريرها ، ما الامر ؟ هل رايت كابوساً ؟ عيناها المرتعبتان : لاشيء ، ليس بي شيء ؟ هل انتم جميعاً موجودون ؟

في أحد الايام ستروي هذه الطفلة لاطفالها الكابوس التي راته في طفولتها . الحديقة تكون قد اختفت منذ فترة طويلة ، استهز رأسها محتارة امام صورة قديمة لي ، ولن تعرف شيئاً عن نفسها . لكن جثة الرجل ستحافظ على شكلها ، شاحبة ووقحة ، كذلك الرجل الذي مازال يعدبني ، روى جدي حكايته لي : حكم عليه بالجنون ، بسبب جريمة قتل ، من خلال قطرة ماء كانت تسقط على رأسه الحليق بشكل منتظم كل يوم .

□ عصر يوم في حزيران □

قال زوجي : الا تسمعين هذا اليوم ؟ مابالك ؟

— كنت افكر في جدي .

— ايها ، ذلك الذي كان في الثمانين من عمره يقف على يديه ؟

— بذلك الذي مات بالحمى التيفية عام خمسة واربعين .

— ذا الشاربين المتدليين فوق شفتيه كمجل البحر ؟

— نعم ، هو ذاك .

— دائما اخلط بين اجدادك !

— العلة تكمن فيك ، لاداعي للخلط بينهم .

تابع الهجوم على اجدادي ، وتابعت الدفاع عنهم ، وكأننا نريد إخفاء نوابنا أمام مشاهد خفي .

وقف الى جانب شجرة الشمس الصغيرة ، التي استطاعت اخيرا ان تنطلق هذا العام من إسارها ، لكنها لم تتمكن ان تحمل أكثر من ثمرة واحدة : تابعا المخاتلة لدرجة اننا اصطنعنا النظر الى تلك الثمرة الخضراء الصغيرة ، لكنني لادري إلام كان ينظر في الحقيقة ، فقد دهشت لذلك النور الذي أحاط بشجرة الشمس وكل مايقربها ، يمكن للمرء ان يتمتع ناظريه دون الشعور بالملل ، على الرغم من اننا انتقلنا من الحديث عن الأجداد الى أشياء أخرى ، على سبيل المثال ، ذاك الكتاب الذي مازلت اقرا فيه ، والذي لايشغلني عن التمتع برؤية شجرة الشمس ، على العكس كان يخلق لدي انطبعا رائعا ، كما يجب ان يفعل الشخص الثالث . لكن كثرة من المهاجرين والأنبياء والمتبوزين وردوا في هذا الكتاب ، هذا ماتوصلنا اليه ، سمحت لنفسي ان اتجاوز قصة يصور فيها بتفاصيل

دقيقة انتقام شعبي رهيب من أحد الخونة . لقد اعترفت باني غير قادرة على تحمل مناظر التعذيب والقتل أمام الزوجات المقيدرات بالسلاسل ، اعترفت باني خائفة من القطرة القادمة التي ستسقط على رؤوسنا . في تلك اللحظة ظهرت ابتنا ، وعلى الجانب الآخر أخرج المهندس سيارته من الكاراج لفلسها ، لم يكن أحد ليملك تلك الشجاعة الكئيبة ليقول له أن لون سيارته أخضر كلون الضفادع ، كتب في أوراق السيارة : اللون: أخضر زيز فوني ، وهو يتمسك بذلك بشدة . هذا المهندس يعتبر كل ما يكتب في المجلات هاما . انظروا فقط الى تسريحة شعره لتتعرفوا على أحدث نصائح مجلة (حلاقك) ، والى مسكنه لتعرفوا ما كان عصريا قبل سنتين في مجلة (الديكور الداخلي) . مهندسنا هذا إنسان لطيف ، أشقر ، لا يهتم بالسياسة ، لكنه يقف قائرا فاه عندما نعتبر أن الافتتاحية الأخيرة دون مغزى . لا يترك مجالا لأحد ليلاحظ عليه شيئا ، ونحن لاندع أحدا يلاحظ علينا شيئا ، ذلك أننا نؤمن بأن ذلك المهندس الأشقر بسيارته الخضراء كالضفادع له نفس الحق في الحياة على هذه الأرض ، مثلنا نحن تماما بأزهار اقحواننا ومناظرنا السماوية وهذا أو ذلك الكتاب الكئيب .

لولا أن ابتنا ذات الثلاثة عشر عاما والتي دخلت الآن من باب الحديقة لم تضع نصب عينيها أن ترى في كل ما يتعلق بالمهندس شيئا عصريا ، ولولم يكن لهذه الكلمة تأثير سحري عليها .

سألنا وهي تقترب : أما رأيتم ، كم هي أنيقة تلك النظارة التي يحملها ثانية اليوم . التفت الى الوالد ، وب نظرة واحدة منعتة أن يقول أن تلك النظارة ، التي لم يلتفت اليها ، لاتطابق . راقبناها بصمت وهي تتبختر وترمي ظلا طويلا فوق العشب ، وكيف افترشت الأرض بطريقة

□ عصر يوم في حزيران □

غير مريحة تحت شجرة المشمش، ومن ثم كيف مدت قميمها وشدته،
كي ترينا أن تلك الكائنة أمامنا لم تعد طفلة .

— هل أخبرتك أنها عائدة من بروفة الحفل المدرسي ؟

قالت : الأمور جميعها لا تسير على مايرام ، مارايكم ؟

قال الوالد : شيء عادي . مازلت اعتقد جائزة حتى اليوم أن
الجواب لم يكن الا انتقاما من نظارة المهندس الانيقة .

قالت البنت محتاجة : حتى انت ! ترى طبيعيا الا يحفظ المنشدون
قصائدهم ، والا يستطيع الكورس الاداء ببطقة الصوت المطلوبة ، وإن
تعثر الراقصة دائما وتسقط على مؤخرتها !

— هذه الكلمات والتعابير أنعلمها منك ، اكنت ذلك الطفلة الجالسة
على حافة خزان المطر ، ولم تدع كلمة تعونها من الحياة الصاخبة لاختها
الكبرى . وهذا مادعا الوالد الى إيضاح أن سقوط الراقصة على مؤخرتها
امر مؤسف ولكنه ليس تعبيرا لانقا .

السؤال الفعلي : هل يحتاج المهرجان المدرسي الى راقصة . كيف لي
ان اوضح بكلمات قليلة أن الجدل الذي بدا لتوه له جذور عميقة تستقي
غذاءها ليس من الظهور العرّضي لراقصة ، وإنما من خلاف مبدئي حول
ذوق المعلمة التي تنظم كل مهرجانات المدرسة منذ دخول طفلتنا إليها .
كانت تجد دائما في الصف التاسع او العاشر تلميذة قوية البنية ، ومستعدة
لأن تنطلق عبر المسرح في وشاح احمر ، وتبدو ، على إيقاع موسيقا
البيانو ، كأنها تنوق لشيء ما .

لو ابديت رأيي لقلت : لا تستحق هؤلاء الفتيات لا الرقص القاطع
ولا الإعجاب المطلق ، ولكن كما قلت سابقا ، ليست تلك هي القضية ،

والقضية ايضا ليست في ميل المعلمة للإساءة الملونة الخافتة ، فقد تعودنا على تحمل انواع مختلفة من الإساءة : كان الوالد في الواقع لايتحمل تعلق ابنته اللامحدود بكل ماتعتبره مكتملا ، لايتحمل رؤيتها مجروحة الشعور ، يقف بحماقة في العراء اثناء العاصفة كي يضلل عنها البروق الموجهة إليها . ويحرفها اليه ، ويحصد جزاء لذلك إما عناقا عاصفا أو نكرانا غاضبا ، ورغم انه يقسم للمرة الألف : لن اتدخل منذ الآن وصاعدا في أمور النساء ، إلا اننا لانصفي لايامانه ، لقد تدخل ، مع او دون قسم . المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

قالت الطفلة مترددة : حِجر الفار . هل سيمركونني طوال الوقت صفرا على الشمال ؟ ربما يعتبرون الإجابات التي تلتقتها بتعاقب سريع ، والتي اسجلها هنا بحرفيتها ، غريبة ، قلت : دود المطر ، قال الوالد : فطر السعادة ، قالت البنت : شبح الليل . بإمكان اللعبة اذا ان تبدأ دون تأخير بهذه المجموعة المناسبة من التماثيل : الجولة الاولى بدأت : حِجر المطر ، فطر الفار ، شبح السعادة ، دود الليل ، بعد ذلك توصلنا الى دود الحِجر وشبح الفار وسعادة المطر وليل الفِطر ، لم نتوقف بعدها ، فقد تحطمت كل السدود وغمرت الارض بأروع التشويشات ، شبح الدود ، مطر الفار ، حِجر الليل ، واندفع دود الفطر وسعادة الحِجر ومطر الليل وفار الفطر .

أرجو المذرة ، من الصعب الا ينحرف الإنسان ، من المحتمل وجود كلمات افضل ، ومن الطبيعي ان خمسة أو ستة لاعبين افضل من اربعة . لقد جربنا ذلك مع المهندس ، أتدرون ماذا قال ؟ لن تحزروا ، خدعنا طبعاً ، فمن قواعد اللعبة الا يفكر المرء ملياً ، عليه ان يقول الكلمة التي تخطر على

□ عصر يوم في حزيران □

بأله فوراً . لكن المهندس ولثوان طويلة فكر وفكر ، أجهد نفسه بشدة ، الى ان طلع علينا بساعة البناء ، طبعاً لم ندعه يهزأ بنا ، فقد قدمنا له ورشة العمل ، وردية اضافية ، جريدة النقابة ، حتى الطفلة قالت محترمة: مشرف طليعي . لكن اللعبة لم تنجح مع بناء النقابة وساعة الورشة والعمل الإضافي ومشرف الوردية وطلبيعي الجريدة ، مارسنا اللعبة دون رغبة ، وضحكنا قليلاً عند كلمة نقابة المشرفين ثم قطعنا اللعبة . لم ينبس أحداً ببنت شفة عن هذه المحاولة الفاشلة ، لكن شيئاً ما كان يعمل في نفس ابنتنا الكبرى ، الى ان قالت في المساء : لكنه يتمتع بومي رفيع !

قال الوالد آنذاك : إوزة تلج ! نفس ما قاله اليوم لان البنت تدافع ثانية عن الواقعة الفاشلة ، وتؤكد لتبرئتها انها ستظهر رائعة بوشاح ذي لون اخضر بحري . إوزة تلج خضراء ! اخذ الطفلة من يدها وانطلقا ، كأنهما يبادران الى الأبد ، وليس كي يذهبا الى موضع البرسيم السري ، ذلك لأنهما انتقلا ، ولا ريب ، من فطر السعادة الى برسيم السعادة . لكن البنت نظرت خلفهما بشوة قائلة : إوزة الثلج ! يقولها عندما لا يبقى لديه حجة ؟ هل أجد لديك مشطاً ؟

اعطيتها المشط ، ومن حقيبتها سحبت مرآة وعلقتها بصعوبة على أغصان شجرة المشمش الصغيرة . سحبت الشريطة من شعرها وبدأت بتمشيطة . تمهلت قبل ان أبداً بصفحة جديدة ، رايتها وهي تحاول ان تتمالك نفسها ، لكن يجب القول : الا ترين ان تمشيطة صعب ؟

— ماذا ؟ شعري .

— هذا ما يحصل عندما يفصل المرء شعره قبل النوم مباشرة ، تلك التسيريحة أظهرت جلياً أنفها الكبير ، تداركت بسرعة : لكن أنفك ليس كبيراً جداً ! ولو ان حاملته تبدو اكبر من عمرها .

بدا الجاني في الباص بكلمة (آنسة) قائلا : يا آنسة ، هل لك أن تضي سافيك قليلا ! لقد أخرجها ذلك .

— لكن ذلك لم يخرجني فقط ، هل تفهمين ؟

— كان بإمكانك ببعض الذكاء أن ترددي له الإهانة ، قولي له مثلا : اتعنيني أنا بهذه اللهجة المؤدبة ؟ لكن لا ، هذا مالا يخطر على بالها عندما تحتاجه ، والقضية لم تكن في وقاحة جاني الباص ، وإنما في كلمة (آنسة) . ولكي تعود الى الشعر ، قالت ابنتي : ماذا تفضلين أن تكوني ، جميلة أم ذكية . ؟

أعرفون هذا الشعور ، عندما يكون السؤال وقع القنبلة ؟ أدركت فوراً أنه سؤال مصري ، وأنه أوقعني في مأزق مستعص .

تحدثت بإسهاب ، ولا حظت من وجهها أنها تعتبرني مسؤولة تباعا عن كل الانتهاكات الممكنة في إجابتي ، وفي اللاوعي رجوت قوة غير موجودة أن تمنحني الإلهام ، وفكرت : إنها تصبح شبيهتي ، أرجو ألا تلاحظ ذلك منذ الآن ! قلت فجأة وبحدة : اصفي إلي ، مابك تحمقين هكذا ، إذا كنت لاتصدقيني ، فلماذا تسألين إذا ؟

تعلقت عندئذ برقبتي ، فقد كانت تهدف الى ذلك من هذا السؤال . وقع المشط في العشب ، كما لو أن ذلك للأبد ، طبعت شغتيها الغضتين على كل بقعة في وجهي ، وهمست في اذني تلك الكلمات المحببة ، أحبك أنت فقط ، وسأبقى الى جانبك دائما ، وسأصفي لنصائحك ، تلك الايمان المغلفة التي يقسم بها المرء كنوع من الدفاع عن النفس قبل ان ينكث بها نهائيا . لقد صدقت كل كلمة ، وسخرت من ضعفي ومن تعلقي بذلك الخداع الرخيص .

قالت الطفلة بازدراء ، إنها تلعبان بعضهما ثانية ، رمت في حضني باقة صغيرة من زهر البرسيم ، سبعة اغصان برسيم ، على كل واحد من هذه الاغصان السبع نمت اربع وريقات ، على المرة التأكد من ذلك ، لم تكن خدمة بصرية ، حظ رباعي الوريقات متين .

هتفت البنت وانتفضت فرحة ، سبعة ! السبعة هي رقمي السعيد . باختصار : ارادت الحصول على الوريقات ، السبع وريقات لنفسها . لم نجد فورا الكلمات المناسبة لهذا الادعاء ، ولم نتذكر ان ننبهها الى انها لم تهتم قبل الان ببرسيم الحظ، وانها لم تجد حتى الان غصنا واحدا لبرسيم رباعي الوريقات . حملنا اليها بدهشة وصمتنا ، لكنها كانت مشغولة بحفظها ، لدرجة انها لم تتردد ولو للحظة واحدة .

اخيرا قالت الطفلة : نعم ، سبعة هو رقم الحظ لديها . فعندما نذهب الى المدرسة ، تمشي سبع خطوات بين شجرة واخرى . شئ محير ، وكأنه تنفيذ لعدالة لا ترد ، اخذت الوريقات من حضني وقدمتها لاختها ، لكنها اعيدت لي فورا ، بعد ان ضغطتها البنت على انفها ، المزعوم كبيرا ، عليّ ان اضعها في الكتاب . لقد راقبتني وانا اضعها بين الصنوبر والبطم ، على طرف البحر المتوسط الغريب ، على عتبات درج المنجم ، الذي كذب رافة بذلك الساقى الشاب الذي كان يخدم زبائنه ، سعيدا ، قبل ان يعلم انه سيصبح ضحية لمؤامرة دنيئة . لقد تخطيت تلك الصفات حيث جرى ذلك الانتقام الشنيع ، ماذا اعرف عن البرسيم رباعي الوريقات وعن رقم الحظ سبعة ، وما الذي يعطيني الحق بان استشير قوى معينة؟ على الانسان ان يتأكد دائما مما يفعله .

— من منكم أخفى خيوطي ؟ بضربة واحدة نزلت الطبيعة النباتية والحيوانية الغريبة من الأفق ، عادت الى حيث تنتمي ، ماكان يشغلنا هو وجه الوالد العابس .

قلنا بشجاعة : خيوط ؟ لا احد ، اية خيوط ؟

اليس لدينا عيون في رؤوسنا لنرى ان الورود كانت مربوطة ؟ سحبت الطفلة جيلا من تلك الحبال التي كانت تحملها دائما في جيبها وقدمتها للوالد ، ادركنا عندئذ ان الامر جدي فعلا .

اقتрحت البنت ان يحضر خيطا جديدا ، لكن الوالد رفض الخيط الجديد ، واراد القطع الست التي قصها بعناية ووضعها في مكان ما ، ونحن أخفيناها طبعاً . ادركنا اننا سنمضي بقية الوقت في البحث عن الخيوط ، وفوق ذلك ان نتحمل الوالد وهو يندب حظه الذي رماه بين ثلاث إناث . تنهدنا ولم ندر ماذا سنفعل ، في تلك اللحظة دخلت السيدة (ب) .

تأرجحت السيدة (ب) فوق العشب مقتربة منا ، كان عليها ان تنقل كامل ثقلها من إحدى ساقها الى الاخرى ، تحمل في يدها اليسرى سلة لاتخرج الى الشارع دونها ، وقد امسكت في يمانها الخيوط الستة . قالت : لقد نسيتموها على السور ، وعندما ستبحثون عنها ، لا احد يدري ماذا سيحدث .

قال الوالد : آه ، لقد آتت في الوقت المناسب . اخذ الخيوط وذهب باتجاه الورود .

قلنا لها : شكرا جزيلا ، ولكن تفضلي بالجلوس .

□ عصر يوم في حزيران □

احضرت البنت كرسيا ، من التي نظفتها أختها قبل قليل ، راقبنا بهلع كيف اختفى الكرسي تحت جسم السيدة الثقيل ، زفرت السيدة (ب) قليلا ، الى ان تماكنت أنفاسها ، فالمشي مشقة كبيرة بالنسبة لها ثم اخبرتنا ان ذبول (الفراولة) سببه التسميد الزائد . لا يوجد تصرف لكائن حي يستعصي على فهم السيدة (ب) ، فمن النظرة الاولى تشخص المرض واسبابه ، حين يبحث الآخرون طويلا عن العلة . كان علينا ان نحصد العشب منذ مدة طويلة، وان تقلع الاعشاب الضارة في حوض الجزر، لم نجرؤ على مناقشتها ، لكنها اثارت دهشتنا بالسؤال عما اذا حاولنا النظر داخل تلك الوردة التي تنمو على يسار المرح .

— لا ، لم ننظر الى داخل الوردة ، راودنا شعور باننا ندين لها بشيء . ركضت الطفلة لتستدرك ذلك وعادت قائلة : شيء رائع .

التبلات الداخلية تتحول الى صفراء قامقة الى ان تصبح وردية ، لون وردي لا يوجد في كل مكان ، والأروع من ذلك هو عمق تلك الوردة ، شيء لا يتوقعه المرء .

قالت السيدة (ب) : قلت لكم ، هذه الوردة من نوع نادر ، شجرة البندق تحمل ثمارا كثيرة هذا العام .

الآن فقط ، وبعد ان لاحظت السيدة (ب) ذلك ، حملت شجرة البندق ثمارا كثيرة فعلا ، وبدا لنا ان كل مايقع عليه نظر السيدة (ب) سواء بالإيجاب أو الاستنكار ، حتى الفراولة الدابلة ، قد حصل على بركة حقا .

فتحت السيدة (ب) فيها قائلة : سيفسد المحصول هذا العام على الأغصان .

هتفتا بدهشة : ماذا تقولين !

قالت دون تأثر : هكذا سيكون الحال . فالتقويم المئوي يقول إن هذا العام حافل بالمعاصف والزوابع والامطار والفيضانات سيفرق المحصول ويتعفن .

داهمنا الصمت وراينا المحصول يهلك امام نظرات السيدة (ب) الهادئة ، وبدد لنا لثوان كان السيدة (ب) هي التي تتحكم بمصير المحصول والبندق و (الفراولة) والورود . ليس مستغربا ان يحصل المرء على حق المشاركة في التحكم بمصير منتجات الطبيعة ، بعد ان يكون قد اشتغل فيها طيلة عمره . حاولت دون جدوى ان اتخيل انهار عصير الفواكه وجبال المربي والجبليّة التي مرت على طاولة السيدة (ب) خلال اربعين عاما ، رايت العربات المحملة بالجزر والفاصولياء والتي غسلتها يديها وقشرتها بأصابعها ، آلاف الدجاجات التي علقتها والخنازير والأرانب التي سممتها والمزرات التي خلجتها ، ووايت أنه من العدل ان يخاطبها إنسان ما امام الآخرين قائلا : ايها السيدة المحترمة ، بالنسبة لمحصول هذا العام ، نحن نعتقد ...

لا يوجد إنسان راي التقويم المئوي بأم عينيه .

قالت السيدة (ب) بارتياح : هاهم قد عادوا ثانية ، مايشير دهشتي،
الم تساموا ذلك بعد !

— ممن ، ولماذا ؟

لكننا رايناها طبعاً : الحوامات . اعتذر لها بسبب الطيران الناشط فوق منطقتنا ؟ الحقيقة ان حوامتين تطيران في هذه الساعة فوق الحدود، بغض النظر عما يأملون رؤيته او ما يخشونه خلف الاسوار الشائكة .

□ عصر يوم في حزيران □

عندما يكون لدينا وقت ، نشعر بالقرب الشديد من الحدود ، نرى اذرع المروحة الطويلة وهي تدور ، وننتطلع صوب البقع المضيئة في المقدمة ، وجوه الطيارين ، ونسائل فيما اذا كان هؤلاء نفس الطيارين انفسهم دائما للمراقبة ، ام انهم يتبادلون . ربما كلّفوا بمهمة التحليق كي نعتاد عليهم ، فالانسان لا يخاف من الشيء الذي يراه يوميا . لكن لا شيء يقرب الحدود إلينا كتلك الحوافات التي لاتخشى ضوء النهار ، حتى تلك الكشافات الضوئية والطلاقات المضيئة ، الحمراء والصفراء ، التي تنطلق من أبراج المدينة .

قالت السيدة (ب) : يظن المرء انه قادم من تكساس ، حيث يتواجد ابني حاليا .
من ؟

ذلك الطيار ، من الممكن ان يكون من تكساس ، اليس كذلك ؟ ممكن .
ولكن ماذا يفعل ابنك في تكساس ؟ <http://Archivebeta>

قالت السيدة (ب) : يلعب كرة القدم .

تذكرنا فجأة ابنتها الاصم الابكم والذي يحيا مع زوجته ، الصماء البكماء كذلك ، في الغرب ، والذي يزور الآن ، مع فريق الصم لكرة القدم ، تكساس ، دون ان يشعر بما تقوله امه عندما تنظر الى قائد الحوامة . تذكرنا انيتا ايضا ، ابنة السيدة (ب) ، هي الاخرى صماء ، تعيش وحيدة في مدينة غريبة لكنها قريبة ، تتعلم مهنة هناك ، كانت ترسل ثيابها اسبوعيا للفسيل . تطلعنا الى السيدة (ب) علنا نجد آثارا للقدر في وجهها ، لم نجد شيئا غير عادي .

قالت الطفلة عابسة : انظروا الى هناك ، وامام السور وقفت جارتنا الارملة هورن .

قالت السيدة (ب) : أتمنى لكم العافية اذا ، سانسحب لكنها بقيت ، وادارت جسمها الثقيل لتقابل الارملة هورن ، تلك المرأة التي لاتضع بصلا في شطائر البطاطا ، والتي لاتصلح المجاريير المسدودة في بيتها ، والتي لاتسمع لنفسها بشراء غطاء جديد لراسها ، كل ذلك بسبب بخلها الشديد . قدمت إلينا لتحدثنا بصوتها المزعج واللامبالي عن حادث القطار .

قالت دون ان تلقي تحية : لقد أصبحوا اثني عشر !

رددنا بانقباض : طاب يومك ، اثني عشر ماذا ؟

قالت الارملة هورن : اثنا عشر ونية ، وليس تسع كما زعموا البارحة في الجريدة .

قالت السيدة (ب) : يا للهول ، ونظرت الى جارتنا ، كأنها هي التي قتلت الموتى الثلاثة ، الذين لم يذكروا أمس في الجريدة .

كنا نعلم ان السيدة (ب) تظن السوء بها ، فالذي يتعلق بالمال يسرق ويقتل البشر ، لكنها ذهبت بعيدا في سوء ظننا ، رغم ان البريق في عيون الارملة هورن لم يعجبنا بشكل من الاشكال .

سألناها : من أين تعلمين كل ذلك ، وهل صحيح ان ثلاثة منهم من بلدتنا ؟

قالت جارتنا عرّضا : اربعة ، لكن زوجة ذلك الممثل مؤمن على حياتها بمبلغ كبير جدا .

قلنا وقد شحب لوننا : ليس معقولا ! هل توفيت هي ايضا ؟

قالت الارملة هورن بحدة : طبعاً .

□ عصر يوم في حزيران □

صمتنا لثوان حدادا على زوجة الممثل . اتجهت للمرة الاخيرة عبر ذلك الشارع مع كلبها صوب باب حديقتنا ، للمرة الاخيرة تدمرت ، بين الجذ والهزل، من تصرفات الكلاب ، جرت قدميها دون رغبة بين الاشجار، ورمت شعرها الاشقر الطويل الى الخلف . لقد رأينا الآن انها تمتلك شعرا جميلا ، غير مصبوغ ، وانها كانت نحيلة القوام وتبدو بمظهر جيد بالنسبة لعمرها ، لم تتمكن من قول ذلك لها ، لقد رحلت ، ادارت ظهرها لنا بإصرار لم نعهده فيها ، لا يحق لنا أن نأمل أن تستدير أو تعود إلينا مرة أخرى ، كي نتطلع نحن الاحياء الغافلين مرة أخرى الى وجهها ونسمرها في ذاكرتنا ، للأبد . كلمة غير مناسبة لزوجة الممثل الحيوية التي تعذبها الهموم اليومية .

قالت جارتنا دون أن تلاحظ أن احدا قد مر بقربتنا : لم يعد بعد .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

— من هو ؟ — الممثل طبعاً . لم يجدوا لها أثرا حتى الآن ، فقط حقيبة اليد وبداخلها بطاقتها الشخصية . لقد اغتم الزوج كثيرا لذلك ، لم يعد حتى الآن .

حدث ما كان يجب أن يحدث ، فتحت الطفلة فيها وسالت :

ولكن لماذا ؟ لماذا لم يجدوا لها أثرا ؟

حملتنا جميعا بالارملة هورن ، فيما اذا كانت ستصف ما يكون عليه الحال على سكة القطار بعد حادث كهذا ؛ لكنها قالت دون أن تلتفت الى نظراتنا المتضرعة : الامور لا تتم فورا ، ما زالوا يبحثون عنها .

قلت : اقتربي وتفضلي بالجلوس .

لكنها لم تستطع إلا أن تبسم . المرء لا يراها تبسم ، فقط عندما يطلب منها شيء غير عادي . أن تتخلى عن شيء ما على سبيل المثال ، أو أن يطلب إليها الجلوس في النهار . من يجلس يفكر ، من ينقل زبلا بعمرته الى حقل الدرة أو يمزق أرضا أو يذبح دجاجة يفكر أقل بكثير من إنسان يجلس في حجرته ويحدق في الخزانة التي تحوي فناجين اثرية . من يضمن لي عندئذ الا يظهر فجأة رجل امام الخزانة ، حيث كان يقف دائما كي يحضر جريدته ، رجل جدير بالكره ، لاقى حنقه كعقاب على هجر زوجته ، او احفاد لا يعرفهم المرء لانه طردهم مع الكنة ، تلك المرأة الوضيعة . يهب المرء عندئذ ويحضر القفص المليء بالصيصان الى الحجرة ، عليهم يملؤون البيت الفارغ بصوتهم ؛ عل الريش يطير في انحاء الغرفة حتى يكاد المرء ان يختنق ، فليذهب كل شيء الى الجحيم . او يذهب المرء الى المطبخ ويلون بيضا لميد الفصح ويهديه لاطفال الجيران ، تلك المخلوقات المشاكسة التي تفرغ الباب مسددا ، وعندما يندفع المرء للخارج ويبحث عنهم في كل الاتجاهات ، لا يجد أحدا .

قالت الارملة هورن : الى اللقاء ، لم ابلغ شيئا آخر . مضت معها السيدة (ب) ، كل خطوة من خطواتها الثقيلة ، اوضحت انه لا شيء يجمعها بتلك السيدة الناحلة التي تسير الى جانبها ، يجب الحفاظ على الحاجز الذي يفصل قدرا لا ذنب للمرء فيه عن شقاء سببه الانسان لنفسه .

نشب نزاع بين الطفلتين ، لكني لم اهتم به . اشتد النزاع الى ان بدانا تلاحقان بعضهما بين الاشجار ، الطفلة كانت ترفع عاليا ورقة ممزقة وتصيح . إنها تحب شخصا ما ، إنها تحب شخصا ما ! والبنت ، خارجة عن طورها ، تطالب بتلك الورقة ، تطالب باعادة سرها ، الذي

□ عصر يوم في حزيران □

كن من الصعب إخفاؤه ومن الصعب إظهاره أمام الجميع . اسندت رأسي الى المخدة على كرسي الحديقة واغمضت عيني ، أردت الا اسمع والا ارى شيئا ؛ تلك المرأة التي لم يجدوا منها سوى حقيبة يدها ، لم تعد ترى او تسمع شيئا ايضا . مهما كان نوع اللعبة التي وضعت يدها فيها ، لقد تزعت يدها من تلك اللعبة ، التي استمرت بدونها .

عصر هذا اليوم الخفيف كالريشة تعلق بالثر تلك الدقيقة ، مائة سنة تعادل يوما ، ويوم يعادل مائة سنة ، يقولون وبحق اليوم الايب ، لماذا لا يشعر المرء كيف يؤوب : يمضي أمام الشمس التي اختفت في أيك البنفسج ، يمضي أمام صراخ الاطفال ، يمضي أمام شجرة المشمش الصغيرة ، يمضي أمام الوردة التي ستبقى اليوم وغدا فقط صفراء من الخارج ووردية من الداخل . ولكن الانسان يشعر بالخوف عندما تمبد الأرض تحت قدميه ، يعود ليرمي أثقالا ، هذه وتلك ، كي يرتفع من جديد . من الذي يقول إن الذراع قد امتد ليوجه تلك الضربة التي تنتزع الايدي من كل شيء ؟ من الذي يقول إننا نحن المطلوبون هذه المرة ؟ وإن اللعبة سنستمر دوننا .

توقفت الطفلتان عن التنازع فيما بينهما ، لقد اكتشفتا بعض الجراد الصغير . نادى الوالد ان نحزم اشيائنا فقد حان وقت الرحيل .

القينا الكراسي على الطاولة ووضعنا الشوكات في الحظيرة الصغيرة المعتمة .

عندما مضينا ، كان الجو قد امتلأ بالخنافس الملونة ، عند باب الحديقة استدرنا ونظرنا الى الخلف .

سألت الطفلة : متى سيأتي ذلك البحر المتوسط ! اليوم ؟

* * *

لقاء رحلة

○ بقلم: آنّا زيفيرز
○ ترجمة: د. نبيل حفار

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

في الصباح الباكر وصل هوفمان الى براغ ، وكان على الحدود التشيكية قد استبدل العربة التي يحب التشيكيون استخدامها . كانت تفر وتتهز . في البداية شعر هوفمان ببعض الدوار ، لكن نهر الإلبه الذي كان يتلألا في ضوء القمر أسر افكاره ومن ثم احلامه . وعبر البحر نائما، بصحبة رجل الكنيسة ليندهورست الذي كان قد دعاه الى جزيرته .

لدى وصوله الى براغ كان امام هوفمان بضع ساعات قبل ان يشرع بالبحث عن المقهى الذي سيقابل فيه الصديق المجهول . وكان غوغول قد عبر له في رسالة عن رغبته في لقائه خلال رحلته من إيطاليا الى اوكرانيا ، فقد قرا بعض كتاباته بمتعة كبيرة .

□ لقاء رحلة □

على الخريطة وجد هوفمان الشارع الذي يقع فيه المقهى . - ورغم العديد من القصص التي كتبها خلال حياته ورسائل القراء التي استلمها فقد كانت رغبته في رؤية هذا الرجل عارمة . وعلى أية حال لم تكن مدينة دريسدن حيث كان يقضي الكثير من حاجاته باللغة البعد عن براغ . وغوغول ايضا لم يكن يضيع الكثير من وقته هنا عندما كان ينطلق من هنا الى وطنه . وفكر هوفمان بأن هذا الوطن لا بد أن يكون واسعا بلا حدود ، ولا يقارن بوطن اذا اراد الانسان أن يسمى هذا الخليط من الامارات والاقطاعيات والممالك والأبرشيات دولة واحدة . ومع ذلك فقد كان الادباء هناك يكتبون باللغة نفسها ، بل استطاعوا حتى منافسة ادباء العالم .

نسي صديقه بالمراسلة - وهو يدعو صديقا لأنه رغم بعد المسافة يشعر بشيء من الصداقة بالامس قلبه . مشى حتى اعماق المدينة . وفي المدن القريبة كانت الانهار أول ما يشهده ، وعلى جسر كارل توقفت خطواته وقلبه . ما اعجب تلك الهياكل المنتصبة على طرفي الجسر ! وصورها المنعكسة في الماء الهاديء المتلائيء اخذت بشغاف قلبه . اخترق زورق الصور المنعكسة ، وكانت المجاذيف تلامس الصليب والمعاطف كثيرة الثنيات . وعندما رفع هوفمان رأسه رأى القلعة على الشاطئ المقابل ؛ كانت مدينة قائمة بذاتها ، بأبراج الكنائس والاسطحة والاسوار الممتدة طويلا ؛ وكانت تهيمن على المدينة . ولا عجب أن تقايل القياصرة على أن يحكموا من هذه القلعة ، التي كانت في الواقع تحكم نفسها . لا شك أن من كان يمارس عمله هناك في الاعلى كان فخورا وواثقا من نفسه ، ولا شك أيضا أن كبار موظفيه وصغارهم كانوا فخورين وواثقين من انفسهم ، كل حسب منصبه .

كان على هوفمان أن ينتزع نفسه من أفكاره ، وأن يجد المقهى ويصل اليه قبل غوغول . ورغم أن الحارات الجانبية ببواباتها ذات الأقواس وفسحات بيوتها كانت تجتذبه إليها ، إلا أنه لم يجد صعوبة في الوصول . فبعد الحديث كان سيمود ليلقي نظرة سريعة على كل هذا ، وقد سره أن تكون بوابة المقهى الباروكية مزدانة بالحفر الذي يمثل حشدا من الملائكة .

في مثل هذا الوقت يكون المقهى عادة شبه خال ، وكان النادل يتكلم الألمانية بطلاقة ، فجلب له قهوة ممتازة مع بعض الكعك الطازج الذي ذاب لغوره على لسان هوفمان ، كما جلب له صحفا ألمانية ، يقلب هوفمان صفحاتها قليلا ، لكنه لم يستوعب ما قرأه ، وبدأ له ذلك مملا . لم يعرف من يكون مازاريك هذا الذي تمتدحه بعض الصحف وتذمه أخرى . كما أنه لم يهتم بذلك أبدا . هل يجلس مازاريك في القلعة الآن يا ترى ؟ ما كان يهمه هم البشر من حوله ، وكان فضوله يدفعه دائما للتعرف على مصائر البشر من مظهرهم ، وعن ثم يتابع تخيل هذه المصادر عبر أحداث ما كانت لتخطر ببالهم . فإن يميت الأحياء ويحيي الأموات هو جزء من مهنته ، كذلك أن يستحضر أحداثا من غابر الزمن وأن يخمن ما قد يحدث في المستقبل .

من يكون يا ترى هذا الإنسان التحيل الجالس عند زاوية النافذة وهو يكتب ويكتب ؟ بعيد قراءة ما كتبه ثم يشطب غالبية السطور ، ليعاود الكتابة من جديد وهو مأخوذ كلية ، يقرأ السطور الجديدة وهو يحرك شفثيه دونما صوت ثم يشرب رشقة قهوة وقف هوفمان ، ودون تردد أو تلكؤ توجه نحو زاوية النافذة مباشرة . وقال : « أرجو المصدرة . أعرف كم هو مزعج أن يقطع الإنسان وهو يكتب ، فأنا نفسي كاتب ،

□ لقاء رحلة □

وغالبا ما أقوم بأعمال إضافية أخرى لا أكسب بعض المال . أرجو ألا تغضب مني إن سألتك مباشرة عما تكتبه الآن . اسمي هوفمان . إرنست تيودور أماديوس » .

لم يكن الشاب بالغ السرور لهذا الازعاج ، كما انه لم يندهش ايضا ، فأجاب : « طالما سألت نفسي اية اسماء تختفي وراء الأحرف الثلاثة إ. ت. إ. وقتي للأسف محدود جدا . وبخاصة الآن ، أقصد الزمن المتبقي من عمري . فأنا مريض جدا ، وقد تكون هذه المرة الاخيرة التي اجلس فيها هنا . يجب ان اسافر الى احد المصحات . ثم إن الفرصة لم تسنح لي كثيرا لمزاولة الكتابة ، حتى قبل ان يشتد المرض علي ، فأنا مثلك ، فقد كان علي أن اكسب قوتي . كنت اعمل في مؤسسة للتامين ، اسمي الاول لا يتألف من ثلاثة أحرف ، بل هو ببساطة فرانز . »

« فرانز كافكا »

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قال هوفمان « عفوا سيد كافكا » . ثم تابع : « إنك ستستغرب رجائي لك مرة ثانية ان تقرا لي شيئا مما تكتب ، رغم جهلك بشخصي . ربما بضعة أسطر مما لم تشطبه الآن خلال المراجعة . فقد أعرف عندها اي نوع من الناس انت . ومرة ثانية أرجوك ان تعذر رغبة إنسان غريب عنك كليا . » .

قال كافكا : « غريب كليا ، كيف ؟ لقد قرأت معظم ما كتبت . حتى (نافذة ابن العم) . اظن انها آخر قصصك . معظم نتائجك يعجبني كثيرا ، وبعضه أقل من ذلك . اتمنى لو كنت امتلك جرائك الحياتية ، جرائك على الكتابة . لكنني لا امتلكها ، لا . وبإس أو قل لنفسي : فرانز ، انت هذا

للمرة الاخيرة . ومع ذلك كما ترى فاني اكتب قليلا . ها انا ذا ثانية في مقهاي امارس خداع نفسي » .

سأل هو فمان : ماذا تقصد بخداع النفس ؟ « ثم تابع : « انا لم اخدع نفسي ابدا ، بل قررت ان اكتب حتى آخر دقيقة من حياتي ، رغم او ربما لان وزير الداخلية كان يفضل ان اتوقف عن الكتابة . » .

« يا سيد » . ا . ت . ا . المحترم ، ماذا كنت ستمارس في حياتك لو لم تكتب ؟ » .

— « الموسيقى احبها كثيرا . وهي فقط ما يمكن ان ينتزعي من الكتابة . ثم ان مهنتي غالبا ما اثبتت جدواها بالنسبة لي . في السابق عندما كنت مضطرا للخضوع للضغط وجب علي ان ادرس الحقوق » .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhi.net>

صاح كافكا « وأنا ايضا . اين درست ؟ » .
— « في كونيغزبرغ » .
« البرفسور كان يحاضر هناك ، اليس كذلك ؟ »
« اعتقد ذلك ، لكنني لم استمع الى محاضراته ابداً . لم اكن اعرفه » .
— « وما سبب وجودك في براغ الآن ؟ » .

— « انا على موعد مع اديب ، مع رجل ابرع مني ، وربما منك ايضا . فانت حتى الآن لم تلب لي رغبتني وتقرأ لي على الاقل نصف صفحة . الكاتب الذي سيحضر الآن يدعى غوغول . هو روسي . الف رواية عجيبة ورائعة ، « النفوس الميتة » ، هل تعرفها ؟ » .

— صاح كافكا « بالتأكيد . » « وتابع : « انا معجب بها جدا . بلده لا شك واسع بلا حدود ، وسكان هذا البلد رائعون ، وطبيبتهم او شروهم

□ لقاء رحلة □

لا حدود لها ، بل وحتى آمياتهم . لظالما رغبت بلقاء غوغول ، ولو مرة في حياتي . أحب الكثير من قصصه ، مثل (المعطف) و (الأنف) ومسرحيته (المفتش) .

ضحك هوفمان . فقد أخذ إحساس كافكا بدنو الاجل على محمل الكلام فقط ، ثم قال : « غالبا ما يتحقق ما لم يتوقعه الانسان ، وكثيرا ما يتلاشى ما قد اعتقده المرء مؤكدا . وأرجوك أن تحقق لي رغبتني . اقرأ لي ما كتبه على هذه الصفحة الجديدة . »

لم يعترض كافكا هذه المرة . بدأ بالقراءة ببطء ووضوح وكأنه ما زال يراجع الكلمات : « بدا القصر عبر الثلج الضير وكأنه يتباعد ، وكان من المستحيل الوصول اليه قبل حلول الظلام . لم يستطع أن يسمع سوى رنين ناقوس صغير ، أصاح السمع ، فحنى الرنين كان يومي بالالم ، وكان القدر يتهدده ، ولظالما شعر هو في دخيلته بالحنين الى تحقق قدره . »

<http://ArchiveBeta.Sakhrit.com>

كان صوته ناعما وجافا ومشوبا، بذلك التقطع الذي يميز أصوات المرضى غالبا . صمت كلاهما برهة ، ثم قال هوفمان : « أعجبني هذا . » فقال كافكا : « وأنا أيضا . » تابع هوفمان : « أعجبني تعبير : القدر يتهدده . ما هذا ؟ ما الذي سيحدث ؟ القصر تحت الثلج ولن يتمكن شخص ما من الوصول اليه ، القصر هو بلا شك القلعة التي رايتها قبل حين ، اليس كذلك ؟ »

— « قلعة هرادشين ؟ لا أبدا ، لم تخطر ببالى مطلقا . »

— « لهذا يمكن لهذه القلعة أن تكون قصرك . عبر لا وعيك . غالبا ما تصعد إليها ، اليس كذلك ؟ »

□ لقاء رحلة □

– « أنا لا أبدا . بيني وبين القلعة الآن ما يشبه العاصفة الثلجية .
أعرف أنها هائلة بردهاتها وصلاتها . وبكائدرائيتها . لكنني بلغت حداً
من الإنهاك يمنعني من الصعود إليها ثانية . الوصول إليها بالنسبة لي
سيكون هو المنة » .

أصبح فجأة بحاجة للحديث عن نفسه . تابع قائلاً « في روايتي يظهر
مساح في مطعم القرية ويزعم أن سيد القصر قد استدعاه . ثم تتداخل
الاحداث . هل زعمه حقيقة ؟ إنه بشوق للحصول على ما يسميه الموظفون
ترخيص إقامة وما نسميه نحن الناس العاديون الاستقرار ، مكاناً
للإقامة . »

همس هوفمان لنفسه : « ويمكن للإنسان أن يسميه منة . » .
– « نعم . ومساحي يحصل أخيراً على ترخيص الإقامة التي تسميها
(منيه) ، ولكن فقط عندما يكون في فراش الموت » .

صاح هوفمان : « قلت لنفسي أنني بعد بضعة أسطر سأعرف أي
نوع من البشر . هو هذا الذي يكتب . نعم ، لكن ما أخشاه هو أن المنة
تنقصك أنت أيضاً . » .

قال كافكا بهدوء : « أنها تنقضي » .

ودون أن يسأله هوفمان ثانية قال كافكا : « اتود سماع البداية ،
غيرتها مرتين حتى الآن ، هذه هي الصيغة الثالثة . أترغب بسماعها ؟ » .

« طبعاً » . قال هوفمان الذي أدرك بعد إمعان النظر أن النشاط
لم يطل الكثير من السطور . كانت هناك خطوط تحت بعض الجمل ،
وكانت الأحرف الصغيرة الجميلة مائلة قليلاً نحو اليسار . تبع كافكا
الإشباع دون أن يؤكد على شيء ما بشكل واضح :

□ لقاء رحلة □

« كان الوقت مساء عندما وصل ك. كانت القرية مغطاة بالثلج الكثيف ، وما كان ممكنا رؤية شيء من تلة القصر ، كانت محاطة بالضباب والظلمة . ولم يكن ثمة ضوء يشير الى وجود القصر الكبير . اطلال ك الوقوف على الجسر الخشبي الذي يصل ما بين الطريق الزراعي والقرية ورفع نظره نحو الفراغ المتبدي . »

نظر كافكا في عيني هوفمان وتابع : « ويجد المساح لنفسه مأوى في مطعم القرية ، حيث وضع له كيسا مليئا بالقش كغراش بجانب المدفأة . » أحيانا كان يشوب صوت كافكا طلاوة خاصة وكأنها نابضة من الصفحات مباشرة . وأحيانا أخرى كان صوته ينقل المضمون فحسب : « لكن ك. سرعان ما يوقظ من نومه ، ليجد أمامه رجلا بشاب مدينية يعتذر منه بأدب . قدم نفسه كابن ناظر القصر وقال إن هذه القرية تابعة للقصر ، وإن من يبيت فيها هو بحكم من يبيت في القصر ، وأن المساح لا يملك ترخيصا بذلك أو انه على الأقل لم يظهر هذا الترخيص . كان هناك جهاز هاتف فوق كيس القش . فخاير ابن ناظر القصر المسؤولين واستفسر عن قصة القادم الجديد الذي يزعم أن القصر قد استدعاه كمساح . ولكن بدا ان لا علم لاحد بالموضوع . تكور ك تحت الفطاء ، فقد خشي أن يتعرض وهو الكذاب لهجوم الجميع . عندما رن الهاتف مجددا ، خطا ؟ غريب ، غريب ، كيف يمكنني الآن توضيح الامر للسيد المساح ؟ »

توقف كافكا عن القراءة ، إذ اقترب غريب من المائدة ، وضع يديه على كتفي هوفمان وقال بالفرنسية : « لا شك أنك هوفمان . » تعانقا . بصمت وبقظة بالغة راقب كافكا تبادل التحية بينهما . ورغم معرفته بوجه غوغول من الصور الا انه ولد في نفسه خيبة . لم يعجبه ، بدا له

متصنعا - شاربيه ، عينيه الجاحظتين ، رداءه كثر الاضرار وكان عينيه استمرار لصفي الاضرار . لو لم يعرف ان الواقف امامه هو أحد كبار ادباء روسيا لظنه ناظر حراج او اي موظف من هذا القبيل .

بمزيج من اللغات تبادل هوفمان وغوغول الحديث . وقد فهم كافكا منه قسماً لا بأس به لأنه لا يتكلم الألمانية فحسب ، بل التشيكية ، وقليلاً من الفرنسية . وكان هوفمان طيلة الوقت مهتماً بكافكا وترجم له ، ولكنه يعرفه من سنين . قال له خلال الحديث : « غوغول مصاب بحمى السفر غالباً ما اصاب بها انا أيضاً . فهو تارة في مصح ألمانيا ، وتارة أخرى في سويسرا . ثم يسافر الى روما أو الى باريس . لفات المناطق التي يعبرها تبدو ببساطة وكأنها تعلق به . خلال الرحلة انجز العمل الفني العظيم ، رواية « النفوس الميتة » . »

— قال غوغول : « في باريس علمت بموت بوشكين ، وهو الذي اهداني الفكرة لهذه الرواية » <http://Archivebeta.Sakhr.net>

وفكر كافكا ان غوغول يقول ذلك رغم ان اصدقاءه من القساوسة والنبلاء يحاولون انتزاع حبه لبوشكين من نفسه .

بشفتين نحيلتين تابع غوغول حديثه : « على المرء ان يكون منصفاً تجاه الاموات . الرواية على اية حال ليست عظيمة ابداً . عندما ساصل وطني سأفرك الفصول الجديدة ، فقد ادركت انها ضعيفة . »
— صاح هوفمان وكافكا معا « ضعيفة ؟ » .

وتابع كافكا : « إنك تحاول ان تقنع نفسك بذلك ، او ان هناك من يحاول اقناعك بذلك . بعضهم يمتدح الكتاب حتى السماء وبعضهم

□ لقاء رحلة □

الآخر يمزقه شر تمزيق . » . « والمهم في الامر هو من الذي يمتدح الكتاب ومن الذي يلعنه . »

نظر غوغول الى كافكا بشيء من السخرية ، وكأنه يقول لنفسه : يا لمن شاب مغرور . اما كافكا فقد قال لنفسه : وانا ايضا لا انوي ترك اي من اعمالى بعدي ، ولكن لسبب مختلف كلية . لا بد من إفتائها بعد موتي . فالتناس سيسيؤون فهمها حتما ، ولن يكون بمقدوري الدفاع عن نفسي .

راقب هوفمان غوغول بانتباه ، وفكر : « ولم كل هذا الاهتمام بالأجيال المقبلة ؟ هذا الرجل مصر لا شك على تمزيق الفصول الأخيرة خوفا من الجحيم الذي يهدده به القساوسة . سيفعل ذلك حتما . لقد تغير الآن عما كان عليه عندما ألف الرواية . لماذا تغير ؟ ما الذي جرى له ؟ » .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تابع غوغول قائلا : « كل منا يحمل ذنب ما كتب . وسيكون مسؤولاً عنه يوم الحساب . » .

فسأله هوفمان : « وما ذنبك بالنسبة لهذه الرواية ؟ المذنبون في رأيهم من يريدون إعاقتك عن كتابة الحقيقة . ولطالما حاولوا ذلك معي . إن ما يعتبره الناس محض خيال يمكن أن يتضمن أحيانا جزءا من الواقع الملموس . لقد جعلوا الفترة الأخيرة من حياتي بالغة المرارة لأنني سخرت في حكايتي الخرافية « المعلم برغوث » من وزير الداخلية ومساعديه ، واضطر الناشر الى حذف المقاطع المعنية من النص ، اقصد مقطع (الققباب الصاحب) . أرجو أن يتمكنوا من نشرها يوما ما في طبعة ما . »

كان كافكا يصفي متاملاً ، وكان وجهه جميلاً تقريباً. عندما فكر :
« من المؤكد أن كلا منا يحمل ذنب ما يكتب . ومن واجب كل منا أن يكتب
الحقيقة عن الحياة الحقيقية . والصعوبة تكمن في أن كلا منا يفهم شيئاً
آخر من « حقيقة » و « حقيقي » . الغالبية لا تفهم منها سوى الحقيقة
الخسنة ، المرئية والملموسة . وحالما ينتقل الواقع الى حيز الحلم ،
والاحلام تنتمي الى الواقع بلا شك – وإلا الى أي شيء ستنتهي – لا يفهم
القراء الكثير » .

قال هوفمان وكأنه قد سمع هذه الأفكار : « لا يفهم الناس سوى
أحلامهم هم . وحتى لو نسوها ، فهم يتذكرونها عندما تصور في العمل » .
تقاطعه غوغول قائلاً : « وما جدوى الكتابة إذا كان البشر
لا يفهمونك ؟ » .

اجاب كافكا : « لا جدوى منها . لذلك كتبت لصديقي طالباً. منه ان
يحرق كتاباتي حال سماعه بموتي ، فالناس سيفسرون كل شيء بشكل
خاطئ ، والانسان لن يتمكن ابداً من متابعة افكاري ، وكلماتي التي هي
بمثابة أجنحة لها ، ابداً ، وليس لاني كتبت شيئاً مغلوطاً ، وكمثال على
ذلك روايتي « القضية » ، فالناس سيربطون بينها وبين اية قضية تثيرهم ،
حتى بعد ان يكون التراب قد واراني . اعرف ان مرضي مميت . ثمة سلطة
أجهلها افتتحت ضدي قضية ستكون نهايتها مميتة ، هذه هي قضيتي » .

قال هوفمان لنفسه : « ربما كان لا مفر لهذا الشاب الذي صادفته
هنا من الموت » . ولكن إذا كان غوغول ينوي تدمير أفضل جزء من ذاته ،
عمله ، فسبب ذلك هو خوفه من قضاء الرب ، هذا الخوف الذي حقنوه به .

□ لقاء رحلة □

وبتأمل تابع كافكا قوله : « وكان علي أن اكتب عن فئة الموظفين الغريبة التي تتحكم فينا بتخويل من سلطة مجهولة ، لكن هذه الفئة في حد ذاتها غير ذات أهمية . ولا يبدو عليها من مظهرها أنها تحمل أمر الاعتقال في جيبها . وليس من الواضح فيما إذا كان الضباب يخيم على أعين القراء أم على روايتي » .

قال هوفمان : « بالنسبة كحالتني اعتقد أن الأمر واضح » . وتابع : « رغم أنني أقفز دائماً من الواقع الى المتخيل ، يجب أن يكون الأمر واضحاً ، وإلا من سوانا يسمح الناس الغراء ويحذرهم ؟ » .

— « ولكن على المرء ألا يقرأ وهو شبه نائم ، عليه أن يكون يقظاً ، باحثاً خلال القراءة . عندها فقط سيتوضح ما أعنيه » .

وبصوت بدا مصطنعاً كشاريه قال غوغول : « في وقت ما كنت أشاطر كما الراي . أما الآن فأعتقد أن الفرد لا يستطيع وحده إدراك الحقيقة — » نظراً إليه مذهولين . ثم ضحك هوفمان وقال : « ما الذي جرى لك يا غوغول منذ كتبت روايتك ؟ لولا موظفيك الحقيرون ولولا عبيدك لما استطاع تاجر النفوس شراء أي نفس » . — خلال ذلك كان المقهى قد امتلأ بالناس والدخان . تقدم النادل من طاولتهم وسأل غوغول عن رغباته . وجاءت خيبة غوغول عميقة عندما علم أنه لا يوجد في هذا المقهى لا مشروب سليفوفيتس ولا اللحم ولا مخلل الخيار . وبانزعاج طلب قهوة وبعض الكعك . ثم تابع حديثه بجفاف واضح : « بوشكين كان سيوافقكما الراي . رصاصة خلال مبارزة كما تعرفون قررت مصير حياته على هذه الأرض ، ومن يدري هل كان مناسباً للإنسان الفرد أن يفرق بين العدل والظلم » .

□ لقاء رحلة □

اجاب هوفمان : « لكنك في رواياتك وقصصك فرقت بكل وضوح بين العدل والظلم » .

وقال كافكا : « قصتك «المعطف» تعجبني اكثر من روايتك الضخمة ، فكرة طيران الشبح عبر شوارع المدينة وانتزاعه معاطف الفراء الجميلة الدافئة عن اكتاف السادة المتخمين ! » .

فجأة خرج غوغول من حالة التكلف وانخرط مع جليسيه في الحوار مستعيداً ذاته الأصلية وقال : « في هذه القصة الطويلة بالذات ينتهي الواقع فجأة بطيران مجنون . غادر الرجل الضخم بيت زملائه وجلس في الزحافة ، وشعر داخل معطفه الدافئ بحالة من الراحة القصوى .

وما كان يرعجه بين الحين والآخر هو الريح العاصفة التي يعلم الله من اين هبت دفعة واحدة ، وفجأة شعر رجلاً الضخم ان شخصاً ما قد امسكه من ياقته بقوة جبارة ، التفت الى كان الشخص رجلاً قصيراً ببذة موظفين زرية الهيئة - وتعرف صاحبنا وقد ركبه الدرع على اكاكي المتوفى « اخيراً ! اخيراً امسكت بك ومن رقبتك ! معطفك يلزمني يارجل ، ها ! لم تبد اي اهتمام بمعطفي ، وفوق ذلك صرخت بوجهي بفظاظة . تعويضاً عن ذلك ستعطيني الآن معطفك ! » .

إن ما هو اشد لفتاً للنظر برايي ، هو ان شبح المستشار قد اختفى من ساعتها . ومعطف السيد مستشار الدولة انسكب على جسم المستشار القصير وكأنه مفصل له . . . » .

كان مستمعاه ينصتان إليه باستثارة ، وبدهشة كانت مزيجاً من الفرح والجد معاً .

□ لقاء رحلة □

أفرغ النادل محتوى الصينية على الطاولة ، مد غوغول يده الى الكعك ، ولكن دونما رغبة ، فقد كان يشتهي اشياء أخرى ذات طعم لاذع وحريّف .

فجأة التفت الى هوفمان وقال : « سبق وقلت أن قصصك الخرافية لا تعجبني بالمستوى نفسه . ولكن غالباً ما يأسرني المفاجيء والغريب فيها . وفكرت بكيفية ربطك بين الأفكار الفانتازية وبين اشياء في غاية البساطة ، كمقيض باب او برغوث . نعم ، ولكن ثمة ما لم اهضمه ، وهو طريقة تعاملك مع الزمن . فانت تستخدمه كما يحلو لك . فما هو ماض يحدث عندك اليوم . وفي مرة أخرى اجد في الزمن الحاضر استمراراً لحدث وقع قبل مائتي عام . وانا ارى أن قانون الزمن يجب أن يسري حتى على ما هو متخيل .

ARCHIVE

صحيح أن شبح اكاكي بعد وفاته يتنصّب بمعطف مستشار الدولة ؛ فعندي أيضاً ينتقل ما هو واقعي الى خير المتخيل ، لكنني لا اتخلّى عن تنابع الزمن . اكاكي المسكين كان مضطراً للبلل الكثير كي يقتصها ويؤمن لنفسه المعطف . وعبر فترة الاقتصاد هذه يتوضح لك ماذا يعني الحصول على المعطف بالنسبة له ومن ثم فقدانه . وفقط عندما يموت يأساً تتحول روحه الى شبح » .

قال هوفمان : « انا لا اولي عنصر الزمن اية اهمية » وتابع : « ففي روايتي مثلاً يلتقي عالمان هولنديان في فرانكفورت على نهر الماين ، علماً أن احدهما قد دفن في مدينة او ترشت قبل ذلك بزمان بعيد . وهو اول عالم يكشف العدسة المكبرة . وفي قصتي انا بحاجة لهذه العدسة . حتى اني استخدم اكتشافه كعدسة ليلية تكبر فجأة في سيرك البراغيث كل

□ لقاء رحلة □

الحشرات الضئيلة الى وحوش هائلة تثير الغزع في الناس وتدفعهم للهروب من القاعة . الجمهور المحتشد يرى فجأة قملاً وبعوضاً كان من الصعب رؤيته ، وقد كبر الآن بصورة هائلة مربعة . ونحن الثلاثة ، لو ابتغيْنَا التمسك بتتابع الزمن لما جلسنا الآن معاً الى هذه الطاولة . ألم أعش أنا قبلك بزمن طويل يا غوغول ؟ وانت ؟ ألم تعش قبل كافكا بمئة عام تقريباً ؟ قال كافكا وكأنه يخاطب نفسه : « الزمن مرتبط ارتباطاً حتمياً بحياتي وكتابتي . شخصي لا تحتاج الى وجوه . فالقراء بإمكانهم تخيلها . ما يهمني هو سلوك هذه الشخص و طبيعتها في حالات محددة . انصور مثلاً كيف سيكون سلوك جاري الطبيب فيما لو اعتقلت فجأة ، وختم منزلي دون أن أدري سبباً لذلك . الجار الطبيب الذي كان يبدي تجاهي كل الاحترام ، يبدأ بضرب اخماساً بأسداس . وأنا قادر على تخيل حالة إنسان يتعرض للتهديد من قبل سلطة مجهولة لا يدري عنها . ولكن حتى التهديد ، فإن السلوك - وهو بالنسبة حقيقي واقعي كأي وجه أو شخص - يخضع لتتابع زمني ما ، لذلك أرى غوغول محقاً في رأيه » .

عاود غوغول السباب لأن المقهى لا يقدم أشياء معقولة . والوقت لم يكن كافياً للانتقال الى مطعم . ومضطراً ، عاود طلب القهوة مع صحن من الكعك عرض محتوياته على جلسيه .

قال هوفمان لنفسه : « أنا بالذات ، أنا الذي اعتبر الأكثر جموحاً نحو الخيال من بيننا نحن الثلاثة ربما كنت الأكثر تعرضاً للعذاب من أحداث العصر ، من ألام مترنخ الحقيرين المتواجدين في كل مكان . خلال المرحلة الأخيرة من حياتي ، رغم أنني كنت مشلولاً ، تخبطت في افكاري كثيراً . ولكن يبدو لي أن روح غوغول ستتحول الى بخور . فهو غير قادر على مجابهة الحياة في ظل القيصر . لابد أن وضعه صعب ، قاهر » .

□ القصة وحيدة □

ثم تابع بصوت عال : « لا انهم يا كافكا لم لم تكتب قط عن العدالة ، وإنما بشكل عام عن قضية تديرها سلطة مجهولة » .

اجاب كافكا بمذاب : « من المحتمل اني في شتاء ١٩١٧ القاسي قد اصبحت بهذا المرض الذي سيقضي الآن علي ، آنذاك كتبت قصة قصيرة بعنوان (راكب الدلو) . ليس فيها أية الفاز ، بل هي واقع مرير . ليست قصتي القصيرة بعظيمة قصة (المعطف) الطويلة . لكنها ستكون مع ذلك عظيمة لو اراد الناس فهمها . » .

كان غوفول قد تخلص من تكلفه نهائيا ، فدون ان يدري تملكته حمى المهنة . قاطع كافكا وقال : « لو ، لو مالا يفهم لا يفهم شيئا . وهذا غالبا مايرويه الشباب . » « اعتقد أنك تظلمه ! ربما كان يوسعك يا كافكا ان تحكي لنا شيئا منها ؟ » وبصوت منخفض ، دون مبالغة في النبرة ، وبايقاع افكاره ، بدا كافكا يحكي : « الفحص انتهى حتى آخره ، الدلو فارغ ، المجرفة بلا جدوى ، المدفأة تتنفس البرد ، المجرفة يمشي فيها الصقيع ، امام النافذة ثمة اشجار جميلة الصقيع ، السماء دوع فضي في وجه من ينبغي المساعدة من ربه . يجب ان احصل على فحص ، يجب الا اتجمد من البرد ، خلفي مدفأة لترحم وامامي سماء مثلها ، ونتيجة لذلك يجب ان اخطو بينهما بحذر ، وفي الوسط ساطب المساعدة من تاجر الفحم . »

الحصم سيكون بدءا من انطلاقتي ، لذلك ساركب الى تاجر الفحم على الدلو . وكراكم الدلو ساستخدم مقبض الدلو المصنوع من سلك بسيط كعقود في يدي ، اوجه طريقي به بصعوبة الى اسفل السلم ، ولاطير من ثم علي ارتفاع شاهق فوق قبة التاجر الذي يجلس هناك في الاعماق الى طاولته يكتب وقد ترك الباب مفتوحا كي يسمح للحرارة الفاتحة بالخروج .

(ارجوك ياتاجر الفحم اعطني قليلا من الفحم . دلوي فارغ لدرجة اني استطيع ركوبه . كن رحيما بي . سادفع لك الثمن حالا استطيع .) .

رفع تاجر الفحم يده الى اذنه وقال سائلا زوجته التي كانت تغزل جالسة على مصطبة المدفأة : (اصحح ما اسمع ؟ هل اسمع بصوت زبون؟) (لا اسمع شيئا) اجابته زوجته وهي تتنفس بهدوء فوق صنارتيهما والدفع اللديد يسري عبر ظهرها .

فصحت : (لكني هنا ، زبون قديم ، مخلص لمحككم ، الا انني الان مفلس .) .

(يا امرأة ،) قال التاجر وتابع : (هناك شخص ما بالتاكيد ، لايمكن ان يخونني سمعي الى هذا الحد ، لابد وان يكون زبونا قديما ، فصوره يلامس شفاف قلبي .) .

(انا قادم ، قال التاجر واراد بساقيه القصيرتين صعود سلم القبو . الا ان زوجته سرعان ماكانت بجانبه ، فامسكته من ذراعه بحزم وقالت : (ابق انت هنا . تذكر سعالك الشديد الليلة . انا ساذهب .) .

فصحت : « يازوجة تاجر الفحم المحترمة ، اطيعي تحية . مجرفة فحم واحدة ارجوك ، في الدلو هنا ، مجرفة واحدة من اسوا انواع الفحم . سادفع السعر كاملا طبعاً ، لكن ليس الان ، ليس الان .) اي جرس كان لهاتين الكلمتين (ليس الان) ، وكيف امتزجتا باصوات النواقيس المسائية القادمة من برج الكنيسة بشكل تضطرب له الحواس » .

(ماذا يعني !) سال التاجر . (لاشيء .) اجابت زوجته وتابعت : لاشيء هناك ، لاأرى شيئا ولا اسمع شيئا .) .

□ لقاء رحمن □

لا ترى شيئا ولا تسمع شيئا ، ومع ذلك تخلع مئزرها وتحاول به
طردي مع الريح . وقد نجحت للأسف . دلوي يتصف بكل ميزات المطبات ،
الا القدرة على المقاومة ، فهو خفيف جدا ، مئزر امرأة كاف لاقتلاعه من
الأرض .

عندما التفتت المرأة نحو القبو بمزيج من الاحتقار والسرور معا ،
وهي تضرب الهواء بيدها ، صحت : (أيتها الشريرة ، أيتها الشريرة !
مجرفة من أسوأ نوع طلبت منك وأنت ترفضين .) كنت خلال ذلك أرتفع
الى مجالات جبال الجليد لأضيع الى الأبد . » .

صمت المستمعان . لم يجدا من اللائق امتداح القصة بصوت مرتفع ،
خاصة وأنها قد تغفلت الى أعماق نفسيهما .

ولكي يراعي كافكا صوته قال بها بشبه الهمس : « منذ ذلك الشتاء
اللمين ، حين طلب راكب دلوي الفحم دون جدوى ، وأنا أميش أسير
الخوف من الموت . تداعى حكم آل هابسبورغ ولم أكن أفكر الا بنفسى .
استلم مازاريك زمام الامور في قلعة هرادشين ولم أفكر الا بنفسى .
امتدت الثورة عبر البلاد ولم أفكر الا بنفسى . »

قد تكون قصتي « راكب الدلو » ، جيدة ، الا انها لا تقارن بـ (معطف)
غوغول ، حيث تتجلى الهوة مريعة بين الاغنياء والفقراء . » .

قال غوغول : « قصتي جميلة صحيح » الا ان قصتك ايضا تمجيني .
الهوة ، كما تسميها ، موجودة في القصتين . هذا اذا كان بالامكان مقارنة
قصتك القصيرة بقصتي . أنا أقفز في النهاية الى حيز الغائتازيا ، وأنت
تباشر به قصتك فوراً . وفي القصتين يقف العدل والظلم وجها لوجه .

□ لقاء رحلة □

عندما كنت تلميذا هضمت في نفسي كل ما كنت أسمعه عن جماعة
الديسمبريين . وفيما بعد ، عندما أصبحت أديبا ، لم يكن في نيّتي في
الواقع التفريق بين العدل والظلم ، بين الفنى والفقر ، هذا كان يأتي من
نفسه ، طالما بقيت آمينا للواقع . .

وفكر هوفمان بأن غوغول الذي يقول ذلك ماعاد يجرؤ على لقاء معلمه
وصديقه بلينسكي علنا ، خوفا من أن يضبطه معه أحد أصدقائه من
النبلاء .

قال : « اتوسل اليك ، لاتغير شيئا في كتابك (النفوس الميتة) ،
ففيه ستوضح مرة والى الابد حقيقة حياة البشر خلال مرحلة الرق . » .

« لا أدري ، لا أدري » قال غوغول ، « كثيرون ينعنونني باللؤم .
وفجأة يجدون أن بوشكين لم يكن بهذه الحيلة ابدا ، بحيث تظني الحدة
على الشاعرية ، فتضيع الأخيرة . وحتى صديقي الفرنسي ميرمييه لم يظن
في مدح الرواية مثلك . هو يرى أنني لأحسن التفريق بين الخسة والسخف ،
وإن لدي نزوعا لعرض الجانب الرديء من الحياة بخاصة » .

فقال هوفمان : « لاشك أن ماعناه بهذا لا يتطابق مع رأي قسيسك . »
وبصوت منخفض قال كافكا : « هذه التهمة أعرفها . أقصد أنني لا أريد
سوى عرض الجانب الرديء المظلم . - لا . بل ما يستغرق على التفسير ،
القدر المحتوم المهدد - - » ثم تابع بصوت أكثر وضوحا : « في إحدى
قصصي يتحول الشاب رمزا الى ضفدع ضخم . قسوتي تصدم القارئ .
مع أنني لم أعرض سوى ما يجري في زمني ، فيما لو حدث ما يشابه أحداث
اقاصيص الاخوين غريم : كانتقال الضفدع الى القصر واضطرار ابنة الملك
لتناول الطعام معه والنوم معه . أنا أحب اقاصيص الاخوين غريم . تعلمت

□ لغة رحلة □

الكثير من لغتها . ولا بد ان اعترف بانى قد اخذت عنها مفزى وإيقاع الكثير من الجمل .

اللغة شيء رائع ، عاص على التفسير . قد يروي الافراد اشياء سخيفة واكاذيب ، وقد يلغون ويثرثرون ، الا ان كل لغة في كليتها عظيمة . في احدى الاساطير الكاسيدية يقال : ان نطقت بكلمة عن الرب فانك تتلاشى بكل اخلعك واهضائك في هذه الكلمة . - اعتقد ان شعبا بأكمله ، وليس الفرد فصص ، يمكن ان يندغم في كلمة من لغته . » .

« هذا صحيح » ، قال غوغول وتابع : « عندنا ، هناك كلمات يعيش فيها الشعب الروسى بأكمله . نعم ، وهناك كلمات وجمل قصيرة يدرك معها الانسان فوراً انها تتضمن ليرمنتوف كله او بوشكين كله - » .

قال هوفمان « الامر نفسه في المانييتي » : « فمن غوته وحده يمكنني ذكر مئة مثال ، انى اعتبره عظيماً رغم انه مؤخراً قد شتمنى بأحتقار ، في البداية كان يعجبه كيف انتقل من حيز الواقع الى التخيل . وهو بنفسه يقوم بمثل هذه القفزات ، في (فاوست) مثلاً ، في ليلة فالبورغي . قفزته هناك من الواقع الى التخيل كانت عجيبة . وبعد رحلته الى ايطاليا ، كما يقال ، لم يعد يعتقد إلا بالثقافة الاغريقية . . وكان الاولى به ان يعرف ان اليونان والرومان بالذات غالباً ماكانوا يجنحون من الواقع الى الخيال . لم نعد ندري اليوم مالذي كان يعنيه الواقع بالنسبة لهم . ولكن مالذي تقصده ياكافكا بقولك : اسطورة كاسيدية ؟ » .

فاجاب كافكا : « خلال القرون الاخيرة تشكلت لدى يهود بولونيا ثقافة خاصة ، سواء منهم من عاش في الريف واصبح فلاحاً اصيلاً ، ام من عاش في غيتوات المدن . وهؤلاء كانوا يحكون اساطير وقصصاً خرافية هي

□ لقاء رحلة □

جزء من أسفارهم القديمة ومن التلمود ، وجزء من التوراة وجزء آخر من مخيلتهم . بعضها كان مرحا وبعضها الآخر مرعبا . عندما زارت فرقة معهد لبرغر للتمثيل في مدينة براغ كنت غالبا ما أجلس مع لوفي في مقهى سافوي ، وقد تعلمت الكثير من حكاياته .

« لكننا لم نسمع بهذا أبدا . »

فقال كافكا : « الكثير من قصصي ترتبط بصلة ما مع الحكايات الكاسيدية . »

نظر اليه غوغول بتأمل وسخرية ثم قال : « أدباء روسيا الكبار أعرفهم جميعا . ولا أظن أن في بلدي شيئا مما تتحدث عنه . نعم ، اليهودي كان يأتي الى المزرعة ويطلب أُمي بديونه ، ولكن لم يخطر ببالي أنه قادر أيضا على تعاطي الأدب . » ضحك هوفمان وقال : « تشيتشيكوف الذي كان يتاجر في قصتك بالفلاحين الميتين ، كان روسيا ليس كذلك ! » .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لم يول غوغول ملاحظة هوفمان أي اهتمام ، وتوجه الى كافكا سائلا : « هؤلاء الكاسيديون حسبما قلت يؤمنون بالرب ، ولكن هل يؤمنون بالشیطان أيضا ؟ » .

« بالطبع » أجاب كافكا وتابع : « سأحاول كمثال على ذلك أن أروي لكم حكاية مازالت تهزني حتى العظم : يصل الى علم أحد الفتيان أن حُبْرًا ، معلما أصيلا ، يعيش في مدينة غير بعيدة عن موطنه ، ويرغب بالتعلم على يديه ، لدرجة أنه يتوسل الى والديه كي يرسلانه إليه .

رغم خوف الوالدين من ذلك خضعا لتوسلات ابنهما ، وانطلق الأب معه . ولكن ما أن تجاوزا بلدتهما حتى انخلع أحد دواليب العربة . فاعتبر الأب هذه إشارة من الرب للتخلي عن الرحلة : لكن الابن يتوسل حتى

□ لقائه رحلته □

يقتنع الأب ويتابع الرحلة معه . وعلى الطريق تفاجئهما عاصفة وعذبة رهبة ، فيعودان . يعرض الفتى وتزداد عليه وطأة المرض من الحزن ، لدرجة أن الطبيب وحتى الوالدين يخشون على الفتى من الموت ، إن تحالا بينه وبين الالتحاق بالمعلم .

يصلان أخيرا إلى هدف رحلتهما ، فيبيتان في فندق . في مطعم الفندق يجلس إلى طاولتهما غريب أشيب نحيل ذو نظرات صارمة ، ويسأل عن سبب قدومهما ، فيشرح له الأب السبب . فيحذره الغريب من الأمر قائلا : (من حسن الحظ أني أعرف هذا الرجل الذي تريد إرسال ابنك إليه . أنه ليس معلما أصيلا ، بل هو يفسد الفتيان بتعاليمه .) وبحزن يخاطبه رغم ذلك شيء من السعادة ، لأن أحدهم قد أخبره أخيرا بحقيقة الأمر ، يعود الأب مع ابنه إلى بيتهما .

خبرة الأمل تمرض الابن ، وليس قوة من طبيب يستطيع فعل شيء ، فيموت . بعد بضع سنوات يسافر الأب صدفة إلى المدينة وبيت في الفندق نفسه . فيجلس إليه الغريب نفسه ويسأله عن أخبار ابنه ، فيخبره الأب بوفاته . يفرك الغريب يديه وتبرق عيناه ويقول : (حان لك أن تعرف الحقيقة الآن . المعلم كان يمتلك درجة النور الأكبر ، وابنك درجة النور الأصغر ، ولو التقيا لظهر الهادي المنقذ . لكنني حلت دون ذلك إلى الأبد .) «

خلال الحديث كان وجهه كافكا قد شحب . هو فنان نظر إليه بدهشة ، أما غوغول فقد قال : « الشيطان ، لاشك ! رغم أنني لم أستوعب الحكاية تماما . كثيرا ما يظهر الشيطان في قصصي ، لكنني أعتقد أنني أجيد تصوير البشر ذوي الصفات الشيطانية بشكل أفضل . »

فطلق هوفمان قائلا : « في قصتي لـ شراب الشيطان السحري ، يظهر الجانبان معا . احابيل الشيطان تجعل من البشر ايضا شياطين . لاشك باكافكا انك قد تعلمت الكثير من الاساطير التي رويت لنا إحداها . ولكن يبدو لي انك لم تكنف بالجوانب الخيرة ، فلقد اخذت عنها الكثير مما يخيف البشر ويجعلهم عديمي الثقة . أخشى أنه ليس في قصصك اناس من لحم ودم ، بصفات خيرة وشريرة . مخلوقاتك لا تمتلك سوى احساس من محددة ، قد تسيطر على أي انسان أحيانا . سبق أن قلت مثل هذا بنفسك . إنك تبتكر مخلوقاتك كي تجسد هذه الاحاسيس . »

« مهلك » قاطعه كافكا قائلا : « الاسطورة ليست من عندي ، فهي مروية . إنها حكاية يهيم فيها الشر . والسيد فوغول كان قبل قليل قد سألني عن الشيطان . »

قال فوغول : « هل في ان أعرف . وأنا شخصا اعاني من التهمة الموجهة الى الأدباء والتي تتلخص في التساؤل التالي : وما الذي يغوي الاديب بتصوير الشر ، بل ماهو شيطاني ، بجودة فائقة – ولماذا ينجح في ذلك أكثر مما ينجح في تصوير الخير والطاهر ؟ » فأجاب هوفمان : « اعتقد ان السبب في ذلك هو تغلغل الاديب الى أعماق النفس البشرية ، وهذا ما يمنح القراء العزاء . »

: « العزاء ؟ »

« العزاء . ايضا . » أجاب هوفمان وتابع : « غالبا ما أحس القاريء سابقا بالشر . »

وعندما يقرأ عن ذلك في كتاب ما ، يدرك أنه ليس الوحيد في احساسه هذا . وهذا بريحه ، كشكل من أشكال الاعتراف . تسألني ما الجميل في

□ لقاء رحلة □

ذلك ؟ بين التماثيل الحجرية للمذراوات بوابة كاتدرائية ستراسبورغ ، بل وفي أي مكان آخر ، تجد أن المذراوات الشريراث أجمل من الخيرات الوردعات . على الشر أن يفوي ، وعلى الخير أن يفعل من ذاته ، ولكن غالباً ما لا ننجح نحن البشر التعساء في ذلك . نادراً ما نجد في دواخلنا صورة للطهر مغوية . »

انصت غوغول إلى هذه الجملة بانتباه يقط ، ثم قال : « أنت على حق في كل حرف قلته . فانا نادراً ما أصادف الجليل ، النقي . ونادراً ما تمكن من تصويره . لدى بوشكين ، نعم ، يتجلى هذا أحياناً في حوادث يومية اعتيادية جداً ، في « أوتيفين » مثلاً ، في سلوك تاتيانا .

بالنسبة للطبيعة ، للجبال والأنهار ، أنا أصور هنا روعة ما في بلادتي ، جماله وطهره . »

قال هوفمان : « وفي الموسيقى ، ينبعث الجليل والظاهر من تتابع لامحدود للألغام . ربما يسكن الجمال النغم لأن النغم لا شكل له ، في حين تخفق الكلمة والحجر . »

التفت إلي كافكا وقال : « زعمت قبل قليل أن مغزى حكاية ما كانما يكمن في اللفة . »

فاجاب كافكا : « وكل مضمون يتطلب لفة خاصة . وبين التشيكية والالمانية أشعر أنني بلا وطن .

لقد تناولت الطعام مع هاشيك في مطعم الفندق ، ومع لوفي في مقهى سافوي ، كما أنني لم أكتف كغذاء روعي بالكتاب الإلمان والروس وبالأساطير الكاسيدية . وعبر ترجمات كير كفارد الدانمركي شعرت حتى

□ لقاء رحلة □

الحسد بوحدة اللغة مع المضمون ، فمثلا في كتابه حول التوازن بين الجمالي والاخلاقي في تكوين الشخصية ، يقول :

(يا صديقي ! ما كررت قوله على مسامعك سابقا ، اعود لأقوله لك مجددا . ها انذا أقولها لك ثانية : إما - او ! ان وزن الشيء ، موضوع الحديث ، يبرر وزن الكلمات . ثمة أشياء طبعاً لا يوضعها موضوع تساؤل (إما - او) سوى نقص سخيف في القدرة على الحكم . ولكن ثمة أناس هم من الضعف بحيث لا يستطيعون ان يقولوا بحماس : إما - او . منذ زمن بعيد كان لهاتين الكلمتين تأثير كبير في نفسي ، وما زال لهما هذا التأثير ، خاصة عندما أذكرهما دون رابط ، بحيث اتمكن في تفكيري من اضافة اتيد التناقضات هولا إليهما . عندها يكون تأثيرهما علي أشبه بتأثير صيغة سحرية : إما - او . » .

كان يتحدث بصوت خافت ، لكنه كان يتابع الإيقاع بيده وكأنه يضرب بالمطرقة على شيء صلب .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قال هوفمان : « وحدة الكلمة والمضمون تبدو لي قد قاربت الكمال في نهاية (النفوس الميتة) . »

فعلق غوغول : « ماتسميه الآن نهاية ، سيصبح القسم الاوسط ذات يوم ! » .

أرجو الا يحدث ذلك ، فكر هوفمان ، اما كافكا فقد قال لنفسه : « لن تسيء الى الفن أبدا إن أحرقت هذه الخاتمة الملصقة . ماتزعم الآن انه سيكون القسم الاوسط سيخلد عندها الى الأبد » .

قال هوفمان : « اقراها يا صديقي غوغول ، أرجوك . لدي هنا طبعة فرنسية . ترجمها لنا . » .

□ لقاء رحلة □

افر غوغول انه يحفظ ذلك المقطع غيبا تقريبا ، وهو يفضل نطقه بالروسية :

« ارتفع تشيتشيكوف قليلا عن مقعده . وهل من روسي لا يحب القيادة بسرعة ؟ وهل على روحه التي تحن دوما وفي كل مكان الى الصخب والترنح نشوة والتي غالبا ماتود ان تصرخ ، فليأخذ الشيطان كل شيء ، هل على روحه الا تحب ذلك ؟ كقوة هائلة مجهولة ترفعك على جناحيها . وانت تطير ويطير معك كل شيء من حولك : علامات المسافات ، الباعة الجالسون على عرباتهم ، الغابة على الجانبين بصفوف اشجارها الداكنة من الصنوبر والشربين ، الطريق كله يطير وراءك بعيدا الى مسافات مجهولة . وثمة ماهو مرعب ومروع في هذا الظهور والاختفاء السريعين ، حيث لاوقت للأشياء لاتخاذ اشكال ثابتة ، وحيث يبدو أن السماء من فوقنا والسحب الخفيفة والقمر الذي يشق طريقه هي وحدها لا تتحرك وكأنها ثابتة . يا عررتي ذات الخيول الثلاثة الطائرة ! من الذي اختراعك ؟ لايمكن أن يكون سوى شعب مرح وجريء - في بلد لا يحب المزاح ، بل الامتداد الكالدي اللانهائي على مساحة نصف الكرة .

آه اينها الخيول ! اينها الخيول الرائعة ! اتحبين الريح تزويج في اعرافك ؟ خوافتك تكاد لاتلامس الارض ، إنك تطيرين في الهواء ، ورنين اجراسك ينبعث رائعا كالغناء ، يشق الهواء فيكاد أن يجمده . كل مايميش ويتحرك على الارض يطير خلفي . . . » .

كان غوغول يرافق الجمل بحركات من أصابعه وكنتفيه ولكانه على وشك الرقص على إيقاعها . - وحتى النادل بصينيته نصف المثلثة توقف وأصغى . على الطاولة صمت المستمعان ، وكان صمتهما اجزل من اي

إطراء . ثم قال هوفمان : « الكل يعرف تشيتشيكوف هذا حقير . ورغم وضاعته كلها ثمة ما يشترك فيه معنا جميعا . هو يحب الرحلة والارض التي يطير عبرها . وبوصفك لهذه الرحلة بعربة الترويكار يرتفع القاريء فوق وضاعة تشيتشيكوف . يخلفها وراءه كاية نقطة ضئيلة عديمة الاهمية في العالم الجليل اللامحدود . هكذا على الانسان ان يكتب ، ان استطاع . أخشى ان هذا ما ينقصك في قصصك ياكافكا ، أعني ان يكون بمقدور الانسان في لحظة ما ، وبشكل ما ، الارتفاع فوق الآم وعلابات حياتنا المهددة . » .

قال غوغول : « لقد تعلمت الكثير منك أيضا يا هوفمان . وربما معرفتي بمدى حبك للموسيقى ، يبدو لي لديك أيضا أحيانا وكان لمضامينك ولغة التي تسكب فيها هذه المضامين حسب طبيعة المضمون جرسا مشتركا . » .

اجاب هوفمان : « بالطبع . فالمضمون يقتضِب القاسي يجب ان يصور باقتضاب وقسوة . لكنني أرى ، كما هي الحال عندي غالبا ، ان المعطيات المتخيلة ، الفانتازية والمتبدلة تحتاج الى اشكال فانتازية ومتبدلة . » .

قال غوغول : « قبل زمن بعيد قرأت إحدى قصصك الموسيقية ، بعنوان « الفارس غلوك » ، هلا رويتها لنا ، أرجوك ! » .

دون ان نلح عليه كثيرا بدأ هوفمان قائلا : « بما أنني موسيقي أيضا كنت أتردد في برلين على مقهى تعرف فيه فرقة جيدة . هذا ما كنت أرجوه على الأقل .

أواخر أيام الخريف تكون برلين في العادة جميلة ، لذلك كانت الإمكان . سرعان ما امتلأ بالزبائن في مقهى (كلاوس وغير) .

□ لقاء وحلة □

إلا ان الموسيقى انارت حنقي . وبجانبهم همس أحدهم : (ما هذا القدر الملعون ! اصياد الحان آخر ثانية !) .

عندما رفعت بصري انتبهت الى أن رجلا قد جلس الى طاولتي دون ان الحظ ذلك ، وانه يحمل في " بنظرة ثابتة " . لم يسبق لي أبدا أن رأيت راسا أو شكلا قد ترك وبمثل هذه السرعة هذا الاثر العميق في نفسي . . .

بهذوء متدبر خطا نحو العازفين . ريته يتحدث معهم وهو يعاملهم ببالغ الاحترام ، ثم عاد الى مكانه ، وماكاد يجلس حتى بدأت الفرقة تعزف افتتاحية (إفيجينيا في أوليس) . بعينين نصف مغمضتين وذراعين متصالبين مستنديين الى الطاولة أنصت الى الجملة الموسيقية الاولى ، ثم حرك قدمه اليسرى اشارة الى لحظة دخول الاصوات الفنائية . باعد بين اصابع يده اليسرى وضغطها على الطاولة كمن يعزف على البيانو ، رافعا يده اليمنى عاليا : كان كفالد أوركسترا يعطي الفرقة إشارة دخول إيقاع آخر

انتهت الافتتاحية . ترك الرجل يديه تنزلقان نحو الاسفل وجلس مغمض العينين كمن فقد طاقته نتيجة بذل جهد هائل .

قال هوفمان سأختصر الآن ، نهض الغريب واختفى . بحثت عنه في كل مكان ، ولكن دون جدوى . بعد شهور التقيته صدفة بالقرب من دار الأوبرا . وانصت الى أغرب حديث مع الذات تحت نافذة يستطيع المرء بقرعها سماع كافة الالحان التي تعزفها الفرقة تقريبا . دعوته ، وبصمت سرنا في شارع فريديريك . ثم انعطفت بسرعة الى شارع جانبي ، وكدت الا اتمكن من اللحاق به . ونحن نتخبط في الظلمة وصلنا الى درج منزل زوي المظهر ، وسمعته وهو يفتح بابا ثانيا . بعد برهة قصيرة دخل وهو يحمل

بيده فانوسا . فوجئت بمنظر الغرفة المؤثثة بطريقة غريبة . ثمة امرأة ضخمة أسبغت على كل شيء مسحة كثيبة لعظمة مضى عليها الزمن . وفي منتصف الغرفة كان هناك بيانو صغير .

تقدم الرجل من خزانة وسحب الستارة . عندها لمحت صفا من الكتب ذات التجليد الانيق بعناوين مذهبة : (اورفيوس) ، (ارميدا) ، (الست) ، (فيجينيا) وغيرها ، باختصار ، رايت اهم اعمال الموسيقار غلوك مصفوفة الى جانب بعضها بعضا .

تناول احد الكتب ، وكان (ارميدا) ، ثم توجه باحتفالية الى البيانو . فتحته بسرعة ونصبت المسند ، وقد راقته رؤية ذلك . فتح الكتاب ، ومن سيتمكن من وصف دهشتي ! فقد رايت صفحات ذات سلالم موسيقية ولكن دون اية علامة عليها .

قال : الان سأعزف الافتتاحية ! قلب الصفحات ، وفي الوقت المناسب ! ، - بدأ يعزف براوعة متناهية وانسجام متكامل يكاد يقارب الاصل . وكانت جملة الاليجرو منسوجة فقط بأفكار غلوك الرئيسية . ثم أخذ يدخل على عزفه تنويعات أصيلة كثيرة ، فكانت دهشتي تزداد وتزداد ...

عندما انتهى من العزف عانقته وصحت بصوت مضغوط : (ما هذا ! من انت ؟) - وعندما أردت متابعة أسئلتني كان قد اخفى عبر الباب مع الفانوس ، وقد خلفني وراءه في العتمة . امتد الوقت قرابة ربع ساعة ، ويئست من رؤيته ثانية ، وعندما حاولت الوصول الى الباب مسترشدا بموقع البيانو ، دخل فجأة مرتديا حلة رسمية بسترة مطرزة وقد علق السيف الى يساره وحمل الفانوس بيمنه . تجمدت في مكاني ؛ تقدم مني

□ لقاء رحلة □

باحترافية ، أمسك يدي برفق ثم قال مبتسماً بفرابة : « أنا الفارس غلوك .. » .

كان اصدقاء الرحلة قد اتفقوا فيما بينهم ضمناً على الصمت دائماً عند النهاية ، بدلاً من التصفيق ، كي يفكروا فيما استمعوا اليه .

واخيراً بدأ كافكا قائلاً : « ها انت تتعامل مع الزمن باستخفاف ثانية . حسب معرفتي توفي غلوك عام ١٧٨٩ ، وانت تزعم انك التقيته في برلين بعد عشرين سنة . » .

قال هوفمان :

— « نعم ، لقد التقيتَه ، فالاديب في رأيي يجب ان يسمح لنفسه باختلاق الاحداث . وليس الاديب فقط . هل تعرفان لوحات حفر كالو ؟ » كافكا كان يجهلها ، أما غوغول فقد سبق ان شاهدها عدة مرات لدى اصدقاء له في باريس .

وتابع هوفمان : « من أهوال حرب الثلاثين عاماً ومن بؤس الفلاحين صنع كالو لوحات حفر مقبضة ورقيقة في آن واحد ، لوحات ذات شفافية . ولأنها غالباً ما تتوافق مع احساسى الخاص فقد سمحت لنفسى ان اطلق عنوان (على طريقة كالو) على مجموعة من القصص ، من بينها قصة « الفارس غلوك .. » .

قال غوغول « ومع ذلك اخالفك الراي فيما يتعلق بدور الزمن » وتابع : « فانا مهما اختلفت من أحداث عاصفة ، شبحية وفانتازية فاني لا استطيع ولا أريد التخلي عن عنصر تنابع الزمن .

تحدثنا قبل قليل من قصتي (المعطف) . فيها ينتهي الواقع المر بلبلة فانتازية . في قصة اخرى لي ، بعنوان (اللوحة) ، يبدأ كل

□ لقاء رحلة □

شيء مختلفا ليتحول من ثم الى سيرة حياة اصيلة . - احد الفنانين يقتنى بآخر ما يملك من روبلات لوحة قديمة وعتيقة من شارع نيفسكي . الوجه الغريب في اللوحة ينظر اليه بعينين ثاقبتين . يعلق الفنان اللوحة في محترفه ، فتتابعه العينان . وفي الليل ينزل الرجل من الإطار ويفقد محفظة نقوده . وفي الصباح عندما يحضر صاحب المحترف مع شرطي لتحصيل إيجار المحترف ، يكتشف الشرطي بعض قطع النقود الظاهرة من المحفظة .

بعد ذلك يقف الفنان امام السؤال التالي : إما ان تستاجر لنفسك بالنقود التي هبطت عليك فجأة محترفا ، وتعمل بجد ، حسبما تمليه عليك موهبتك ، أو تشتري لنفسك بها تيابا عصرية وتميش حياتك كيفما اتفق .

ما تبقى من القصة يتعلق بسيرة حياة الفنان الذي يدعى للفواية فيصبح فنان موضة ثري ، ولا شيء سوى ذلك . في النهاية تتملكه حالة بخل مرضي ، وبكل ما تبقى لديه من أموال وبكل الحق وجنون يشتري لوحات زملائه الموهوبين ويحرقها .

كان يمكن لهذه الحكاية ، حتى دون البداية الفانتازية ، ان تكون مسيرة حياة اعتيادية . لكنني انطلقا من الحدث الفانتازي أردت تطوير تتابع حياة اعتيادية . » .

قال كافكا بصوت خافت وكأنما يحدث نفسه : « إن بقي شيء من إنتاجي بسبب صدفة تعيسة بعد موتي ، فلن يتذكر أحد اني قد ولدت في ظل ملكية آل هابسبورغ ، واني قد عشت ومت في الجمهورية التشيكوسلوفاكية . قد يشعر المرء من كتابتي كلها بشيء من العذاب ، من القلق ، ومن الشك الذي يولده في نفس الانسان منعطف زمني ، وربما شعر بخوفي الخاص من الموت . » .

□ لقسم رحيلة □

فقال هوفمان : « اقتراب الموت لم يستطع إعاقتي عن النضال ضد عدوي ، ضد وزير الداخلية ، حتى آخر لحظة » .

لنعد الى موضوع حديثنا يا غوغول حول المموس والمتخيل : ليست الخيالات والاحلام فقط هي ما ينتمي الى عالمي ، بل الحدس والآمال والمخاوف .

قد ينجح الاديب احيانا في اختلاق ما لم تحققه الحياة بعد . .

توقف كافكا عن الكلام وكأنه يحدث نفسه ، بل قال بصوت مرتفع تجاوز الطاولة : « سأتهم بأن عالمي لا مخرج منه . ولكن الا يحق لي عندما يبدو لي الواقع بلا مخرج ، أن أصوره كما أراه ؟ » .

فاجابه هوفمان : « لا أكثر من هذا الصبر الضيق من الواقع الذي تراه أمامك ، اما الواقع كله فلا يجوز لك أبداً . فبما أنك لا ترى لنفسك مخرجاً ، فانك لا تراه بالنسبة للآخرين أيضاً . ولكن يجب أن يبحث الانسان عن مخرج ، عن شق في جدار ، كما يبحث السجين عن الشق كي يوصل رسالة من إنسان لآخر . على الانسان أن يرى ولو نقطة نور ضئيلة . بعض لوحات رامبرانت المظلمة مثلاً لا تكتسب معناها إلا عبر مثل نقاط النور هذه المضافة بشكل صحيح .

اقرأ ما كتبته عندما حاصرني الموت . اقرأ احدي قصصي الاخيرة ، نافذة ابن العم ، مثلاً » « أعرفها » . قال كافكا وفكر : يا لشجاعة هوفمان . رغم كل حيله السحرية واشباحه - وهو مشلول ، غير قادر على الحركة ، كتب عن نفسه كمن يكتب عن شخص آخر يراقب ساحة السوق وكل من فيها من نافذة منزوية .

□ لقاء رحلة □

تابع هوفمان فكرته الاخيرة قائلا : « في رواياتي الخيالية مزجت بشرا ونباتات غريبة ، وحيوانات ايضا مع بعضها بعضا ، ووضعتها في الزمن الذي تراءى لي صحيحا . » .

قال غوغول : « مهلك ! مهلك ! قد تنجح في التهرب من تتابع الزمن ، ولكن عليك على اية حال أن تترك بالواقع . » .

اجاب هوفمان : « بالطبع ، وهل ثمة غيره ؟ فالتصورات الرمزية او الفانتازية ، الحكايات والخرافات لها جذورها بشكل ما في الواقع كالامور الملموسة ، فالغاية الحقيقية تنتمي الى حيز الواقع ، والحلم بالغاية ينتمي هو ايضا اليه . ترى ألم ينشأ بيت الساحرات في حكاية هنزل وغريتيل ، من الواقع ؟ بل من الواقع المرير ، عندما كان الاهل خلال حرب الثلاثين عاما يرسلون اطفالهم الى الغابة كي لا يموتوا امام اعينهم جوعا . » .

قال غوغول : « لقد تحدثت كثيرا يا هوفمان . سأفكر مليا بما قلت . » ثم وقف وقال : « للأسف علي أن اذهب الآن ، فأمامي برنامج سفر ثابت . لقد ارتحت لوجودي معكما . » .

طلب النادل وقال له : « آسف فأنا لا املك نقودا تشيكية . » .

اجاب النادل : « لا بأس نحن نقبل هنا عملات اخرى . » .

ولكن عندما وضع غوغول على الطاولة روبلته التي تعود الى عهد القيصرية ، هز النادل راسه وقال : « عذرا يا سيدي ، هذه العملة غير قابلة للتداول الآن . » .

مد هوفمان يده الى محفظته ، وللتو تذكر ان عملته ايضا لن تفيد شيئا في هذا المقهى . وانتهى الامر بأن سدّد كافكا الحساب عن الثلاثة . ورغم فقر محفظته كان سعيدا بلقاء غوغول وهوفمان ، بل باستضافتهما .

□ لقاء رحلة □

قرر هوفمان أن يركب قطار الليل ، إذ ليس من داع للمجلة . ودون هدف محدد بدأ يتجول في المدينة ، ومرة ثانية كان يندهش لكل ما يراه . عبر اقواس بوابات مختلفة وتبين له أن الإنسان يستطيع الانتقال الى حارة أخرى عبر أفنية البيوت . كانت النسوة يتبادلن الحديث من شرفة لشرفة وهن ينفضن الغبار عن السجاد . ومن الغناء المقابل ظهر رجل عجوز وتجاوز هوفمان . كان يرتدي قبة قاسية رفعت ذقنه بوضوح ، وكان وجهه عابسا ، ففكر هوفمان : ما سبب انزعاجه يا ترى ؟ لا شك انه يناضل ضد حشره في البسة قاسية تفرض عليه وضعية متيبسة . - لم يتبق من العجوز سوى ذلك في ذاكرة هوفمان . كان الرجل والد كافكا وقد خرج باحثا عن ابنه كي يحضره لتناول الطعام في المنزل ، وكان يتساءل في نفسه : كيف يمكن للمريض أن يهدر وقته في القهى بهذا الشكل ؟ .

قال هوفمان لنفسه : « عند وصولي الى دريسدن سيكون انزلوس في انتظاري ، فلديه حدس بأنني قادم . سأخذه من تحت إبطه كيلا يتعثر ثانية بسلة التفاح فتلاحقه البائعة بلعناتها ، ثم سنبحث معا عن مسؤول أرشيف الكنيسة ليند هورست ، إما في منزله أو في القهى ، وسيدا ليندهورست باستجوابي عن رحلتي .

لا شك أن الرجل الذي التقينته صدفة قبل قليل قد كتب الكثير من الأشياء الجميلة ، ولا شك أنه سيكتب أشياء أخرى إن لم يكن مرضه بهذه الجدية ، كما يعتقد . ليس ثمة من سيبلغ مستوى غوغول . ومن بيننا نحن الثلاثة لن يتمكن أحد من الكتابة مثله : واقع متجلد تتراكم منه الاحلام ، وكل هذا في آن واحد بحيث تتجلد حتى الاحلام في القلوب .

□ لقاء رحلة □

لكن حياته بدأت بالانحدار للأسف . وقريبا سيسافر الى القدس ويصلي . وسيتوصل الى امه واصدقائه كي يصلوا من اجله ، فصلاته هو لا تنجح في تحقيق ما يفي به . وقريبا أيضا سيؤلف كتابا من رسائل غبية ، سيظنها عملا فنيا . - وستصله من بلينسكي رسالة غاضبة لانه ينكر موهبته العظيمة وينصح بالصلاة والتوبة بدلا من الحق والعدالة . وقريبا أيضا سيخضع غوغول لضغوط قميسه ويضع لـ « النفوس الميتة ، خاتمة طيبة . لكنه سيدرك ان الجزء الجديد سيء جدا ، وسيحرقه ويكتبه ثانية ، ليحرقه من جديد لانه لن يرضى عنه ، ومن ثم سيفرق في حالة من اليأس ، وسيضرب عن العلمام حتى الموت .

إلا ان رسالة بلينسكي سننتقل من يد ليد ، ولسوف ينسخها الآلاف . وسيقرأها دوستويفسكي علنا في بطرسبورغ في حلقة بتراشفسكي ، وسوف يعتقل ويحكم عليه بالموت . وفي اللحظة الاخيرة ، امام جبل المشنقة ، سيصل عفو القيصر : النقي الى سيبيريا بدل عقوبة الاعدام . ورواية « بيت الموتى » التي سيكتبها فيما بعد ستكون صورة عن روسيا في ظل حكم آل رومانوف .

بعد ان غادره غوغول وهو فنان شعر كافكا بوحدة مريعة . لا لان الغريبيين خلال مثل هذه الفترة الوجيزة قد امتلكا قلبه ، فأضحى لا غنى له عنهما ، ولكن لانهما قد تمكنا ولمدة ساعات من تخليصه من شعوره القاسي بالوحدة . عند الوداع عانقاه وتمنيا له الحظ والتوفيق .

ابتسم كافكا لنفسه ، فهو لن يتمكن من تجنب الموت الذي يترصده . لربما كان من حسن حظه ان يموت شابا ، فبدلك سي تجنب النجاح والفشل ، تهليل من لم يفهموا عمله ورفض من اولوه بشكل خاطيء .

□ لقاء رحلة □

اطال التفكير بأوراقه بامعان . لم يكتب ، بل اخذ يخربش ، ولو
فيض له البقاء حيا لتمكن ذات يوم من استشارة مشاعر البشر . وتذكر
كل ما لم يقله خلال الحوار الثلاثي . ومع ذلك فقد كان اكثر صراحة
معهما مما هو مع اعز اصدقائه واقرب خلانه . وفكر فيما بعد بأنه ما كان
ليقول ما هو اكثر اهمية .

عندما كنت اكثر صحة وشبابا كتبت « امريكا » ؛ والولايات المتحدة
الاصلية تماثل امريكا التي اختلقتها . - واخذ يضحك الان من غضبه
السابق على دار النشر التي طبعت على الغلاف صورة حقيقية لميناء نيويورك
بسفن كثيرة ، كبيرة وصغيرة . ما مدى البهجة والمرح الذي كان يمكن لهذه
الرواية ان تحققه ! هذا السيرك الجوال الهائل الذي يسخر من البطالة
المتفشية ، فيقدم مكان عمل لكل راغب ! ومن ثم رحلة الجميع عبر البلد
اللامتناهي . كان من المحتمل ان تصبح الرواية كتابا محفوظا . « القضية »
كانت مسبقا رواية الخوف من الحكم . الخوف الذي جعل غوغول يضرب
عن الطعام حتى الموت . لكن « القصر » هو رواية المصالحة ، رواية الحق
في البقاء بعد الكثير من التضحية بكل ما هو ضروري . كان علي على الاقل
ان اكتبها بهذا المنحى .

في رواية « امريكا » كان هناك ما يفهمه الناس ، وهذا ما كان من
واجبي التمسك به . - هل كان غوغول ام هوفمان الذي قال : كل منا
مدنّب إن لم يفهم الناس ما تكتب ؟ على كل منا أن يجد ما هو خاص به
وحده ، حتى وإن لم يكتب كل شيء ليفهمه الجميع - « اراك تجلس
وتحلم » صاح الاب الذي ظهر فجأة بغضب : « الطعام جاهز ، ونحن
ننتظر ، وانت تهدر الوقت هنا ! » رمى الاب الاوراق بنظرة ملؤها

□ لقاء رحلة □

الاحتقار فاسرع كافكا وجمع كل ما امامه ، وفكر : سأذهب معه لتناول الطعام في البيت ثانية . - كان يخشى والده ويطيعه .

غادر غوغول القطار مع حقيبة سفره المنتفخة وتوجه الى شرطة الحدود . ورغم تسفاره الكثير كان دوما يشعر بخوف ما عندما يتفقد موظفو الحدود اوراقه ، وكأنما سيكتشف احدهم خطاياه منها . ختم الموظف البدين اللطيف جوازه واعاده له . ويمزج من الاعتزاز بوطنه العظيم الذي يبتدىء من هذه النقطة ، ومن الخوف ، كمن يخطو الى السجن بارادته ، خطأ غوغول نحو مكتب البريد . كان المكتب بناء صغيرا حكوميا ، ولهذا كان يرى المرء على لوحته النسر القيصري ذا الرأسين .

حياه مدير المكتب بحفاوة بالغة وقال : « امام حضرتكم ما يكفي من الوقت لتناول وجبة صغيرة . » وزوجته التي كانت بانتظاره هذه اللحظة ، جلبت السماور ، ثم احضرت كلاهما المشروب والخبز واللحم المقدد والمخلل والسك البارد والبريوشكي (١) . هز غوغول براسه موافقا . وبالغ الرضى امتدت يده الى الوجبة الروسية ، ثم وبحركة ما كان ليفعلها في براغ رمى لمدير المكتب قطعة نقود ، فرماها هذا لزوجته وشلال من عبارات الشكر يهدر من فمه . ثم احضرت الزوجة حقيبة السفر وهي تتابع شكرها للمسافر . ساعدا ضيفهما على الصعود الى العربتين متبعين له كل الخير والتوفيق في رحلته .

بدات الخيول تخب ، ومع اصوات لهائها ورنين اجراسها اندفعت باتجاه القرن الماضي .



(١) نوع من الغطائر الروسية الشهيرة .

الرَّبِيبُ

• تأليف: غونتر روكر

• ترجمة: ذهني قوطش

لا تتوقعوا من حياتي شيئا مشيراً ، فأنا سليل علاقات بورجوازية صغيرة وأعمل في إحدى دوائر الناحية ، ولدي زوجة وولد لست أنا والده ، وقد يكون من الأسهل ان أبدأ قصتي حول الطريقة التي توصلت فيها الى ولدي . ولكن علي ان احدثكم عن زوجتي وعن « كروسه » وعن ولده وعن زوجته الحبيبة هرتا وعن الاموات الذين تعرفت عليهم في حياتي .

احب الترتيب ، لذلك سأبدأ بوالدي ، اي الرجل الذي كان سببا في مجيئي الى هذه الحياة . لقد كان كما حدثني الناس عنه خفيف الظل في صباه ، ولكنني مع الاسف لم اتعرف عليه لانه ، وقبل ان يتسنى لي ان احبه كما يحب الولد اباه ، ضاع مني . لا اعرف شيئا عنه سوى انه كان اول مشوه حرب سنة ١٩١٤ وانه كان رجلا محبوبا في مدينتنا

□ الريب □

الصغيرة ، وعندما كان يتوكأ على عكازيه بساقه المتوترة ، غالبا ما كان السادة الضباط يبادرونه بالتحية . وهكذا كان يحظى مشوه الحرب بالاحترام في عام ١٩١٤ . لقد اعتاد آخر رجل شارك في حرب ١٨٧٠ - ١٨٧١ أن يتحدث معه ، كما كان العمدة يقدم له الهدايا ورسائل التحية . وكان خيرة الرجال في المدينة يدعونه ليلعب الورق معهم ، وكانوا هم يدفعون الحساب ويسألونه عن رأيه بالانتصارات والخسائر ، وغالبا ما كان الجالسون وراء الطاولة يعيدون على الخريطة عملية الهجوم التي فقد فيها نصف ساقه وكسب فيها هذه الشهرة الكبيرة .

عملت امي في هذا الوقت في محل لكي الملابس يملكه ابواها ، وكانت ترى عندما تقف وراء الطاولة ، عبر زجاج النافذة الكبيرة ، أول مشوه حرب في المدينة وهو يذهب للنزهة ويعود منها . فكان قلبها يخفق بشدة عند رؤيته ، ولكنها لم تجرب مرة واحدة أن تكلمه ، في احد الايام ، وعندما ازدانت المدينة بالاعلام والورود لأن بلدة فلندورف قد احتلت ، وكان والذي يمر متوكأ على عكازيه امام محل كي الملابس ، سارت امي خلفه وقدمت له بلطف باقة صغيرة من الزهور . وفي مساء اليوم نفسه التقيا ، وبعد ستة اسابيع عاشت المدينة مناسبة عقد قران أول مشوه حرب فيها .

كان الوقت قد حان في شهر تشرين الثاني للاحتفال بعودة الجنود منتصرين من عملية تاديب العدو ، ولكن الاحتفال بهذه المناسبة تأجل ، لذا اعدت المدينة احتفالا بزواج مشوه الحرب فيها بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ المدينة ، فاجراس الكنيسة فرعت وسارت العربات بطيئة امامها ، ثم نهض والذي مستندا على عكازيه وخرج من العربة دخل مع امي التي كانت ترتدي ملابس بيضاء الى الكنيسة . كانت مقاعدها واركانها

□ الربيع □

ممثلة حتى الصفوف الامامية حيث جلس السيد العمدة والضباط المسؤولون والسادة الذين يلعبون الورق، وجميع رجال الاعمال المعروفين. وعندما بدأت الاناشيد تفرار ارجاء الكنيسة وسيطر القداس والانفعال على قلوب الحاضرين ، تذكر حتى كبار الموظفين سنا وقدرا في المدينة انهم لم يحضروا في هذه الكنيسة زواجا مثل هذا الزواج الجميل . وذرف كثيرون منهم الدموع ، وشكروا جميعهم والذي على هذا اليوم .

وفي السنة الثالثة والرابعة للحرب ، عندما بدأ عدد الجرحى في بيوت العناية وفي حدائق المدينة يصبح كبيرا ، كان والذي يجلس وراء الطاولة مع الذين يجلسون هناك فيصبح واحدا منهم ، وقد شكرهم على ذلك .

وفي السنة الاخيرة للحرب وعلى سبيل المثال ، وعندما جاء اليه بعض الجرحى الذين فقدوا بصرهم في القتال وطالبوه بالاشتراك في احدى المظاهرات احتجاجا على الحرب ، طردهم من المنزل وصرخ فيهم :

— لقد كنت مشوه حرب عندما كنتم انتم ايها الجبهة تعيشون حياة رغيدة ، لقد كنت مشوه حرب منذ اليوم الاول للحرب . اغربوا عن وجهي ، ودعوني وحدي واخجلوا من انفسكم .

وانتهت الحرب ، ولم يعد محل كي الملابس الذي تملك امي معظمه تقريبا يعطي ارباحا ، فأخذ والذي يحصل على ما يسد رمقه فقط عن طريق املاء بيانات دفع الضريبة للتجار الصغار ، واصبح يزيد المبالغ التي يراهن عليها بالقمار .

وفي تلك الفترة وصلت الى المانيا رقصة السلوفوكس والتانجو ، فذهبت والدتي الى مدرسة الرقص ، وحيث انه لم يكن راغبا ان تذهب

بدونه ، طلب ان تصنع له ساق اصطناعية جديدة محاولا بذلك مجازاة الموضة والشباب . لكن سرعان ما تأكد من انها جديدة في اخلاصها له ، فانضم الى رفاقه في لعب الورق وتناول المشروبات الروحية . غالبا ما كان يعود مخمورا الى البيت ، وفي اغلب الاحيان كانت امي تغلق باب غرفة النوم على نفسها ، وفي ذلك الوقت بدأت حياتي .

وفي احد الايام ، وخلال فترة التضخم النقدي ، وعندما كانت زجاجة النبيذ من نوع رودلزهايم تباع بثلاثة مليارات مارك ، سمعت امي وقع خطوات والذي وهو يصعد الدرج منتشيا مخمورا ، وسمعت الضوضاء في الاسفل ، فذهبت الى غرفة النوم واغلقت الباب على نفسها . طرق الباب عليها راجيا ان تفتح له وان تسمع ما سيقوله لها ، وعندها ستعرف ان السعادة قد حلت في البيت . ففتحت امي الباب ، ووقف هو امامها ممثلا حيوية وشبابا كما كان في احسن ايام حياته ، واخرج من جيبه نقودا فضية وهو يقول :

« نقود معدنية جيدة ربحتها بشرف في القمار » .

كان يحصل دائما على نقود جديدة ، ثم ارتدى على صدر امي واستيقظ حبها له فقربت اليها وعانقته ، وهكذا شهدت اليوم الذي كانت تباع فيه زجاجة النبيذ من نوع رودلزهايم بثلاثة مليارات . ورغم ذلك كله فقد كنت ثمة لعلاقة حب . كان والذي يحافظ على وعده عندما كانت النقود كافية . ولكنه لم يلبث ان يعود الى عاداته القديمة ، وغالبا ما كانت امي تقف خلف الباب الموحد . وحين اخذ منها ذات يوم دفتر توفير البريد ، وفي يوم آخر السكاكين والملاعق والشوك الفضية ، لم تغلق في وجهه فقط غرفة النوم وانما باب المنزل ايضا . ثم اخذت على عاتقها

ان تسدد ديونه كي تنقذ سمعتها ، فعملت خياطة ملابس من الاقمشة البيضاء . ثم رجاها الجميع ان تغفر له وان تقبله ثانية ، لكنها كانت ترفض ، وعندما كان يعود كانت ترفض دائما الحديث معه .

وذات يوم جلس في المطعم ورأى امي في المنتزه وهي عائدة تحمل قماشا ، فاندفع خارجا وتبعها كما كانت هي تتبعه ، وصاح طالبا ان تغفر له وان تلذه يعود الى منزلها . لكن امي لم تنبس ببنت شفة ، بل اسرعت في سيرها فلم يستطع هو بساقه التي شوهدت في الحرب ان يلحق بها . قال لها : - « دعيني على الاقل اساعدك بحمل الفسيل » ، لكن امي لم تصغ اليه فصاح بأعلى صوته : - لا تنمادي الى هذا الحد ، سأشوق نفسي . كان غالبا ما يقول ذلك عندما يسيطر عليه خوف كبير بعد ان يتناول الكحول ، أو عندما كان يشتم بالخجل امام الناس أو يمي كم من النقود خسر في القمار ، أو عندما كانت الحيل تضيق به . لذا لم تعد امي تكثر بذلك . في اليوم التالي ، وعندما كانت اجراس الكنيسة تقرر لصلاة الصبح ، صرخ والدي - « سأشوق نفسي كي تعرف ذلك » . فقالت امي : - « اياك ان ترتكب معصية » . وارادت ان تتوقف ، لكنها ما لبثت ان فكرت بانها اذا غيرت موضوع الحديث فان كل شيء سيبدأ من جديد ، لذلك ابتعدت عنه . وفي صباح اليوم الذي تلاه عندما قرعت اجراس الكنيسة للصلاة في الصباح ، استيقظت مدعورة ، وصلت ثم ارتدت ملابسها واسرعت خارجة من المنزل للبحث عن والدي وعندما وصلت الى اسفل المنزل راته مشنوقا .

نقلتني الى بيت اختها كي تشرف على رعايتي حتى تتحسن ظروفها . ولم ترض ان تعيش في المدينة يوما آخر ، لانها كانت حسب رأيهم

□ الريب □

المسؤولة عن وفاة اول مشوه حرب فيها . وفي احدى المرات كتبت الى اختها انها ستحضر كي تأخذني ، ولكن بعد ذلك جاء شرطي وقال بان امي فقدت حق تربيتي لانها هي نفسها ضائعة . وانقطعت اخبارها بعد ذلك .

وعندما بلغت السابعة من العمر جاء رجل الى البيت يمتحن ، تجارة رابحة ، بفواكه المناطق الحارة . فشعرت حالا انه عدو لي . لقد كنت اتجنبه واراقبه ، واسترقت السمع وانا اقف مرة امام باب غرفته فسمعته يقول : ان من امر امانيه ان يتزوج خالتي ، ولكنه ليس بحاجة الي . ومنذ تلك اللحظة بدأت خالتي تبكي في النهار احيانا ، ولكنها تبدو مريحة في الليل عندما يعود للمنزل . كانت تحبني وكانني ولدها ، ولكن الوقت كان وقت الازمة في المانيا ، والرجل كان بالنسبة لها صفقة رابحة فهو في الثلاثين ، لذلك لم يجد الحكام شيئا .

كانت عائلتي كاثوليكية . ويوم تناولتي للقرآن الاول ارتديت بذلة زرقاء وحملت شمعة كبيرة مذهبة ، وتناولت القران في الكنيسة وصورت في المكان ذاته الذي صور فيه والذي يوم زفافه . ثم صعدنا جميعا ، الرجل وخالتي وانا الى السيارة ، وبعد دقائق نزلت امام دار الايتام . بقي الرجل واقفا في الزاوية ، اشعل لفافة تبغ وانتهت خالتي اجراءات القبول ثم قبلتني ، وارادت ان تودعني لكني لحقت بها وتعلقت بها وصرخت باكياء ، ثم تمسكت بها بقوة :

— « لا تتركيني هنا ارجوك ، لا تتركيني هنا » .

ولكن رغم بكائي ورغم ان وقع ذلك عليها كان صعبا فقد كان عليها ان تفلق قلبها وتتركني عند الراهبات ، كان عمري آنذاك سبع سنوات .

□ الريبب □

بعد عشر سنوات اخرجني كروسه المعجوز - الذي سبق لي ان ذكرت اسمه في بداية قصة حياتي - من دار الایتام ، حيث كان علينا نحن النزلاء الاكبر سنا في بداية الاربعينات ان نخلي غرفنا ، لان المصحات في المدينة كانت مكتظة بمشوهي الحرب العائدين من الشرق . كانت لدى كروسه غرفة فارغة فسكنت حوالي السنة لديه ، كان والذي الحقيقي قد جاء مع زوجته الى مدينتنا في نفس السنة التي ادخلت فيها الى دار الایتام . وكانت زوجته تعاني من مرض صدفوي وفي حاجة الى غابات وجبال والمنطقة التي اميش فيها جميلة ، فعبر الغابة الى جهة الشمال يرى الموء البيوت العالية في المدينة الجديدة ومن جهة الجنوب يرى سلسلة جبال بوهيميا ، الغابة مليئة بالينابيع . يبدأ الخريف متللاً فوق الاشجار وفوق حقول الشوفان الاخضر المكسوة بالثلج . والنشاط بادر في كل شيء ، والدروب تفوح برائحة الصمغ والعشب والحبوب ذات الطعم الحلو . وفوق الصخور تهب الريح ، والوديان تهتج دافئة بين الجبال . وكان على زوجة كروسه ان تشفى هنا ، لقد ترك كروسه ولده باول في برلين حيث بدأ دراسته .

لم يكن باول كروسه ابدا ابن كروسه ، لقد قبله كروسه ولدا بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما عاد كروسه الى منزل والديه في برلين وعلم ان اخاه قد اعدم بالرصاص خلال معارك تشرين الثاني . وعاشت زوجة الشهيد لدى ابوي كروسه ، وعندما جلسوا وراء الطاولة جلست الزوجة الى جانبه وهكذا استمر الوضع .

جلس كاول كروسه بجانب هرتا ، قطع الخبز واقتسم حصته معها لان جسدها كان ضعيفا بسبب ذلك الطفل ، وبدأت الرئة تشكل باعشا

للقلق . راقب هرتا وهي تعمل في المطبخ ، وتتعامل مع الطفل ، وفي احد الايام ، وعندما جلسا لوحدهما وراء الطاولة رأى كلاهما كيف وقف الطفل منتصباً في سريره لأول مرة ، وكيف تمسك بقوة ليستقر ثانية ويعاود الوقوف معتمداً على قواه الخاصة . لقد كان تأثير هذا على كارل كبيراً لأنه لم يسبق له ان رأى ذلك ، فقال لهرتا : - « لقد بدأ طفلك الان بالوقوف على قدميه خلف قضبان سريره ، يجب ان تتم تربيته بشكل يجعل اخي ، اي زوجك المتوفي ، لا يخجل ان يكون اباه . يجب ان يصبح مثل والده ، وعلينا ان نشترك بتربية الصبي معا كرجل وامرأة ، لم تنبس هرتا ببنت شفه ، لكنها ما لبثت ان قالت : نعم . وهكذا وصل كروسه الى ولده وهو في التاسعة والثلاثين من العمر . وقد سر به كثيراً ، لكنه تعذب به كثيراً .

انفصل كارل كروسه عن ولده عندما كان باول في الخامسة عشر من العمر ، وبعد ان احتفل بدخوله مرحلة ما بعد الطفولة ، حيث تلقى بهذه المناسبة محفظة نقود على شكل حدوة حصان وسكينا ذات غطاء جلدي وكتاباً بعنوان « المرأة والاشتراكية » وشالاً من الصوف .. وقد جرى الاحتفال في مؤسسة فيلشتاين في ادلرز هوف جنوب شرق برلين . كان الخطيب كبير السن كبر البيان الشيوعي ، وفي الخارج كانت مجموعة من اشبال هتلر تنشد : ايها الزملاء اننا نرمي رماحنا في بحار غربية ثم نسبح خلفها ونبحث عنها .

وقد تحدث الخطيب في القاعة عن حق العمل والتعلم وعن انسان المستقبل المثقف ثقافات متنوعة ، وان المانيا ستكون يوماً ما متحررة من الحقد العرقي ، مرتبطة بروابط الصداقة مع الشعوب التي الوان جلدها

□.الريب □

سوداء أو صفراء . بعد الظهر ذهب كارل وهرتا وباول الى الهازن هايد
لتناول القهوة وقطع الكمك ، حيث كانت تعزف هناك فرقة موسيقية ،
ورقص كارل وهرتا رقصة سلوفوكس . وقد رأى باول ابويه لأول مرة
يرقصان وكان هذا اليوم بالنسبة له تجربة كبيرة . في المساء عندما جلسا
ثانية وراء طاولة العشاء قال كارل كروسه : - اسمع يا ولدي ، انك
تلميذ وتعرف ان امك تعاني من مرض في الرئة وان عليها ان تذهب الى
منطقة فيها غابات . لذلك ستنقل الى منطقتها القديمة في لاوزيتس .
اما انت فستتابع تعليمك حتى النهاية هنا في برلين وستعيش لدى
الرفاق ، حيث السرور ، كما فعلت حتى الان ، لان امك بحاجة الى
السرور . وبعد اسبوع ودعوا باول في المنزل الفارغ ، ذهبت هرتا مع
الصبي الى الغرفة واخرجت من حقيبة السفر قرنفلة مصنوعة من الورق
الاحمر وقالت : - يا ولدي باول هذه القرنفلة ، اعطاني اياها ابوك في
اول ايار من عام ١٩١٦ وقد حملتها اليوم خلال اول مظاهرة ضد الحرب،
وسوف اتركها لك لانك في الاول من ايار سنة ١٩١٦ بدأت حياتك ، حيث
لم يعرف احد عن هذا الموضوع شيئاً في ذلك اليوم ، حافظ عليها بشرف .
قبلت طفلها ثم اغلقت باب المنزل وغادرت مع كارل المدينة الكبيرة
برلين .

هكذا جاء كارل وهرتا الى بلدتي في العام نفسه الذي ارسلتني فيه
امي الى دار اليتام ، ولكن هرتا لم تبرا من مرضها ، لانها لا تحتاج فقط
الى غابات وجبال وانما الى هدوء ايضا . وجاء عام ١٩٣٣ واخذ كارل
وهرتا يبحثان عن طريق عبر الحدود من اجل عدم قطع الاتصالات ومن
اجل انقاذ الارواح . وطيلة عام كانت هرتا تقود الفارين الى الحدود ،
الى القطارات والى محطات الباصات ، فقد كانت تعرف الطرق ، وتسير

دون خوف على رغم ما فيها من مخاطر هذه الطرق . ولكن وفي احدى المرات وعندما عاد كروسه من عمله لم تكن هي قد عادت بعد من الحدود . وحلّ المساء ، فانتظر فترة ثم ارتدى ملابسه وخرج من البيت وقبيل حلول الفسق التقى امام الباب بامرأة غريبة تقرع الباب ، فسألها من تكون . فأخبرته ان احدهم لاحقها هي وهرتا ، وانهما اضطرا ان يقضيا الليل في احد المخايء ، وان هرتا الان في حالة صحية خطيرة ، وانها تجد صعوبة كبيرة في التنفس وهي مستلقية الان امام نبع رودولف ورئتها تنزف . فتوجه كارل كروسه الى النبع وخلال سيره كان ينادي في الغابة كي تعلم انه قادم ، وعندما وصل في النهاية الى النبع رآها مستلقية وهي تحاول ان تنهض بعناء وجهه كبيرين ، حيث انها سمعته يناديها .

رفعها وقال لها : - سيكون كل شيء على ما يرام يا هرتا .

ولكن وقبل ان يخرج من الغابة ، كانت هي قد فارقت الحياة . لقد عرفت نبع رود ولف في غابة هوخفالد جيدا ، فقد كنا نلعب هناك عندما كنت في عداد اشبال هتلر ، اضع على ذراعي شارة ، وحول رقبتني فولارا مع جوزة من الجلد وارتيدي جوارب سوداء . لقد ربنا دار الایتام كي نصبح جنودا مخلصين وشبانا المان صداميين .

وعندما بلغت الرابعة عشر من العمر عملت في ورشة اثاث لصنع غرف النوم ، ومنذ عام ١٩٣٧ أصبحت الورشة تصنع صناديق للخزيرة . وقد تابعت اقامتي في دار الایتام حيث كان الطعام كافيا . وكان الغداء الروحي في البدء الصلاة ثم أصبح درسا في العنصرية السياسية ، وفي هذه الفترة بدأت معرفتي بكروسه . كنت احب الفناء ، وقد غنينا عددا من الاغنيات التي كانت تعجبني ، وبخاصة الاغنية التي كانت تنتهي

□ اللوبيب □

بعبارة « لا احد يائس وجبان يسألنا عن الطريق التي يرسمها لنا العازف الطفل » . وفي احدى المرات كنت اردد هذه الاغنية في الورشة وكان كروسه يقف بجانبي وكأنه يتذكر شيئا ما وقال : - واذا سالك احدهم في احدى المرات ؟ .

لم اكن اصغي تماما ، بيد أنني لم انس ذلك ، وقد حدث ذلك في السنة الاولى للحرب العالمية الثانية . كان مثلي الاعلى في ذلك الوقت قائد وحدتي اوسي وهو اول مشوه حرب من شبيبة المدينة الصغيرة . وعندما كان يتنزه في الشوارع بكمه الفارغ كان كل شخص يلقي عليه التحية باحترام . وعندما كان الامر يتعلق بالاخبار الخاصة كان يسأل عن رايه ، وكان يلقي في المدرسة الصناعية محاضرات قومية سياسية ، وحول نيران المعسكر كان غالبا ما يقص علينا حكاية الهجوم الذي فقد فيه ذراعه اليمنى والذي جلب له شهرة كبيرة . وبعد فترة قصيرة حدث ذلك مع كروسه . اخذني اليه كولده ، وحدث ذلك عندما فقد ولده .

اعود الان سنوات الى الوراء ، ففي السنوات التي تلت وفاة هرتا لم يعد كروسه غالبا يرى الابن . وخلال تشييع جنازة هرتا جاء باول وجلس الاب والابن مرتدين بدلات يوم الاحد الداكنة ، احدهما قبالة الآخر . سأل كروسه : - الم تزل القرنفلة الحمراء لديك ؟ - نعم يا ابي .

- ماذا يفعل جماعتنا في برلين ؟ .

كان كروسه يأمل أن يقولوا له بأن عليه ان يعود ، لكنهم قالوا له ، اذا كان قد عثر على طرق جديدة غير خطيرة عبر الحدود فعليه ان يعلمهم بذلك ، فقال كروسه :

- حسنا .

لكن وقع ذلك كان صعبا عليه ، إذ كان عليه ان يحتفظ بابنه نفسه . ثم تحدثا بعد ذلك عن الذكريات فقط وفي المساء رافق كروسه ابنه الى المطار . وأنا اتحدث عن ذلك بالتفصيل لأن ذلك سيكون فراقا لفترة طويلة ، لمدة اربع سنوات كان كارل كروسه خلالها يقود المعرضين للخطر عبر الحدود ويحضر مراسلي الجيش من الحدود .

كان موثوقا مثل هرتا ، ولكن بعد اربع سنوات من اقتحام هتلر بجيوشه لحدود بوهيميا لم يعد الفارون . وبدل الشعور بالوحدة يسيطر على كروسه . وفي بداية الحرب استدعي ابنه للجندية لكنه ما لبث ان سرح ، لانه يعمل على آلة خراطة . وحين تم غزو الاتحاد السوفيتي استدعي بأول للخدمة العسكرية ، وحسب قرار القيادة فقد عمل في السر ، ولم يعرف كروسه عنه شيئا ، ولم يتصل به أحد . وجاء عام ١٩٤٢ ، الصعب الذي عبرت فيه الجيوش الألمانية نهر الرون واحتلت شبه جزيرة القرم ثم تقدمت الى القفاس حيث وصل جيشها السادس الى الفولجا . وفي صباح احد الايام ، وعندما ذهب كروسه الى العمل تقدم اليه شخص غريب وقال له :

— لقد اعتقل ولدك . وبعد ثلاثة اشهر سمع كروسه نفس الصوت يقول له :

— تعال الى برلين لترى ولدك . وكان المقصود بذلك : تعال لتودع ولدك .

ثمة ، بالقرب من مركز الاعتقال ، جسر يمتد فوق ساقية ، اجتازه كروسه في وقت متفق عليه . لبث لحظة ثم أخرج محرمة بيضاء من سترته وكان شيئا ما قد سقط في عينيه ، ثم نظر الى مركز الاعتقال فرأى

□ الريبب □

خلف احدى النوافذ الكثيرة والصغيرة شيئا ابيض يهتز . واهتم هذا الشيء الابيض خلف النافذة مرة ثانية ، ثم كان على كروسه ان يتابع سيره وان يعود ثانية مرتديا بذلة المساء . فقال الغريب له انه لن ينسى ، وسيتم اعلامه بكل شيء مهم . مرة ثانية وبعد شهرين طلب الغريب منه في العمل علبه ثقاب ، لكنه اعاد اليه علبه ثقاب اخرى . وعندما فتحها كروسه وجد فيها رسالة مطوية عدة مرات ومكتوب فيها : « والدي الحبيب كن قويا : انني اموت كما عشت » . وفي اليوم ذاته جاء كروسه الى العمل وعمل كمادته مرة واحدة فقط . وضع العدة جانبا وخلع قبعته ثم نظر طويلا عبر النافذة الى الجهة التي تقع فيها برلين ، وتذكر ولده الذي سقط في الحرب مثل هرتا والبحار الاحمر .

فال لنفسه ، يا ولدي الحبيب يا ولدي الوحيد ، اعدك ان ابقي قويا وان احيا مهما تكن الحياة صعبة . ثم تذكر لفترة البحار الذي هو الاب الحقيقي للشاب وتذكر السنوات التي قضاهها مع هرتا .

خاف ان يصرعه الالم وتخور قواه فلا يقوى على التقلب عليه ، فقال في نفسه « علي ان افعل شيئا كي استطيع ان اتحمل الحياة ، فحين قمت بتربية هذا الطفل فعلت ذلك عوضا عن اخي الذي توفي ، ووقف الولد مكان والده ، ولكن المكان اصبح الآن فارغا . وفي حياتي لن يستطيع احد يملأه ، لكن خلال النضال من اجل القضية يجب ان لايبقى مكانه فارغا ، وسوف اجد مناضلا جديدا واقوم بتربيته مثل تربيتي لولدي . سوف اعمل هذا . »

ثم لبس قبعته ونظر اليها نحن الصبيان طويلا وقال في سره : « ساسرق واحدا منكم ، من العدو واجعله واحد منا . » ربما نظرت في

هذه اللحظة الى كروسه وربما نظر هو الي ايضا ، لانه عرف انني الوحيد الذي عاش يتيما وبحاجة الى بيت بعد ان احضرتني خالتي الى دار اليتام . وقف المجوز كروسه في نفس المكان الذي وقف فيه تاجر فواكه المناطق الحارة آنذاك ، واشعل لفافة تبغ واخذني معه الى البيت ، وسكنت في غرفة لدى المجوز كروسه ورأيت كيف تعذب وكيف تغلب على عذابه ، ورأيت كيف ناضل من اجلي ، وكيف ان نضاله من اجلي قد منحه القوة ضد العذاب . كان ممثلا طيبة متيقظة وناقدة ونشيطة . ولاول مرة كان انسان يصفي الي عندما اتحدث عن حياتي . كان كروسه اول شخص اوحى الي ان افكر بحياة والذي الفاسدة التي لا معنى لها . وفهمت ايضا والسدي . حدثني ايضا عن امي وكأنه يعرفها ، وانا ايضا تعرفت عليها من جديد واحببتها عن طريق كلماته . واحيانا كنت ابكي في المساء ، لا لانني رايت لأول مرة كيف يسير الناس في طريقهم الصعبة والمرة ، وكيف ليس ثمة امل في انقاذهم من هذه البليطة . ثم اخذ يحدثني بحذر عن نفسه دون ان يذكر كلمة زائدة . ربما لم اكن اعرف عن حياته الكثير ، ولكن وفي احد الايام في اواخر سنة ١٩٤٢ عندما عدنا من العمل احضر الجار له لعبة كرتون كانت قد احضرت لكروسه . نظر كروسه الى اللعبة طويلا ، ثم غسل يديه ومشط شعره وقال ان عليه ان يذهب الى غرفته لانه تعب . وبعد فترة ظننت انه سيناديني لكنه لم يفعل ، وامامه كانت لعبة الكرتون المفتوحة وكتاب وقرنفل حمرء وشال وسكين جيب في غطاء من الجلد ومحفظه نقود على شكل حدوة حصان .

وبدا الكبير منذ ذلك اليوم ، يظهر على كروسه ، واصبح ينادي في الليل احيانا طالبا كاسا من الماء واصبح نومي خفيفا وركزت اهتمامي عليه وكنت اصغي له . فلاحظ قلقي واخذ يلوم نفسه لانه يسبب لي الخوف .

□ الريب □

لقد وجدت انسانا يهتم بي واستطيع ان اهتم به . ولأول مرة في حياتي شعرت بالحب ، ولولم اعد من الحرب سليما . كنت اعرف ان كروسه سيحزن من اجلي . وفي ذلك الوقت بدأت ادرك انني احيا . فقد عرفت لأول مرة ماهو الشيء الذي يجعل الحياة حياة ، وعندئذ غامرت بحياتي ففي اليوم الذي وصل فيه استدعائي للجيش الى البيت ، جاء الى كروسه شخص لم اكن اعرفه ، ولكن كروسه كان يعرفه ، فقد نجا في اللحظة الاخيرة من الاعتقال وذهب الى الانصار في يوغسلافيا . وكانت زوجته تعيش سرا في برلين وكانت على وشك الولادة ، وقد رجا كروسه ان يسلمها عنوان مكان رتبنا فيه كل شيء للولادة ، ولكن لم يكن بمقدور كروسه ان يتحمل مشاق السفر لانه كان طريق الفراش ومريضا جدا ويده اليمنى ترتجف ليلا نهارا . فسافرت عوضا عنه الى برلين . لقد كنت خائفا جدا ، بين انني قمت بذلك من اجل كروسه . لم تكن المرأة تكبرني في السن ، ونفقت كل ماقاله الرجل لي ، وقلت لها انني قادم من وكالة الشحن من اجل عملية النقل ، سألت ان كانت اوراق الشحن جاهزة . قالت : نعم . لكن عليها احضار الشوفان للخيول . وعندها سمحت لي بالدخول وقدمت لي الطعام . كانت سيدة لطيفة ، وعندما يرى المرء الجسد الحامل الثقيل يشعر بالخوف . فذكرت لها العنوان وودعتها . مدت يدها نحوي ومررت يدها اليسرى فوق شعري . لقد احزنني وضعها الى حد انني اخذت ارتجف ، وعند الباب طبعت قبلة على وجنتي وقالت :

- شكرا ايها الرفيق . ثم تابعت قائلة : - تجول في برلين وغير واسطة النقل عدة مرات فان ذلك لا يضر . ولولم افعل ذلك لكنت سافرت فورا لانني لم اكن اعرف كافة انحاء هذه المدينة الكبيرة . لقد تاخرت عن

فطاري ووصلت الى كروسة متاخرا في الصباح الباكر . وكان القلق قد سيطر عليه عندما لم اصل حسب الموعد المحدد ولام نفسه لانه وضع شابا لاتجارب له وامراة صبية في خطر . وفي الصباح توصل كروسة الى قناعة باننا قد اعتقلنا واخذ يفكر بالشخص الذي سيتولى هو حمايته وبالشئ الذي عليه ان يخفيه ، فقام بفحص كل شئ وقال في نفسه : ان الاعتقال ايضا مفيد ، فاذا القوا القبض عليّ يجب ان يتم ذلك في المعمل امام الجميع لكي يلفت ذلك الانتباه . ارتدى ملاپسه وذهب الى المعمل ، وعندما وصل الى القنديل المعلق امام مدخل البناء كنت قد اجتزت الشارع قادما من المحطة فرايته واسرعت الخطي . فلمحني ورفع ذراعه ثم سقط على الارض . حملته الى البيت وبعد ساعات قليلة اغلقت له جفنيه . اخذت ثلاثة ايام اجازة من القيادة العسكرية المحلية ، بسبب موت كروسة .

وفي اليوم الاول خزمت ما تبقى من الامتعة ووضعتها في القبو العائد للجار ، وفي اليوم الثاني رتبت اموري ، وفي اليوم الثالث دفنت العجوز كروسة . وعلقت له الوردة الحمراء كما كان سيحملها في الاول من ايار واقسمت امامه انني لن اطلق النار ابدا على رفاقه ، وقد نفلت قسمي هذا عندما استلمت في اوكرانيا للمرة الاولى ذخيرة حية ، وسجلت اسمي في فرقة الاستطلاع ولم اعد .

كان لدي في المعسكر وقت كبير للتفكير فانتسبت الى مدرسة المعسكر ، ثم عملت هناك معلما ، وعدت بعد اربع سنوات من انتهاء الحرب فاخرجت عليه الكروتون من القبو وسافرت الى برلين . وكنت غالبا ما اذكر آخر كلمة قالتها المرأة : - شكرا ايها الرفيق .

□ الريب □

آه ! لقد ذهبت الآن الى حيث استطيع ان اجد رفاقا ، وهكذا عدت عندما اصبحت في الثالثة والعشرين من العمر ، الى ذلك البيت حيث فتحت المرأة الباب وحيثني . وعندها علمت ان زوجها قد سقط شهيدا ، وانها تعيش الآن هنا مع الطفل . قادتني الى الغرفة ، ونظرت طويلا الى هذا الانسان الصغير النائم ، ثم نزعته معطفي وخلعت جزمتي وقطعت الخبز واقتسمته معها لانها كانت لطيفة وضعيفة . لقد ربينا الطفل بطريقة لا يخلج فيها اباه منه لو بقي على قيد الحياة .

لقد وصلت الى نهاية قصتي ، هاقد انقضى نصف عمري ، وربما سيستمد الآخرون من ذلك قوة من أجل التغلب على الماضي . فانا اكتسبت قوة من تعلم الوقوف في صف واحد ، ولكن هناك امكنة كثيرة في هذا الصف امامي وبجانبني فارغة كان يقف فيها رفاقي الذين ماتوا خلال حياتي . كانت الصعوبة في البداية انه توجب علينا بقوانا غير المجربة ان نستلم عملهم . وغالبا ماكنتم اعتقد ان قواي لم تكن تكفي لذلك ، ولكن خلال ذلك نمت القوى . وانا اعرف ان ما فعلناه قد انجزناه انجازا جيدا .



المسما الثالث

بقلم هريمان كانت

ترجمة: أكرم محمد

لم تكن الشقة سيئة ، وأفضل ما فيها كان الخيار . لم انتقل من
اجله ، ولكن من اجله لن انتقل الى مكان آخر ، فهو يخبز (سمونا)
بشكل لا يتوقع احد انه مازال ممكنا ، كما لو أن نوعا مندثرا قد خلف جزءا
منه ليري العالم ما افتقده .

يصدف المرء أحيانا بندورة يكون طعمها كالبنندورة ، وأحيانا يشم
رائحة خيار ، كما الخيار مز وحلو . وأحيانا تبدو (الفراولة) ليس فقط
كما لو انها (فراولة) ، كل ذلك حظ طيب ، لكن الحظ كلمة تعبر عن
الاستثناءات . وربما كان من غير اللائق أن اتحدث عن خبز يخبز (سمونا)
مقمرأ ، (سمونا) يدفيء الجيب حين يحمله الانسان الى البيت ، (سمونا)
يمبق شذاه في انوفنا ويسمع صوته حين تقطعه بالسكين ، كي نفصل
ظهره المشقق ذا اللون الذهبي عن قاعدته ذات اللون البني الخفيف .

□ السمار الثالث □

ربما كان هذا الحديث غير لائق ، وربما كان لدي أسباب تدفعني لهذا الحديث ، على الانسان أن يتفحصها بكل هدوء ، هذا الخباز لم يكن لي وحدي طبعاً ، وحين رأيت الدور أمام نافذته لأول مرة ، ظننت أنني لن أكون جزءاً منه ، أبداً . فقلت لنفسي لا يوجد خبز جيد لهذه الدرجة ، ولكنني حين تذكرت معجنات التعاونية كنت أقول ذلك بشكل أقل حدة ، إلى أن وقفت أحد الأيام في الطابور . فتح الخباز دكانه في الساعة ، وهذا خبر يجب التأكيد على صحته ، قبل ذلك بنصف ساعة وقفت لديه ، السيدة التي تقف أمامي لاحظت فوراً كم أنا جديد على هذا الأمر . ونظراً لأنني أجبت على أسئلتها المطولة بشكل مقتضب ، فقد علمتني تقنية الحصول على (السمون) لدى الخباز شفيئت ، تكلمت أثناء ذلك بصوت عال كعادة ثقيلي السمع ، سألت : هل أنت حديث العهد هنا ، وأجابت بنفسها : أنت حديث العهد هنا إذا ! وثابتت : السادسة والنصف وقت مناسب تماماً ، لا ينتظر المرء طويلاً ولا يأتي متأخراً ، هل أنت المستأجر الجديد لدى عائلة شلوسبر ؟ لا يبدو عليك أنك عازب ، هل أنت مطلق ؟ آه ، مطلق ، عندما تأتي في السادسة والنصف فستحصل بالتأكيد على (السمون) المدور ، من يستيقظ متأخراً فعليه الاكتفاء بـ (السمون) الطويل . أكان لديك خباز كهذا ؟ لم يكن لديك ، لو كان الأمر كذلك لما انتقلت من هناك ! أرني الشبكة التي تحملها ! نعم إنها جيدة ، إياك وأن تحضر شبكة قاسية ، حينئذ يتوجب على السيدة شفيئت أن تضع (السمونات) فيها بصعوبة ، وهي تشتمز أيضاً من الشبكة البلاستيكية ، كيس من قماش الكتان هو الأفضل . وأحذرك ، فالخباز قد أمضى فترة طويلة في السجن بسبب جريمة قتل ، فهو غيور جداً على زوجته .

بإمكانه أن يكون كذلك ، فكل ما أريده هو (السمون) ، لكنني شعرت بقليل من الرضا ، بما أن هذه السيدة لا تعرفني فقد وجهت هذا التحذير إلي فقط بسبب مظهري . ولكنني سرعان ما أدركت أن الخباز غيور بفض النظر عن مظهر الشخص ، فوجود أي رجل قرب زوجته كان كافيا لاثارة ريبته ، ولم يحاول أن يخفي ذلك . ولكن لم يكن لهذا التصرف من مبرر ، فزوجة الخباز كانت منهمكة في بيع الخبز ، وكما كان زوجها فنانا في عمله ، كانت هي أيضا فنانة في عملها . كانت تعرف من يأخذ (سمونا) مدورا متوسط النضج ، ومن يأخذ (سمونا) مقمرا ، تقسم السمون بشكل متساو تماما ، تنادي أغلب الاطفال بأسمائهم تشكر وتحيي وترفق الاطفال والمسنين بكلمة حلوة ، ومن كان مريضا يخبرها بأنه تحسن عما قبل . وكان الزبائن يساعدونها في كل ذلك ، ويوافقون بين حركاتهم وحركاتها ، الكبار يساعدون الصغار ، والسيدات الشابات ينتبهن كي لا يميح المسنون هذه الحركة ، وذوو الخبرة يعلمون الجدد ، كالسيدة لوركيه التي قالت لي : عندما تريد شراء (السمون) فعليك أن تكون زبونا للحلوى أيضا . فالخباز لا يربح كثيرا من صناعة (السمون) والحلوى لديه ليست مستساغة ، ولكنك إذا لم تشتري فسترى النتائج قريبا ، ستحصل عندئذ على قطع (السمون) غير الناضجة ، وعندما تأتي متأخرا ستكتفي بالسمون الطويل ، أما إذا كنت من زبائن الحلوى فستحصل على رغبتك من (السمون) المدور . بإمكانك أن تقول اسمك عندما يكون الخباز أمام النافذة ، ومن الأفضل أن تقوله للخباز كي لا يظن بك سوءا ، فذلك ليس في صالح أحد . وبالنسبة ، ما اسمك ؟ قلت لها : اسمي فارسمان ، وفكرت في سري : كل هذه المشقة من أجل متعة الفطور ، يبدو أن الأمر

□ السمار الثالث □

خطر احيانا، الحياة نظام معقد ، ليس بشكل عام فقط وانما في كل اجزائه .
بت استمتع بأفكار كهذا خصوصا بعد ان اصبحت وحيدا ، وزاد فضولي
للتعرف على الناس ، وهذا مايشير دهشتي ، ذلك اني بعد الطلاق لم أعد
أرغب بالتعرف على الآخرين . والان أراقب دائرة زبائن شغيتت بحركتها
الموازنة كيف تمر امام زوجة الخباز وأسر لرؤية العلاقة بينها وبين الزبائن ،
هذه المتعة كانت ذات طبيعة تقنية خالصة ، وحين دخل المعلم في غيمة
دافئة من عبير الخبز لجلب ماخيزه . كنت أفضل التطلع الى الحلويات!
وإلا فلماذا حذرتني السيدة لوركة ؟ ألقى الخباز التحية ، ورد الاثنا عشر
زبوناً بلهجة اوضحت ان ملكا قد ظهر على شعبه . وضع الملك (السمون)
على الرف دون النظر إليه ، وتفحصنا باهتمام لايجوز ان يثير الدهشة ،
فهو في آخر الامر يخبز تحفة النادرة من أجلنا ، لذا كان عليه ان يهتم اذا
كان زبائنه من الدواقة او من المتطفلين . وهو ستيقظ بسببنا في عثم
الليل ، فحق له ان يمن النظر فينا ، وهو الذي يدخل البهجة الى حياتنا
فمن حقه اذا تلك النظرات . لكنه تصرف ، تصرفا غريبا ، خلال النظر ،
فهو لم يتجاهل احدا ، ولكن عينيه انتقلتا بسرعة من احد الزبائن
واستقرتا طويلا على زيون آخر . هو واحد من الاربعة الواقفين ، وقد
استغرق النظر إليه وقتا اكثر منه للنساء الثماني ، دون حساب زوجته ،
ومن نظراته حصلت على نصيب الأسد . هذا الكلام ليس لصالحه وليس
نوعا من الفرور ، فقد كنت حديث العهد اولا وكان عمر الزبائن الآخرين
هو القضية الاخرى، إذ لا احد يعلم ماالذي جعل رؤوسهم تشيب وظهورهم
محدوبة ؟ لابد انه تقدم العمر ولم يكن الخباز ليقلق منهم على زوجته
الشابة .

لم يكن احد بحاجة للقلق بسببي سواء كان خبازا او لحاما او خياطا . فالجرح الذي سببه الطلاق لم يتعاف بعد ، وكنت راغبا بخبز طازج وليس سيدات اخريات ، وهذا ما لا يعرفه الخباز وما لا يخصه ايضا . فقد اردت مبادلة النقود بالبضاعة وفي علاقة كهذه تصبح الامور العاطفية مزعجة . بادلته النظرات وقلت في نفسي : لن نرتبط بأكثر من الدفع وماله علاقة بالشهوات فلتبق عند لقمة (السمون) الطازجة ! ربما تخيلت ذلك ولكن بدا لي وكان الحر في المرتاب قد هدا روعه ، فأخرج من جيبه كيسين من قماش الكتان ، ابيض ومخطط ، وبدا باختيار افضل القطع المنتقاة ، ووضع في الكيس المخطط ثمانى (سمونات) متساوية في الحجم واللون البني المذهب ، ووضع في الكيس الابيض عشر قطع مختلفة تماما ، (سمون) مدور فاتح وناضج ، (سمون) طويل ، و (سمونتين) مقعرتين واحدة مقمرة والاخرى ليست ناضجة تماما . الاختيار والتعبئة كانتا عن خبرة طويلة ، وكان ذلك واضحا ، وعلى ما يبدو فقد كانت هذه العملية جزءا من تقاليد الصباح ، إذ لم يبد احد اهتماما او دهشة . واعترف بأنى كنت مندهشا ، استحوذ الخباز على كامل انتباهي ، ولاحظت من خلال ذلك انى استحوذت على كامل انتباهه . ويلاحظ المرء من ظهر الرجل اذا كان هذا مهتما بوجوده ، فحين صرت مقابل البائعة رايت كيف يصفي الى كلمائى .

كان عليّ ان اقول : (سمونتان) من فضلك ! فقلت عوضا عن ذلك : ست (سمونات) من فضلك ، اثنتان مقمّرتان ، واثنتان فاتحتا اللون واثنتان عاديتان اذا كان ذلك ممكنا ! لو سئلت عن إيضاح لأجبت : كنت معجبا بالمنصب الذي يشغله الخباز ، وبدا لي من غير المناسب ان انضم

□ السمر الثالث □

الى حلقة الزبائن بعشرة قروش فقط ، ومن خلال طلب (السمونات) المختلفة اردت ان يعلم الخباز اني ذواقة . لم أبتغ في حال من الاحوال إخفاء وحدتي ، ولكنني لاحظت من ظهر شفيت كيف فهم طلبي : متزوج وله طفل ، وأفراد عائلته يعنون شيئا بالنسبة له ، فهو يجلب لهم مايرغبون ، لهم ذوقهم الذي يراعى . الزبون الجديد رب عائلة عطوف ، إذا لاحوف منه ، مبدئيا على الأقل . يمكنك ان تطمئن ياعزيزي ، فكرت في ذلك عندما لاحظت عضلات ظهر الخباز ، فأنا حاليا لست زير نساء . كنت منذ فترة وجيزة لدى القاضي الشرعي ولا ارجب برؤيته مرة أخرى . ايها السيد المحترم شفيت ، لقد تحولت زوجتي امام عيني من شخصية طبيعية الى شخصية اعتبارية ، وكان ذلك قظيما بالنسبة لي . هذا ما فكرت به وماكنت سأقوله لولا وجود الزبائن الآخرين ، لذا دفعت ثمن الخبز وغادرت الدكان . وفي الطريق وبخت نفسي على هذا التبذير ، ست (سمونات) دفعة واحدة ! ! ! ذهلت ، وازدت الاقتصار على اثنتين لاستجوبتي السيدة لوركيه الثقيلة السمع . لكنني تعرضت للتحقيق في صباح اليوم التالي ، فجارتي لوركيه ارادت ان تعرف اذا كنت حقا التهم ست (سمونات) مختلفة دفعة واحدة اثناء الفطور . اختلقت لها زميلتي عمل في المكتب ، واهمتها بانني اقف مبكرا في طابور الخباز لاجل الزميلتين ، لأن علاقة حميمة تربطني بهما . اعجبت السيدة لوركيه بالحكاية ، ومن ناحيتي فقد زاد إعجابي بالشخصيات المؤنثة التي اختلقتها لتبرير عدد (السمونات) ، فقد كانت الزميلتان على جانب كبير من الجاذبية ، ولكنهما تختلفان في المظهر والطباع ، والشئ الوحيد المشترك بينهما : علاقتهما الحميمة بي . كانتا متشابهتين في انهما عازبتان ، وإلا لما سمعت الى قريهما ، ماعدا ذلك فقد كانتا متناقضتين تماما ، ذلك ما يظهر من ذوقهما في

□ السمار الثالث □

(السمون) : فأحدهما كانت تنضج من خلال (السمون) المقطر ،
والأخرى كانت تلين من خلال (السمون) الطري ، ضحكت السيدة لوركة
لهذه الجمل ، لا أحد يعلم ماالذي فهمته ، فقد كانت ثقيلة السمع فعلا ،
ظنت اني اعمل في بيع الكتب ، بينما قلت لها اني محاسب ، في إجابة على
أحد أسئلتها الكثيرة ، لم يبد ذلك مهما ، ولكن الأمر كان مهما فعلا، وطالما
أن السيدة لوركة تسأل بخبث عن بائعتي الكتب . فالأمر لم يكن ذلك
مهما ، وفي يوم السبت الأول لدى وقوفي في الدور كان ذلك من حسن
حظي ، فقد طلبت ثلاثة أزواج من (السمون) وأنا شارد الذهن ، وهذا
ماصادفت صحته ، ذلك أن بائمي الكتب يعملون يوم السبت ، بعكس
المحاسبين . ولكن عندما يكون المرء محاسبا ويعيش من دخل محاسب
فان وجود عروسين هيكليتين يثقل الميزانية ، ولم يكن بد عند شراء
الحلويات من أن أحسب لخطيئتي حسابا بالفطائر الحشوية بالقشدة أو
التفاح والجوز .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المعجنات الزائدة التي اشتريتها فقط لاني توقعت الريبة في حركات
الخباز سببت لي مآزق ليست مادية فقط ، فانا لم أرغب في رمي الخبز
والحلويات المتبقية في حلق حاوية القمامة ، لذا احضرت (السمونات)
الأسطورية والحلوى غير الأسطورية معي الى المكتب ، وهنا وقعت في مآزق
أخرى : فالجميع أصبح يريد الحصول على سمون عجيب كهذا ، لكني
وجدت مخرجا بأن الخباز يبيع لكل زبون عددا محدودا فقط ، وما عدا
الآنسة فايجل النهمة لم يعد أحد راغبا بالحلوى ، وهنا بدأت الشائعات
تدور حولنا : الآنسة فايجل وأنا .

حسابيا كانت القضية غير مجزية ، الاستيقاظ المبكر خمس مرات
اسبوعيا ، ١٠ - ١٢ ماركا شهريا تكاليف زائدة لبضاعة غير ضرورية ،

□ السمار الثالث □

عرفان الأنسة فايبل وتلميحات زملاء في المكتب ، وضرورة بقاء العلاقة مع زوجة الخباز في حدود الإعجاب بالسمنون الناضج ، وإظهار ذلك بالتصرف المناسب أمام الخباز الخطير ، كل ذلك من أجل قطعتي معجنات، فهذا أمر غير مسموح به .

ولكن الحساب لم يكن مهما عندما كنت ألتمهم (سمونات) شفيت، ف (السمنون) كان يعني الحياة ، وعند ذلك يتوقف العد والحساب . هذه مبالغة ، ولكن هذا ما كنت أشعر به ، وللدقة فقد كنت قادرا على الشعور بهذا الشكل بعد أن ضربت أخماسي بأسداسي ، وتوصلت الى أن قطعة السمنون الواحدة تكلف ٧٠ قرشا وذلك دون حساب الاستيقاظ المبكر والمهوم الأخرى ، وهذا جنون بالنسبة لأي محاسب ، لذا كنت أشعر بنفسي متهورا جدا عندما ألتمهم فطوري عالي الثمن ، هذا الشعور كان يرافقتني حتى المكتب ، حتى أن إشاعة سر في المكتب أن الطلاق قد حسن معنوياتي . صحيح أن الأمر كان مختلفا ولكني لم أعارض ، خصوصا بعد أن لاحظت أن لساني أصبح أكثر طلاقة ، ومفاصل أطرافي أكثر مرونة .

ضرب من المبالغة أن أرى الحياة في الخبز ، لكن مالا يقبل الجدل هو أن نظرتي للحياة قد تغيرت إيجابيا منذ وقفت للمرة الأولى في الطابور أمام دكان شفيت ، وعندما تحدثت للمرة الأولى مع الخباز صباح أحد الأيام لم أجد شيئا من الارتباك وإنما على إبعاد تقدير شعورا بالامتنان ، ولم أفتأ بأن السيدة لوركي قد زودت الرجل بمختلف أخباري ، فهي التي زودتني أيضا بأخباره حتى قصة السجن . كوننا التقينا لوحدا فهذا بسبب الانفولوزا التي طرحتني في الفراش . حتى وقت الظهيرة ، الى وقت يعلم

□ السمار الثالث □

عنه جميع الزبائن أنه لا يوجد سمون مدور وحتى طويل ، عندئذ كانت تنصرف السيدة شغينت الى البيت ويقوم السيد شغينت بالأعمال المتبقية .
بادرني بالسؤال :

بدو أن بيع الكتب اليوم في إجازة ؟

احتجت لبرهة كي أدرك مغزى الجملة ، وحين فهمت المعنى الذي نقلته أدركت أن السيدة لوركي قد أخبرت شغينت بكل شيء ، حتى غلطتها الناشئة من سمعها الثقيل .

اجبته : فقط بالنسبة لي ، رشح خفيف .

اجاب : هذا مستحيل بالنسبة لي كما ترى .

تحدثنا عن المسؤولية الكبيرة لحرفي مستغل من نواح مختلفة، ولكنه أقر أيضا بأن لمهنته جوانب ممتعة ، فمعنما يرى أنه يخلق البهجة لكثيرين في بداية يومهم يملؤه شعور بالرضا .
<http://Archivebeta.Sakr.net>

نعم ، قلت ذلك بلهجة فيها شيء من الحسد ، من يثق بنفسه فهو سعيد .

نظر الخباز إليّ يتفحصني ، وكأنه يزن شيئا أو فكرة ما ، وبعد كلماته التالية نشأ لدي انطباع بأن محادثتنا قد انتقلت الى طور أعلى ، ذلك أن السيد شغينت قال : إن بائع الكتب يمتلك امكانية امتاع الناس الآخرين . أردت أن أؤكد هذه الفكرة وقبل أن أتمكن من ذلك تابع السيد شغينت الحديث بجملة غامضة نوعا ما : غير أنني أعني بالمساء أكثر من الصباح ، فواحدنا لا يتفرغ لذلك إلا في المساء ، ففي الصباح هناك الخبز ، أنت تفهمني طبعاً ! لم أفهم شيئا ، على أن السيد شغينت فسر تعابير

□ السمار الثالث □

وجهي باني أدركت مايعنيه في هذه المرحلة من صفتنا ، هذا ما فهمته من كلماته التالية :

لنفترض اني زبونك ، فالحالة هي كالتالي ، أنت تبحث لدي عن مسرة في الصباح ، وأنا ارجو عندك مسرة في المساء . عندما ارجوك أن تجلب شيئا ممتعا للمساء فستظن السيد شغيتت يهذر ! أقف نصف ساعة في الدور ، ومن اجل ذلك فعلياً أن احضر له شيئا مقابل ذلك ؟ أين فائدتي في هذا .

لم اكن قد وصلت في تفكيري الى هذه النقطة ، فقد كنت احاول تفسير ماذا يعني الرجل بمتع المساء ومادور المكتبات في هذا الامر ، وهنا خطر لي أن اوضح للسيد شغيتت سوء التفاهم الحاصل بسبب ثقل سمع السيدة لوريك ، لكن دخول سيدة مسنة قطع هذا الحديث القامض ، لم استطع ابداء اي تعليق ، ذلك اني أدركت أن الأوان قد فات .

قال الخباز جملة لاثير الأرتياح : أينها الزبونة المحترمة ، منذ وقت طويل و أنت تترددين الى الدكان ، ويجب أن تعلمي انه في وقت متأخر كالآن لا يمكن الحصول حتى على فئات الخبز . ثم باعها نصف قطعة من (السمون) الاسمر .

لم يكن الخباز ذاك الانسان الذي يترك حدثا كهذا يمر دون تعقيب . قال : نعم ، هذه هي الحال ، عندما لا يملك الانسان شيئا للمقايضة ، عالم قاس ، ولكن كلينا لم يخلقه ، طلبت النصف الآخر من (السمون) الاسمر وأردت الذهاب ، لكنه كان مصمما على عقد الصفقة .

قال : ياسيد فارسمان ، منذ أصبحت زبوني وأنا أراقبك ، فتبين لي انك دقيق الملاحظة ، كنت تراني عندما ملأت الكيسين بالخبز ، ولكنتك

□ السمار الثالث □

لم تر ابن وضعتهما ، فانا اعلقهما في الباحة الخلفية الى مسمارين ، طبيب اسناني ياخذ كيسا ، والميكانيكي الذي يفحص سيارتي ياخذ الكيس الآخر ، هناك سمار ثالث ولكنه الأخير ، ولن تصبح اكثر من ثلاثة ، ابدأ . صمت الخباز بطريقة توحى بالسؤال : اتعني ان السمار الثالث ... ، شيء رائع ، ولكن هل لي ان اعرف المقابل . طبعاً ، قال الخباز ، ياسيد فارسمان ، فربما احضرت لي كتاباً عن علم الفلك او عن الطبخ البلغاري ، على الرغم من اني قد لمحت الى ذلك ، لمتع المساء ، لابد انك تفهمني ! اعتقد ذلك الآن ولكنني قلت : حسب علمي فإن العرض لدينا ليس واسعاً ولا متخصصاً . رد الخباز : ولكنني لا اطلب منك شيئاً غير عادي ، كل ماأريده هو أشياء موجودة ، ولكن الانسان لا يحصل عليها بسهولة . مثلاً لو زودتني بهذا الكتاب الصيني تشينغ بنغ ميك ، فلسنت بحاجة لان تشتري الحلوى عندي . ولاني كنت متورطاً في صفقة لاحول لي فيها مبدئياً إلا السؤال ، لم تكن لي رغبة للتعجب من الثقل الذاتي للخباز لدى التعامل مع معجاناته لكن الامل في التخلص من الحلوى ومن عرفان الأنسة فايجل وما يتبعه من الهمس في المكتب ، وقبل كل شيء المشاكل المالية غير المقولة ، جعلني اوافق على ما طرحه السيد شغينت . وعندما ادركت ان المكسب الرئيسي يتجلى في قطعتي (سمون) دافئين ونوم لمدة نصف ساعة اخرى يومياً قلت ، كما رايت في الأفلام ، اتفقنا ! وقد اراني الخباز شغينت بأنه سيلتزم بالصفقة ، فقد مد يده الى درج سري واخرج منه ست (سمونات) . اثنتين مقررتين واثنتين غير ناضجتين واثنتين عاديتين . دفعت الثمن ثم شكرته وانصرفت ، قاومت محاولة التخلص من العروسين الهيكليتين في هذه الفرصة السانحة ، لاني شعرت ان الخباز كان يرى في الرجل الذي يبدي تفهما لشهوته ، لاني اعترفت بصراحة بعلاقتي المزدوجة .

□ السمار الثالث □

وبالنسبة ، فقد ظن انهما ستزورانني في مرضي ، ذلك انه حسب
لهما حسابا رغم انه يعلم بعدم ذهابي اليوم الى المكتبة . عند هذه النقطة
بدات افكر وعنت نفسي . ايها الاحق ، لو ذهب ، فلن تذهب الى
المكتبة . لو ذهبت ، فستذهب الى قسم المحاسبة ، ولنر كيف ستحصل
على نسخة من هذا ال (كين بنغ مي) الملون . تذكرت تصرفات ابن عمي
الغريبة حين اعارني هذه الرواية الصينية . لقد طلب رهنًا ، واتى كل
مساء ليتأكد من وجود هذا الكتاب السخيف لدي ، ويسأل الى اي حد
وصلت في القراءة ، وفي الختام تناقشنا حول المواضيع الشيقة ، وكان ابن
عمي هذا يعيل الى ان يروي اكثر فاكتر من المواضيع الشيقة في حياته ،
وهنا كان (كين بنغ مي) افضل .

توهمت من خلال هذه القراءة ان كل الكتب الصينية القديمة على
هذه الشاكلة ، فامضيت فترة طويلة في البحث عن بداعات متفرقة ، لكني
لم اجد سوى وصفات للطبخ وشتائم اثناء المبارزات . وآراء فلسفية لم
افهمها . معرفة هذه الاشياء ليست ضارة ، لكن نفعها العملي يبقى
محدودا ، على عكس المعلومات التي استقيتها من (كين بنغ مي) ، وعندما
اذكر شواهد اصير كابن عمي ، وهذا مالا اريده . لم اتوقف كثيرا عند
التفكير باقناع ابن عمي ان يتخلي عن كتاب وصف العادات الصينية لاجل
الخيال اي لاجلي ، فقد كان بوده ان يربط الكتاب بخيط طويل ومتين ،
عندما استعمرته منه ، وأن يشد هذا الخيط كلما اراد التأكد من وجود
الكتاب . لم يكن ليصدقني ان المسألة بالنسبة لي هي شيء من الاقتصاد
والنوم والمتعة عند الفطور .

كان بإمكانني ان ادع هذا القريب جانبا حين البحث عن وسائل
للوصول الى ال (كين بنغ مي) . تبين فيما بعد أنه لم يبق لي غير ابن

□ السمار الثالث □

العم ، ذلك انه لا احد من معارفي اعترف بملكية هذا الكتاب الماحر ماعدا الانسة فايجل والتي سالتها عن الكتاب في فاقتي هذه . قالت : لم يسبق ان سألها احد دون مواربة عن ذلك ، ولكنها تقدّر هذا ، وحين آتي اليها في المساء فسنقرأ مقاطع مختارة وتبادل الأدوار ، ومن الطريقة التي ربتت بها على كتفي طالبة مني الا انسى الفطائر المحشية بالقشدة او الجوز والتفاح لاحظت انها ليست فقط نعمة الى الأكل . والمزعج هو انها اخبرت الزملاء بعرضي ، وقد اثار ذلك في قسم المحاسبة ، بغض النظر عني ، لعدة ايام جوا من المرح ، لذا حرمت الانسة فايجل من حلوى شغيفتي ، وكنت اطعمها للحمام في ساحة هومان .

وبدا الخباز عاشق الكتب هو الآخر يتصرف بشكل غريب ، فبينما كان ياتي فقط عندما يجلب (سمونا) طازجا او يملأ الكيسين او ليراقب فيما اذا كان احد الزبائن يغازل زوجته ، أصبح يظهر الآن كلما كنت موجودا . في البداية كان ييدي علام الاستفهام الى ان يصل حد الإيمائية ، فقد كان يغترسني بنظرات ثاقبة ، ثم يلوح بكيسي سمكري الأسنان وسمكري السيارات ، واخيرا يضيق فتحتي عينيه حتى تصبحان كشقين يحملان الكثير من الاستفهام ، لم يكن بإمكانني سوى ان اهر كتفي متأسفا ، طبعاً إشارتنا المتبادلة لم تخف حتى على زوجته التي نظرت حائرة الى زوجها ثم إلي ، هزرت لها كتفي بأسف واردها ان تفهم ان لعلقة لي بتصرف زوجها ، لكنه فجأة نظر إلينا بشرود ، ولم تكن تلك النظرات لتتقضي . قلت بلهجة حملتها تلميحا : سيدة شغيفتي ، كالعادة ، قطعان عادبتان ، إضافة الى . اثنتين غير ناشجتين واثنتين مقعرتين ! فهم الخباز التلميح وعاد راضيا الى فرنه ، وعدت مهموما الى البيت وبعد ذلك الى العمل . لقد آن الاوان لتأمين الكتاب الصيني ، ذلك

□ المساء "الثالث" □

ان هذا الخباز لم يكن بكامل عقله ، ومن يدري بأية حركات إيمانية سيأتي فيذكرني بكتاب (كين بنغ مي) والمواضع المضطربة فيه . لو كان هناك انسان مضطرا لاعتبار تلك الأقراص ، التي تقدم في التعاونية على أنها سمون ، سمونا لكنت أنا ذلك الانسان ، كي اتجنب عتبة شغيت ، ولكني ادركت ، لاسفي ، اني مغرم بـ (سمون) شغيت ، قد كنت مدمنا ادمانا ربما لم يسمع به احد من قبل ، كنت مدمنا على السمون . الإدمان إدمان ، كالإدمان على الشراب والنهم والغيرة ، لا امل بالانقلاع عنه ، وعلى الانسان ان يستسلم ، وعليه ان يدفع الثمن ، اذا يجب ان يحصل السيد شغيت على كتابه ، لذا عليّ ان اذهب لابن عمي . سألته فورا اذا كان يريد بيعي هذا الكتاب الصيني ، اجاب دون تفكير : لا ، مهما يكن الثمن ! لكن هذا لا يعني شيئا ، ذلك انه كان يتاجر بالسيارات القديمة . لا ، مهما يكن الثمن كانت تعني : الثمن الباهظ ، او ليس بنقود ، لكني مصغ لاقتراحاتك !

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

طبعا كمحاسب لم يكن لدي اي اقتراح ، المحاسب من هذه الناحية منصب دون امكانيات كبيرة ، فالنقود موجودة لدينا بالأرقام فقط ، وإذا اراد المرء الحصول عليها بشكلها الحقيقي ، فعليه ان يدخل في تحالفات متشعبة ، وهذا مايصبح جرما . ولان العادة جرت في التجارة ان يصمت الإنسان في اللحظات الحاسمة ، ولأنه لم يكن لديّ ما أقوله ، فقد صمت بعد كلمات ابن عمي . ولاستغلال الوقت فقد فكرت : لو ان الخباز مثلا اعطاك قطعة (السمون) الأسمر على أساس انك محاسب ، لما تحدث مع محاسب عن مسرات المساء ، بغض النظر عن صفقة موضوعها الخبز وقصة قديمة ولكنها حديثة حقا ، وفي اللحظة ، التي كنت اخمن فيها أن المحاسبين هم البروليناريون الحقيقيون هذه الايام ، قال ابن عمي : لا ،

□ المسار الثالث □

مهما يكن المبلغ ! ثم تابع قائلا ، وتعابير وجهه جعلته يبدو كمولود الحكايات حين يطلبون المعجزات من الشبان الفقراء ، ولكن حين تؤمن لي بطاقة للحفلة التي تقام في حديقة الحيوانات ، فهذا الكتاب القديم من نصيبك .

لقد كان قريبي ، لذا لم يكن بإمكانني القول أن الخبث بدا على وجهه ، ولكن بطاقات حفلة حديقة الحيوانات ... هذا كثير ! حتى في ظروف اسطورية لم يكن الحصول على تلك البطاقات ممكنا . ابن عمي يعلم ذلك ، ويعلم أنني أعلم ذلك . فحسب المعلومات التي يمتلكها كلانا ، كان المشاركون في هذا المجتمع من النوع الراقي الذي شوهد على الباخرة - تيتانيك - قبل غرقها . تجار تحف رؤساء أقسام النقل ، مصلحي إطارات سيارات ، حلاقين من الدرجة الممتازة ، مديرين ، مسؤولي إعلانات ، مالكي محلات لدهان السيارات وكاراجات الأجار ، أفرقاء مديرين ، رجال من تجارة السيارات ونساء من الفنون الصاخبة ، أناس لاعلاقة لهم بحديقة الحيوانات ، ولكن بالحفلة التي تحمل اسمها . قلت في نفسي بعد أن تخبطت في بحر من الأفكار : معجزة ! معجزة لأن الخباز شغينت غائب عن هذه الحفلة ، مع أن هذا سهل بالنسبة له ، كيس على المسمار في الباحة .. ولكنهما لا يدریان بوجود بعضهما ، الرجل الذي يبيع البطاقات وآخر خباز حقيقي لـ (السمون) هذا من حسن حظي ، فلو كان بينهما تجارة لبقيت خارجا ، ذلك أن موزع بطاقات مرغوبة يستطيع توفير روايات صينية بدئية . ولماذا ولاية فائدة له سيعلق كي الخباز شيئا على المسمار عندئذ؟ كان عليّ حينئذ أن أقف في الطابور كل يوم في السادسة والنصف، وسأبقى على تجاوز ميزانيتي وعلى حكاية الحب غير المتوازن لطرفين ، ولن أنجو من الشك الخطير الذي يترعرع لدى الخباز ضد الرجال الذين لا تربطه

□ السمار الثالث □

بهم تجارة ، وقبل كل شيء ساعود الى تلك الوحشة ، حيث يبقى (السمون) الدافئ رحمة وليس يقينا . لقد كان ذلك من حسن الصدف الا يتعرف رجل البطاقات على رجل الخبز ، ولو اني قابلت - افتراضا - احدهما ، كما قابلت الآخر عمليا ، فلن اروي لرجل حفلة الحديقة شيئا عن وجود آخر هو خباز رائع . لكن ذلك كله كان افتراضا جنونيا .

قلت لابن عمي : من حيث المنشأ والوضع ، فلست من الناس الذين يستطيعون الوصول الى اجواء كهذه ، فكيف بحق السماء تطرقت الى هذه الفكرة الخرقاء ؟ لقد رأى فتاة تطعم الخراف في حديقة الحيوانات ، وهو يتمنى جديا أن يراها في حلة الاحتفال وهناك ، وقد احمر وجه مالك ال (كين بنغ مي) الشقي ، سيكشفها بحبه . ربما كان الانسان المستعد للدخول في متاهات معتدة من اجل تطعمتي (سمون) غير قادر على التحكم بتصرفات اقربائه ، ولكنني وجدت تصرف ابن عمي افربيا ، كان الحب وحده كافيا للتوضيح ، فقط في الحب لايجوز الرفض ، وهذا مايتضح من استعداد ابن عمي للتخلي عن (كين بنغ مي) ، شرط أن يقربه ذلك من فتاة ربما تفوح منها رائحة الخراف قليلا . جنون ابن عمي سَعُر جنوني : بعد بحث طويل وصلت الى موزع البطاقات لحفلة حديقة الحيوانات .

لم تكن تلك مهمته الرئيسية ، : كان المكلف الشخصي الاول بضمنان احتكار الدولة لتجارة الكونياك ، وكصاحب منصب كهذا فقد كان رجلا صلبا لايلين . اعتبرني مغامرا مرحا حين طلبت منه وبدون مواربة بطاقة لتلك الحفلة ، لم يصدر عنه تدمير ، أو بيد أية حجة بل حدثني عن

□ السمار الثالث □

مفارقات عجيبة من حياته كحامل منصب مزدوج . لقد كانت التعديلات على احتكار الدولة لتجارة الكونياك محاولات مقارنة بالحوادث التي تتعلق ببطاقات الحفلة ، ويقدر ماكان احتكار الدولة لتجارة الكونياك متينا، بقدر ما بقي مبدأ التوزيع العادل لبطاقات حفلة حديقة الحيوانات مخلخلا . الحارس المزدوج لم يفهم كيف كان يمنح البطاقات لرؤساء أقسام وورشات ولإبطال رياضيين شرفاء ، ولكن عندما بدأ رقص الافتتاح فقد كان يصاحب سيدة الى الرقص ! وهذه السيدة تطلع على اعلانات مشفرة لدى احد مسؤولي الاعلانات . كيف يصلون الى ذلك ؟ ولأنه لم يد عليه الاستعداد للتصديق بوجود اساليب ملتوية ، اكتفيت بالتلميح : لهؤلاء الناس علاقاتهم . قال المكلف الشخصي الأول . ولكن ذلك هو سؤالي ، كيف يبنون تلك العلاقات ؟ ليس من المقبول ان يكتبوا في الجريدة : (لدي بطاقات لحفلة حديقة الحيوانات ، أبحث عن ...) أو (أبحث عن بطاقات للحفلة ، لدي ...) ، ماذا لديك في الواقع ؟ قلت : لاشيء ، فانا أبحث فقط ! سمعت وقع الحقيقة الغريب في كلماتي ، وهذا ماأصابني في الصميم ، فلم يكن لدي شيء في الحقيقة . وقد رأيت شجاعتي في هذه النقطة بالذات ، فمن الشجاعة ان يبحث المرء ودون وسيلة عن بطاقات لأكثر الحفلات ارتيادا في العاصمة ، دون وسيلة فمعنى ذلك دون أمل . قلت للمكلف الشخصي الأول : ماذا تحتاج اذا ؟ من المؤكد انه كان سيطلب إلقاء القبض عليّ ، لو كانت مقابلتنا ذات طبيعة روحية ضريبية . سأل: اليس لديك شيء فعلا ؟ لاشيء تقريبا ، أعرف خبازا غيورا ، سيعط لي كيسا فيه (سمونتان) طازجتان لو اني امنت له رواية صينية ماجنة ، ولدي ابن عم مغرم بفتاة ، سيمنحني هذا الكتاب لو امنت له بطاقة لحفلة حديقة الحيوانات . هز المكلف الشخصي رأسه وقال : بطاقتين ! قلت: لا

□ السمار الثالث □

فهو يحتاج الى واحدة فقط . ولكن المكلف الأول ردّ بحسم : يحتاج لائنتين ! هذا مبدأي في التوزيع ، حفلة حديقة الحيوانات للأزواج فقط ، ومن يأتي منفردا يقلب الامور رأسا على عقب ، البطاقات بشكل زوجي فقط ! قلت : اتفقنا ، اعطني اثنتين اذا . رد المكلف لقد شرحت مبدأي وبشكل نظري ، ليس لديك ماتقدمه ، ولا تحتاج لشيء ، بإمكاننا اذا ان نبقى في الجانب النظري . قلت : الا تحتاج شيئا حقا ؟ لاشيء ابدا ؟

فكر المكلف مليا ، كان ذلك باديا عليه ، واقر في النهاية : لاحتاج لشيء البتة ، وهذا ما يجعلني قادرا على التكلم معك بهذا الشكل ، وحقيقة انه لاشيء لديك . لو كنت موظفا في دائرة الاحوال المدنية ، وتستطيع تأمين موعد لعقد قران يوم الجمعة القادم ، لما تكلمت معك هكذا ، ولكنك لست موظفا في دائرة الاحوال المدنية فيما اعتقد .

اجبت : كما اني لست بالغ كتب ، وافقت فعلا بحاجه لموعد عقد قران في يوم الجمعة القادم ؟ ابني هو الذي يحتاجه ، في البداية لم يكن راغبا والان يريد الزواج يوم الجمعة . نصحتني ان اعرض بطاقتين على الموظفة مقابل موعد ليوم الجمعة . اتدري ماذا فعلت ؟ لقد عرضت عليها ذلك ، اتدري ماذا كان جوابها ؟ سالتني اذا كنت اعرف طول الدور من اجل مواعيد يوم الجمعة ، إنه بطول الدور من اجل الهواتف . مالا تحتاجه هو بطاقات الحفلة ، وما تحتاجه هو هاتف خاص لها . بدا غارقا في تأملاته وشاهدا على صراع ، وما قاله لي بعدئذ كان إعلانا عن نهاية هذا الصراع .

سال : الا تعرف بالصدفة احدا له علاقة بالهواتف ؟ فاجبته فوراً :
الا تعرف بالصدفة احدا له علاقة ببطاقات حفلة حديقة الحيوانات ؟

استغرق منه ذلك وقتا قبل ان يتمكن من إيجاد العلاقة بين سؤالتي وسؤاله ، وأخيرا شُعتْ عينا المكلف الشخصي الاول بضمان احتكار الدولة لتجارة الكونياك وهتف متأثرا : هكذا اذا ! لقد اعتبرني مغامرا حين قصده ، واصبحت كذلك حين غادرته . ذلك اني ذهبت للبحث عن الشخص المختص بالهواتف ، لم اكن احمل شيئا في جيبتي ، ولكن املا نما في قلبي بان احصل على (سمون) دافئ للغطور . وفي مخيلتي اجتمعت امنيات تمس بعضها فقط بسبب وجودي .

كنت الرجل ذا الصلة القادمة بـ (السمون) الطازج ، كنت الرجل ذا الصلة الممكنة بأدب مثير ، كنت الرجل ذا الصلة المحتملة ببطاقات لحفلة حديقة الحيوانات ، كنت الرجل ذا الصلة الواردة بمواعيد عقد قران ليوم الجمعة، كنت الرجل ذا الصلة غير المستبعدة بالهواتف . كانت لدي إمكانيات كثيرة للرجة اني لم أجرؤ على التفكير بذلك ، ولم أجرؤ على التفكير بالمقابلة القادمة مع الشخص المختص بالهواتف ، ما الذي سيطلبه وماذا سيكون عندي ؟ فالهاتف كان تعبيرا آخر عن العلاقات : الهاتف وسيلة ورمز أيضا ، فمن يتحكم بمنح الهواتف ، له سلطة كبيرة. كيف يجب التكلم معه ؟ وكيف سأحدث معه ؟ كانت تلك عثرة كبيرة وقبلها اخريات ليست سهلة أبدا ، إحداها تجلت في العثور على اسم الشخص المختص وعنوانه ، ولكنني قبل ذلك ذهبت مرة أخرى الى الخباز شفينت ووقفت في الدور كما في أي يوم آخر ، لم ينتبه احد الى ان تلك الوقفة ستكون الاخيرة في عالم المحتاجين الصابرين ، بعض الصفائر فقط تفصلني عن باحة الخباز ، حيث تنتظرني (سمونات) ذهبيات على مسمار ذهبي ، بعض الكليات فقط تعيقني عن تغيير ظروفتي ، جهاز هاتف فقط يمنع من الشخص المختص الى المكلفة بالاحوال المدنية المدعوة اختصارا

□ الممار الثالث □

وخطاً موظفة الاحوال المدنية . فقط موعد لعقد القرآن يتم تسجيله ومصادفته في يوم جمعة مكتظ بالمواعيد ، بطاقتان فقط لحفلة حديثة الحيوانات يتخلى عنهما حارس البطاقات واحتكار الدولة لتجارة الكونياك، ومن ابن عمي يختطف كتاب يتضمن تلميحات جريئة من خلال تعابير منمقة ، ومن الخباز ينتزع عهد من الآن وصاعداً أن يعلق صباح كل يوم خبزاً الى جانب كيسي طبيب الاسنان والميكانيكي الى مسمار ثالث كيساً صغيراً لي . وصلة واحدة فقط في شبكة العلاقات كافية للانفراج عني من ذلك الإذلال الذي يدعى دوراً . فكرت بكل ذلك عندما وقفت للمرة الأخيرة في هذا الدور ، ولكن الذي لم يخطر لي على بال هو كيف سأدفع الشخص المختص ليقوم بالوصلة المذكورة . بعد ذلك بقليل وفي هذا الصباح كنت جالسا في غرفة انتظار هامة ولم أفهم نفسي تماما : تجاوزت كل الدوامات والصعوبات ، ولم يفت سوى حائط يفصلني عندئذ عن ذلك الموضع ، حيث توجد أجهزة الهاتف وتبعاً له ولهذا ولذلك (السمونات) ناضجة ، وهنا تماما لم أعد أعرف كيف أتابع ؟ انبعث من جيبي عير (السمونات) التي حصلت عليها هذا اليوم ، تلك (السمونات) بعثت الدفء عبر الكيس وجلد الجيب في ساقي ، وارتفعت حرارة رأسي ذلك أن الأفكار كانت تتسابق فيه . عندما سأقابل الشخص المختص بأجهزة الهاتف وتبعاً لذلك الشخص المختص بـ (سموني) ماذا أقول ؟ هل أتدمر ؟ من يمنع التلفزيونات قد سمع من التدمير الشيء الكثير . هل أكذب ؟ من يمنع التلفزيونات قادر على اختبار كل شيء . هل أقول كل شيء وبكل بساطة؟ ولكنني شعرت أن الانسان لا يصبح شخصا مختصا عندما يستمع لكل شيء ، في هذا المضمار يستمع المرء الى اجزاء مختارة فقط ، ولكن ماهو الجزء الصحيح بالنسبة لقضيتي ؟ لم أدر جواباً ، وكنت على وشك

□ المسار الثالث □

الهبوط من سماء احلامي عندما مر شخص خلال غرفة الانتظار ، مع كل خطوة كان يبدو عليه انه شخص مختص ، هكذا يمشي المرء عندما يكون مهما ، هكذا يخطو المرء عندما يقرر مصيرا ، ليس بقوة وإنما دون تصنع . على خط مقرر مسبقا ، امام اناس غير مهمين ، يتطلع إليهم ولا يراهم ، بسرعة لاتعجب احدا .

ادركت فورا اني لن احصل على شيء هنا ، هيات نفسي للخروج من غرفة الانتظار عندما يختفي الشخص المختص في غرفته ، لكن الشخص المسؤول توقف برهة ورفع منخريه بطريقتنا نحن العاديين عندما تقتفي شلدى معينا . بدا رجلا متوسط العمر طويلا ورشيقا ، ذا شعر اسود يشوبه شيء من البياض ، انيقا ، يبدو عليه انه انسان عادي جدا ، ذلك انه وقف مشدوها وسط الفيمة المتصاعدة في الغرفة من (السمون) الذي احمله في جيبه . نظر الرجل القوي الى الجيب ورأى اني صاحبه ، فاشار له ان اتبعه ، في الحقيقة اشار للجيب ، لكن الإشارة وصلتني لأن الجيب لا يستطيع أن يتبعه لوحده .

تبعناه ، الجيب تبع الرجل البهي ، وأنا ساعدت الجيب في ذلك ، قدم لنا مكانا للجلوس ، قال عندما اخذ جيبى وفتحه :

يامكناني ذلك طبعاً ؟ اخذ كيس (السمون) من الجيب وقال عندما فك خيط الكيس : يامكناني ذلك طبعاً ؟ حشر انفه الجميل في الكيس ، وادار رأسه في الشيء الحلو ، قال بعد ان وضع السمونات بثودة على الطاولة : يامكناني ذلك طبعاً ؟ جلس وتأمل طويلا ماخبره الخباز شفينت ، وفي وجهه الجميل اجتمع النهم والرغبة في نوع من الخضوع ، ذلك ان عينيه راتا شيئا في منتهى الكمال ، وفي نظرتة كانت تلك الوحشية التي

□ المسار الثالث □

بخشها ذاك الذي سيخسر ما يريد هذا الشخص . القى الكيس على (السمونات) كمن يغطي بريقا لامعا وسألني : أين توجد هذه ؟ أعطيتها اسم خبازي ، أردت أن أخبره بنفس طريقة السيدة لوركيه عن غيره الخباز ، ولكنه عاد شخصا مختصا فاكثفت بإعطائه العنوان ، وحين كنت أبحث عن طريقة مناسبة كي أشرح للشخص المسؤول صعوبة الحصول على (السمون) ، سمعت نفسي أقول : عند الخباز - في الباحة - ثلاثة مسامر ، على أحدها يعلق المرء الكيس مع ثمن (السمون) ، أردت أن أشرح العملية بالتفصيل ، أردت أن أعلمه أن الكيس لا يمثلء لوحده ، أن أخبره البقية ، عن الخباز الذي يريد إمتاع نفسه بالكتاب الصيني ، عن ابن عمي الذي يهوي راعية في حديقة الحيوانات ، عن هموم موزع بطاقات الحفلة بسبب صعوبة الحصول على موعد عقد قران لابنه ، عن موظفة الاحوال المدنية التي لا تملك هاتفًا ، لكن الشخص المختص لم يصغ للأشياء النافهة ، أراد فقط اسم وعنوان الخباز فقط ، وعندما كتب ذلك سأل بسرعة : ومن الذي يحتاج الى الهاتف ؟ أوردت له المعلومات عن الموظفة دون قصتها ، فقد بدا عليه بوضوح عدم الرغبة بسماع القصة . القصص أشكال معقدة للحياة ، وهذا الشخص كان رجل الطرق المختصرة . رفع سماعة أحد الأجهزة الكثيرة . على طاولته ، ضغط زرا وانتظر ، خلال ذلك أدخل أنفه في عبير الخبز ، وللحظة بدا كأن منصبه قد سقط عنه ، عندما تحدث عاد المنصب إليه ، قرأ عنوان الموظفة وتابع : امر فوري . قال لي بعدما وضع السماعة : يجب أن تكون الموظفة موجودة في بيتها اليوم بعد الظهر ، ومن مسؤوليتك أن تعلق (سموناتي) على المسامر ، من هذا النوع هنا . رفع الكيس عن (السمونات) ونظرا إليها بكل حب ، قال : بإمكانني طبعا ؟ وأخذ واحدة من (السمونات) المقترعة ، شمسها ، وضعها على راحة يده ، نظر إليها من مسافات مختلفة ، حتى

□ المسار الثالث □

انه بدأ وكأنه يصفي إليها ، وأخيرا عضها . حينما أدرك قيمة الصفقة التي عقدها ، هز رأسه وقال وهو يمضغ (السمون) : نعم ، من هذه ، سأرسل السائق ، ثم التفت الى (السمونات) وبدأ بالتهامها جميعا ، خلال ذلك بدأت بالتفكير في صفقتنا : ستحصل الموظفة ، والزوجان الشابان على موعد لعقد القران ، وابن عمي على بطاقة ، والخباز على تسليته الصينية ، والرجل الذي يلتهم سموناتي أمام عيوني سيحصل على (سمون) . سموناتي . سموناتي ؟ لحظة ، كيف يحدث ذلك وابن ابقى انا ؟ عندما يحصل هذا الشخص على (السمون) ماذا سيتبقى لي ؟ عندما تستطيع الموظفة الاتصال بالهاتف ، ماذا أستطيع انا ؟ عندما يتمكن الشابان من الانفراد ببعضهما ، ماذا يحصل لي ؟ عندما يجد ابن عمي مدخلا الى مجتمع حديقة الحيوانات ، ماذا أستفيد انا ؟ عندما يستمع هذا الخباز المجرم في المساء ، ماذا يجلب ذلك لي صباحا ؟ كل ذلك ضيع أملني في (السمون) على ذلك المسار الثالث ، كل تلك الصفقات أخرجتني من الصفقة ، ضعت في هذه التجارة ، ولم أفهم ذلك ، لم أرغب في ذلك ، كنت عاجزا عن القيام بأي شيء . لم يبق أمامي سوى العودة الى الدور بعد أن خلقت علاقة بين العلاقات التي اكتشفتها . في نهاية هذه السلسلة كنت سأجلب الكتاب خفية للخباز وأهمس له أن يعلق الكيس على المسار الثالث ، رغم أن المرء يراني واقفا في الدور ، سأعود عندئذ الى وضعي السابق . لم يكن هناك حل آخر ، فليس بالإمكان أن أشرح الصفة للخباز وأن أطلب منه أن يعلق مسمارا آخر . كنت عارفا بما سيقوله لي بعد حكايتي : نعم ياسيد فارسمان ، هذا ما يحصل عندما لا يكون لديك ماتقدمه ، عالم قاس ولكن كلينا لم يخلقه .

كذلك الشخص المختص لن يتصرف بشكل آخر لو سمع - وذلك افتراض - قصتي للنهاية ، على الاغلب سيقول : بإمكانني طبعاً وسيكون نصيبي رفسة قوية على مؤخرتي . نظرت بسخط الى الشخص المختص

□ السمار الثالث □

وهو يلتهم آخر قطعة (سمون) ، تحول السخط الى غضب جاتح . عندما بدا عليه أنه راغب بإنهاء المقابلة ، نهض من وراء مكتبه ونظر الى الباب ، عند ذلك قلت له : لاترسل السائق من فضلك ، فالخباز غريب الأطوار وهو غيور على زوجته . عليك أن تأخذ السمون بنفسك ، وحين تثنى على زوجته أحيانا فسيستجيب جدا بذلك ، وحين تلقي طرفة مرة أو مرتين في الأسبوع فسترى كيف يفرح الخباز . لم يكن الشخص المختص معتادا على سماع النصائح ، وكان شيئا أقل من عادي بالنسبة له أن تجد طرائفه أذانا صاغية لدى النساء . دفع لي بعض القروش ورماني بنظرة آمرة ، رافقني الى الباب ، ولم ينسى أن يقول : بإمكانك ذلك طبعاً ؟ عدت منذ ذلك الحين عدت الى الوقوف في الدور ، ولكنني اقتصرت على شراء قطعتين وأحيانا قطعة من (السمون) الأسمر . السيدة لوركة ثقيلة السمع كادت تموت من غيظها ، لاني لم أفشل لها بسر هذا التغير .

مازال السيد شقيقت طليقا ، والشخص المختص ينزل من سيارته كما لو أنه يترجل عن ظهر فرس ، حين يريد الدخول الى باحة الخباز . لقد صادفت هذا الرجل المهيب مرتين في دكان الخباز ، وعندما يهمس لزوجته الخباز بشيء يحمر وجهها ، وكان الخباز يقف قريبا من زوجته يصفي بكل جوارحه .

وفي الصباح كنت اجلس واتناول الفطور والتهم قطعتي (السمون) كأنهما الاخيراتان من نوعهما . ذلك أن المرء يصادف بندوقرة ويكون طعمها كالبنندوقرة ، ويشم رائحة خيار ، كما الخيار في غابر الأزمان مز وحلو ، أحيانا تبدو (الفراولة) ليس فقط كما لو أنها (فراولة) ، وأحيانا يبدو الخبز كما كان عليه الخبز سابقا ، وأحيانا تكون الفيرة خطيرة كما تروي الحكايات القديمة .



المؤلفون :

— أنا زيفرغز (الاسم الحقيقي نيتي دايبلغ)

Anna Seghers : « Die Reisebegegnung »

كاتبة روايات وقصص وقصص قصيرة ومقالات . ولدت سنة ١٩٠٠ في مانيتز ، ودرست علوم اللغة ، التاريخ وتاريخ الفن في مدينة كولونيا وهيدلبرغ ، وفي سنة ١٩٢٤ دافعت عن أطروحة الدكتوراه حول رامبراندت . وفي سنة ١٩٢٨ انتسبت الى صفوف الحزب الشيوعي الألماني ، وأصبحت عضوة في رابطة الكتاب البروليتاريين الثوريين ، التي القبض عليها سنة ١٩٣٣ ، ثم فرت الى فرنسا في باريس عملت مع مجلات ودور نشر معادية للفاشية .

هاجرت سنة ١٩٤٠ الى المكسيك ، ثم عادت سنة ١٩٤٧ الى برلين ، وقامت بنشاط ثقافي سياسي واسع ككاتبة لرئيس رابطة الثقافة للتجديد الديمقراطي ورئيسه اتحاد الكتاب في ج ا د . ، وفي سنة ١٩٥٠ أصبحت عضوة في مجلس السلام العالمي ، وحصلت سنة ١٩٥١ على جائزة لينين الدولية للسلام . توفت أنا زيفرغز في برلين سنة ١٩٨٤ .

أهم الأعمال (مختارات) : « انتفاضة الصيادين في سانتا باربارا » قصة ، (١٩٢٨) ، حصلت على جائزة كلايست ، « رفيقة الدرب » رواية (١٩٤٢) ، « الإنقاذ » رواية ، (١٩٤٣) ، « الصليب السابع » رواية ، (١٩٤٢) ، « ترانزيت » رواية ، (١٩٤٣) ، « الاموات يتقون شبابا » ، « القراء/الثقة » سلسلة روايات (١٩٦٨/١٩٥٩) ، « قصص كاريبية » ، قصص ، (١٩٦٢) ، « قوة الضعفاء » سلسلة قصص قصيرة

(١٩٦٥) ، « الأرق الحقيقي » قصة ، (١٩٦٧) « الموز » قصة
(١٩٧١) ، « العصر الحجري/الرؤية ثانية » قصص (١٩٧٧) ، « ثلاث
نساء من هايتي » سلسلة قصص (١٩٨٠) ، بالإضافة الى روايات وقصص
اخرى ومقالات متنوعة .

نص « لقاء رحلة » مأخوذ من مجموعة قصص « لقاءات غريبة » ،
وقد نشرت في برلين وفايمار سنة ١٩٧٣ .

— كريستا فولف : « Juninachmittag » Christa Wolf

كاتبة روايات وقصص ومقالات ، وناشرة وناقدة . من مواليد
لاند سبيرغ ١٩٢٩ (حاليا غورزوف فيلكوبولستي في بولونيا) وهجرت
سنة ١٩٤٥ الى ميكلنبورغ (المانيا الشمالية) ، وما بين سنتي
١٩٤٩ - ١٩٥٣ ، درست الادب الالمانى في ينا ولايبزغ ، وحتى سنة ١٩٥٩
عملت مساعدة مالية لدى اتحاد الكتاب في ج آ ، ومساعدته علمية ومحرورة
لدى بعض دور النشر ، تعيش حاليا ككاتبة متفرغة في برلين .

اهم الأعمال (مختارات) : « السماء المجزأة » قصة (١٩٦٣) ،
« في ذكرى كريستا . ت . » قصة (١٩٦٩) ، « القراءة والكتابة » .
مقالات (١٩٧١) ، « مثال الطفولة » رواية (١٩٧٦) ، « تحت ظلال
الريزفون » قصص خيالية (١٩٧٧) ، « دون أي مكان » قصة (١٩٧٩) ،
« محاولة مستمرة » مقالات (١٩٧٩) ، « كاسانفيا » ثلاث محاضرات
وقصة (١٩٨٣) ، « ابعاد الكاتب » مجموعة مقالات في جزئين (١٩٨٦) ،
« الحارث » قصة (١٩٨٧) .

قصة « عصر يوم في حزيران » مأخوذة من كتاب « خمسة وتسعون
كاتباً من ج أو » نشر في برلين وفايمار سنة ١٩٨١ .

هيرمان كانت : « Der dritte Nagel » : Hermann Kant

كاتب مقالات وقصص وروايات ، ولد ١٩٢٦ في هامبورغ ، واشتغل عامل تصديقات كهرمائية ثم جندي في الحرب العالمية الثانية ، وما بين سنتي ١٩٤٥ - ١٩٤٩ كان بين أسرى الحرب الألمان في بولونيا ، عاد الى الدراسة (١٩٤٩ - ١٩٥٢) ، ثم عمل مدرسا في كلية العمال والفلاحين في غرايفسالد ، وما بين سنتي ١٩٥٢ - ١٩٥٦ انصرف الى دراسة الادب الألماني في برلين ، ثم عمل مساعدا علميا في جامعة هومبولت ، فمحررا لفتية وجيزة ، ومنذ ١٩٦٩ أصبح نائب رئيس اتحاد الكتاب في ج ا د ثم رئيس منذ سنة ١٩٧٢ ، يعيش حاليا ككاتب متفرغ في برلين .

اهم الاعمال (مختارات) :

« شيء من مجر الجنوب » (١٩٦٢) ، « القاعة » رواية (١٩٦٥) ، « ملاحظة طباعية » رواية (١٩٧٢) ، « تجاوز » قصص (١٩٧٥) ، « الإقامة » رواية (١٩٧٦) ، « المسافر الثالث » قصص (١٩٨١) ، « خاص بالروائي » مجموعة مقالات منشورة (١٩٨٦) ، « العصر البرونزي » قصة (١٩٨٦) ، « المجموع » رواية (١٩٨٧) .
قصة « المسافر الثالث » مأخوذة من الكتاب الذي يحمل نفس العنوان ، نشر في برلين سنة ١٩٨١ .

مؤقتة فوكي...

Günther Rüdiger : « Erzählung eines Stiefsohnes »

مؤلف إغاعي أوشتينغاني وفنتزخي ، ومخرج وقاص .

ولد في رايشنبرغ سنة ١٩٢٤ (حاليا ليرش في تسيكوسلوفاكيا) وحصل سنة ١٩٤٢ على شهادة اللواصة الثانوية رغم ظروف الحرب ، سبق الى الجندي في الحرب العالمية الثانية حتى سنة ١٩٤٥ ، ثم وقع

في الأسر البريطاني ، درس ما بين ١٩٤٧ - ١٩٤٩ في المعهد العالي للفنون المسرحية في لايبزغ ، ثم أصبح مخرجا لدى إذاعة لايبزغ ، ومنذ ١٩٥١ فنانا متفرغا لدى مؤسسة السينما (ديفا) ، يعيش الآن في برلين .

أهم الأعمال (مختارات) :

« قضية غلايفتز » فيلم سينمائي بالاشتراك مع فولفجانغ كولهازه (١٩٦١) ، « أحلى السنين » فيلم سينمائي (١٩٦٥) ، « الثالث » فيلم سينمائي بالاشتراك مع إيفون غونتر (١٩٧٢) ، « سبع إقاعات تانغو » مسلسلات إذاعية (١٩٨٠) ، « السيد - فون اوي/هيلده » الخادمة « قصص (١٩٨٤) ، « أنطون بوبر وقصص أخرى » خواطر (١٩٨٥) ، بالإضافة إلى الأفلام السينمائية والمسلسلات الإذاعية والقصص الأخرى .

نص « ابن الخالة » مأخوذ من كتاب « أنطون بوبر وقصص أخرى » ، نشر في برلين وفایمار سنة ١٩٨٥ .



<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

